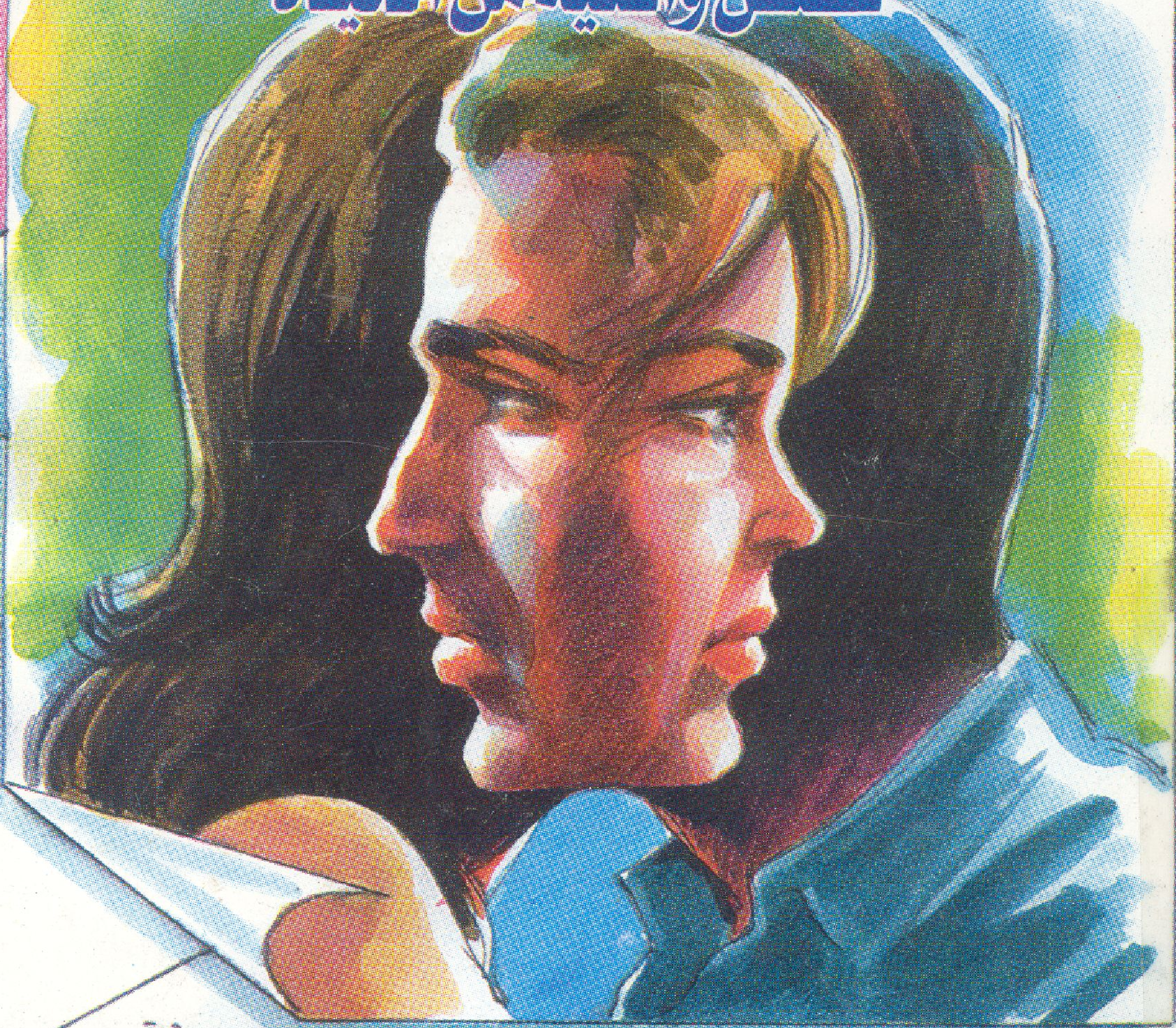
كتاب اليوم

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



عبد الوهاب مطاوع



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد أكتوبر ١٩٩٧ □

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٢٠	درهما
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥	دينار
السعودية	١٢	ريال
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٢٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	١٥٠	ريالا
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٢	دراهم
قطر	١٢	ريالات
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا ـ أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك ـ واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

● البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى . ٢٨٢

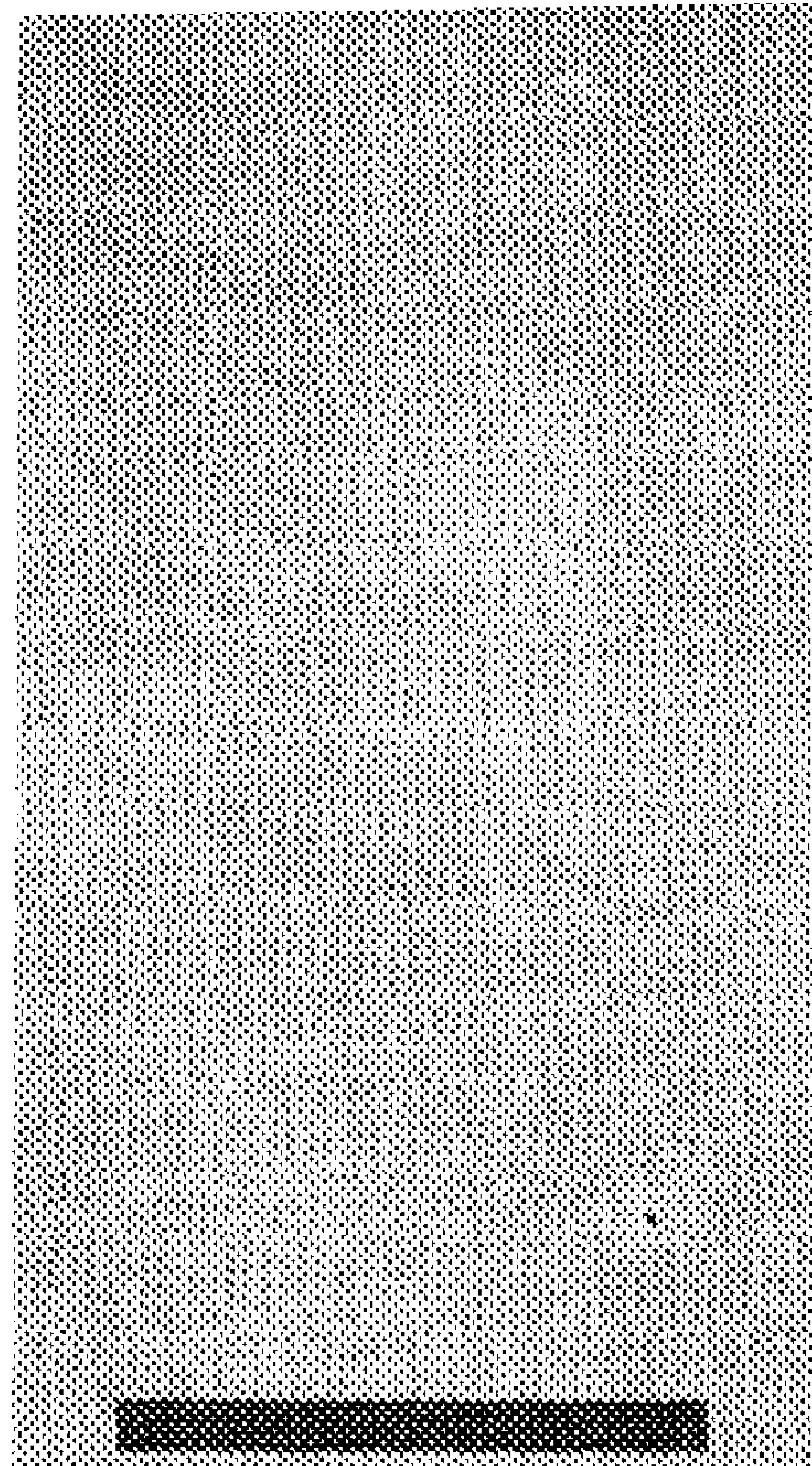
كتاب اليوم

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



عبد الوهاب مطاوع

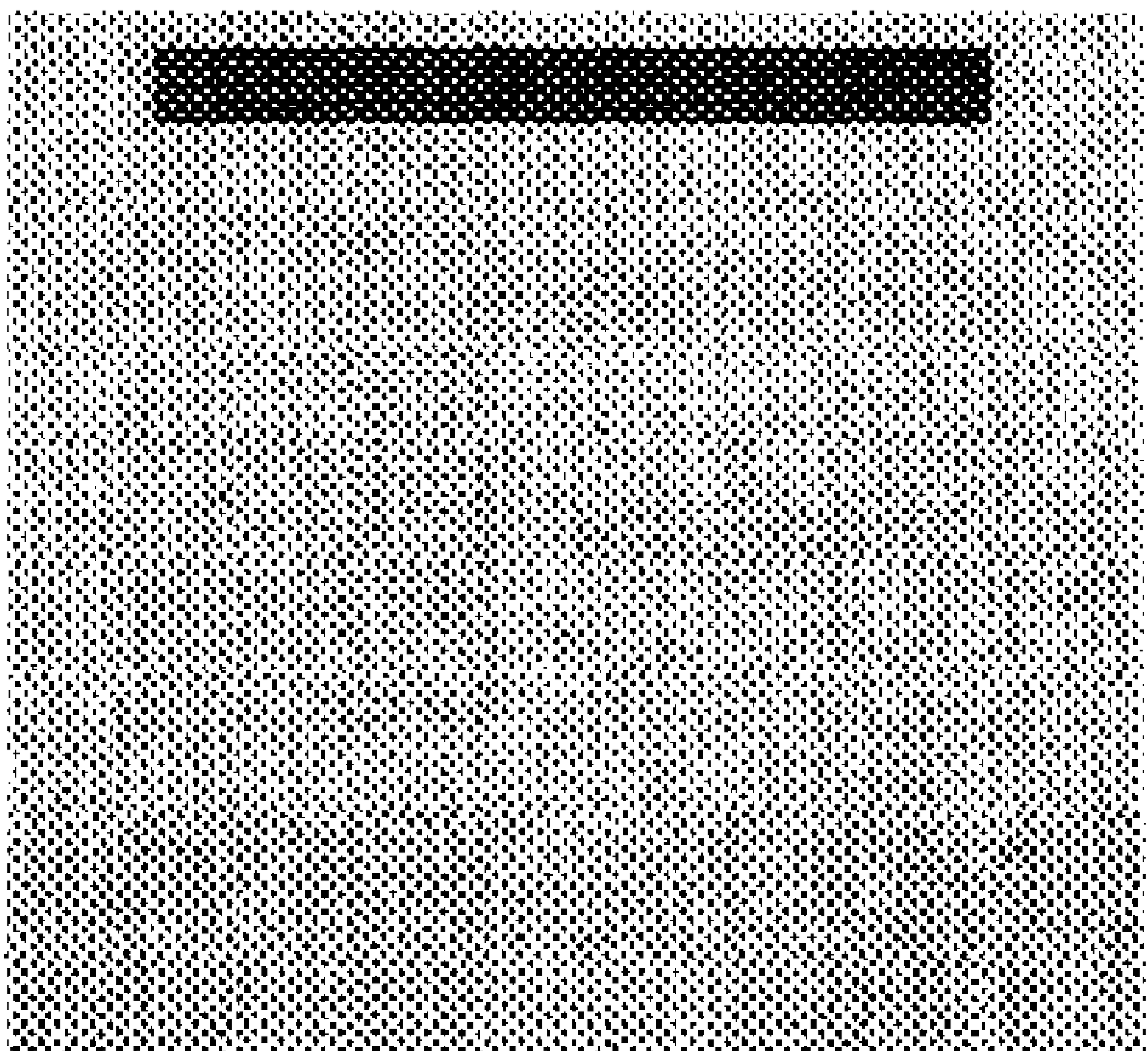


الإخـــراج الفـــنى :

مجـــدى حجـــازى

الغلاف بريشة الفنان :

ســـيد عبد الفتـــاح



أصدقاء على الورق

قصص واقعية
من الحياة

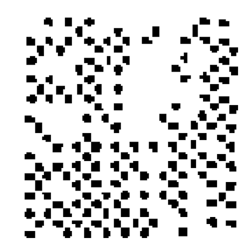
قبل أن تقرأ

سألت القس الذى أمضى ١٥ عاما يتلقى الاعترافات ..
ماذا تعلمت من اعترافات البشر ؟
فقال : تعلمت أن الناس أتعس كثيرا مما نظن !

« اندريه مالرو فى مقدمة كتابه
« لا مذكرات »

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



هذا الكتاب

هذا الكتاب لم أؤلفه أنا .. وإنما ألفه الزمن «أعظم المؤلفين» .

فلقد أتاح لى إشرافى على بريد الأهرام أن أطلع على تجارب غنية بالخبرة الإنسانية نشرت بعضها فى بابى الأسبوعى بالأهرام «بريد الجمعة» وعلَّقت عليها وانفعلت بها وعايشت همومها ثم طالبنى قراء عديدون

بأن أجمع هذه القصص فى كتاب يكون في متناول أيدى القراء يرجعون إليـه كلما أرادوا استلهام تجارب غيـرهم والاستفادة بدروسـها. واستجبت لهذه الرغبة . لكننى واجهت مشكلة كبرى فى *اختيـار القصص التى يضمها «الكتــاب»* وبعد تفكير طويل قررت أن أخـتار أكثـرها اقترابا من حـدود التجربة الإنسـانية وأكثرها إثراء لخبرة الإنسان بالحياة .. وبالنفس البشرية .

ومع ذلك فلقـد ضـاق الكتـاب عن استـيـعاب الكـثيـر من القـصص التي تمنيت لو اسـتطعت نشـرها .. ولا يبقى سـوى الأمل فى أن تتسع لها كتب جديـدة أصدرها فى المستقبل بإذن الله ..

ولقد اخترت لهـذا الكتاب عنوان «أصدقاء على الورق» وهو تعبير استعملته كثـيرا فى كتاباتى فى بريد الجمعة .. ووصفت به العلاقـة بين كاتب يهتـم بآلام البشر وبين قـراء يثقون فـيه على غيـر معـرفة ويفتـحون له قلوبهم ويـروون له أسرارهم ويسـألونه الرأى والمشورة .

فلقد كنا فعـلا أصدقاء على الورق .. فتشــاركنا فى الهموم والمشاكل والتجارب .. وتقـاسمنا معا عبرة التـجربة ودروسـها .. وبكينا مـعا فى مـواقع البكاء .. وضـحكنا معـا فى لحظات السـعادة .. واحببنا الحياة مـعا فى لحظات كثيرة .. وضقنا بها فى لحظات أخـرى .. واعتـزازاً بهذه العـلاقة الثـمينة .. فلقـد اخترتها عنوانا لكتابى تحية لكل هؤلاء الأصدقاء الذين آثرونى بصداقاتهم ومشاعرهم الرقيقة على البعد فبددوا بها وحشتى.. وخففوا من وحدتى الداخليـة الكثير فشكرا لهم على ما أولونى من ثقة ومن فضل .

وعذرا لمن حاولت أن أواسى جراحهم فـفشلت فى كثير من الأحـيـان ولمن حـاولت أن أشـيـر عليـهم بالرأى السـديد فى مشاكلهم فطاش سهمى فى بعض الأحيان .

فلقـد قلت مـرارا إنى أتعلم من آراء القـراء مـا لم أكن أعلم وأنى أتأسى دائما فيما أبديـه من آراء بقول الامام أبى حنيفة : قـولنا هذا رأى وهو غاية مـا توصلنا إليـه فى هذا الأمر فـمن جاءنا بأفضل منه كان أولى بالاتباع منا ..

وكـثـيـر مـا جـاءنى قـراء بآراء أفـضل ممـاقلت فى هذه المشـاكل.. فـاتبعـتـهـا .. وتمنيت لو كنت توصلت إليـهـا حين عرضت المشكلة .

وهكذا الحـياة دائمـا .. فهى مدرسـة نتعلـم فيهـا كل يوم ولا نتخرج منها أبدا إلا فى نهاية العمر ..

عبد الوهاب مطاوع

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة



دائرة الانتقام

أكتب إليك لأريح صدرى مما يحمله .. وإن كنت أشك اننى سوف استريح وأبدأ قصتى من البداية فأقول لك اننى شاب نشأت فى أسرة متوسطة الحال وكانت طفولتى فقيرة لكنها لم تكن حزينة فقد كنت متفوقا طوال دراستى ، وكانت نظرة الحسرة فى أعين زملائى الذين أنعم الله عليهم بالثراء وهم

ينظرون إلى تفـوقي تسـعدني وترضـيني . وسـارت حيـاتي هادئة إلى أن حصلت على الثانوية العامة والتحقت بكلية الطب، وواصلت تفوقي ، وأثناء دراستي بالكلية تعرفت على زميلة لي وتبادلت الحب الصادق معـها ، واتفقنا على كل شيء ، وكانت تعـرف كل ظروفي الاجـتـماعـيـة وتقـدرها ولم يكن الفـارق الاجتماعي بيننا كـبيرا رغم أن والدها كان موظفا كـبيرا فكلمة موظف كبير كما تعلم لاتعني دخلا كبيرا ، وكنت أنوي خطبتها في العام النهائي وتوثقت علاقتنا مـعا وعلاقة اسرتينا وكانت أجمل أيام حـياتي هي الأيام التي عشتـها معهـا أثناء الدراسة. واقتربت أيام الامتحانات الأخيـرة واقتربنا من تحقيق الأحلام لكني بدأت أشـعـر بتحـول غـريب في شـخصـيـتهـا إذ بدأت مشاعرها تجاهي تفتر حتى أصـبحت تشيح بوجهها عني كلما رأتني وأحسست كأن أبواب الجحيم قـد فتحت على مصاريعها وفي قمة عـذابي ذهبت إلى مقابلة أبيهـا وهو رجل فاضل كان يكن لي حبـا وتقديرا لاسـأله عما جـرى ، فاستـقبلني خـجلا وحائرا لايعرف ماذا يقول لي ، ثم ابلغني آن ابنته قد تقدم لَها شاب يكبرها باثني عشر عاما حاصل على مؤهل فوق المتوسط قضى فترة طويلة من العمل في بلاد البـترول وجمع مدخرات كافـية ، وأنه كـأب يسعى لصالـح ابنته ويعرف أننا مـرتبطان ونعتزم الزواج قد أعلن هذا الشاب بالرفض حين تقدم له ، لكنه فوجيء بأن ابنته حين علمت بذلك قد ثارت وعـاتبته بحجة أنه كان يجب أن يستشيرها في ذلك فـذهل أبوها واعتقد أن خلافا قـد وقع بيننا وأننا قـد تراجـعنا عن مشـروع الارتبـاط ، ولما سـألهـا عن ذلك نفت وقـوع أي خلاف بيننا وقـالت إنها فـتاة

واقعـية وأن العريس الجـديد قد وعدهـا بشقة تمليك وسـيارة باسمـها وأنه قادر على ذلك فى حين أن فـتى الأحلام الذى هو أنا لن أستطيع كطبيب ناشىء أن أحقق لها هذا المستوى إلا بعد أن يكون شبابها قد ولَّى وذبلت زهرة عمرها ، ولا أعرف حتى الآن كـيف انتهت الجـلسة ولا كـيف غـادرت منزله ، لكنى لم استـسلم فسـعيت إليـها وناقـشتـها فى قرارها فـرددت على مسامعى «دُررا» جديدة من «الحكمة» التى نلجأ إليها حين نريد أن نغتـال مشـاعر إنسان وحـياته وقلبـه ، وقالت لى عـبارات كثيرة من نوع أنها ليست مستـعدة للصبر ولا لإضاعة عمرها فى الكفاح وأن الإنســان يعيش مرة واحـدة وأن الزواج فرص وكل شىء قسمة ونصيب .. الخ .

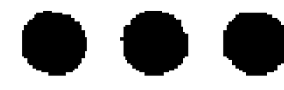
وتجلَّت الحقـيقـة قاسـية أمامى .. أنا فـقيـر إذن فأنا غـير موجود ! وواجهت الواقع المر .. وظهرت نتيجة الامتحان وكنت كـالعادة فى مـقـدمة الخـريجين وبدأت حـياتى الـعمليـة وأنا مسـحوق تمـاما وفى داخلى براكين من الغـضب والرغبـة فى الانتقـام من كل الفتـيات ومن الواقع الفـقيـر الذى هزمنى فى حب عـمرى ، واتاح لى تفـوقى اختـيار المجـال الذى أرغب فى التخـصص فيـه ، وكنت قد بيَّتُّ النيـة عليه عقب انتـهاء فـترة الامتياز مباشرة . وبعد فتـرة قصيرة من العمل فى المستشفى ومن الادخار افتتحت عيادة فى أحد الأحياء ودخلت عيادتى فى اليوم الأول وجلسـت وراء مكتبى وأنا أقول بينـى وبين نفسى قد جاءكن من لن يرحم أحدا منكن ومن لن يتـردد فى اعتصار كل من يدخل إليـه ولا عن امـتـهـان كل مريضـة يجـد لديهـا الاستعـداد للخطأ ! وتدفقت المريضات على عـيادتى وبدأت فى

«نشـر» رقابهـن وكانت مـعظم أعـمالى فى دائـرة ما يسـمّى بالعمليـات الطبية المحرمـة قانونا وأصحـابها دائما متـعجلون ومـسـتعـدون للدفع بـسخـاء وبدأ المال ينهـمـر فـوق رأسى كالطوفان ويبدو أن المال الحـرام كالجراد لا يأتى فرادى وإنما فى جحـافل كجـحافل الجراد ، فـعيـادتى مزدحمـة بالمرضى و«أعـمـالى» تتـوسـع كل يوم ولم أرحم أحـدا ولم أعف أية مريضـة وجدت لديها مـيلا أو استـعدادا للعبث وخـلال سبع سنوات فقط كنت جمعت من المال مالم يجـمعه زملاء لى خلال ثلاثين سنة ، فاشتـريت الشقة وأثثتها بأثاث فـاخر واشتريت السيارة وأصبحت عيادتى أشـهر عيادة فى الحى كله والتحقت بأكبر الاندية الاجتماعية من باب المنظرة فقط لأنى لا أجد وقتا للذهاب إلى أى مكان سـوى إلى «المجـزرة» التى أجرى فـيهـا عملياتـى ، وفى احدى الليالى وكان المرضى قـد انصرفوا وأنا فى مكتبى أحصـى النقود المكومة أمامى من إيراد اليوم فوجئت بهـا تطرق الباب وتدخـل علىَّ .. إنها خطيـبـتى السابقـة التى حولتنى إلى هذا الوحش وقد جاءت لتقول لى كلاما بلا معنى.. من نوع .. إن الله قـد انتقم لك منى ، وإننى غـير سـعيـدة مع زوجى وإنه وحش وتريدنى أن أساعدها فى الطلاق منه لتعود إلىَّ ونتزوج ونعوض ما فاتنا من سعادة ، سمعت كلماتها ولم أشعر بأى عاطفة نحوها .. ولا بأى إشفاق عليها ، وإنما شعرت بشماتة عجيبة فيـها .. وظللت صامتا إلى أن انهت كلامها ، ثم وجـدتنى فجـأة انتـفض واقـفا وأتجـه إليـها ثـم أجذبهـا من ملابسـها وأدفعها فى اتجاه البـاب ، فخرجت مهرولة ودموعها تسابقـها وعدت إلى مكتبـى وصدرى يعلو ويهبط ومشـاعرى

ملتهبة ثم انفجرت فى البكاء ربما للمرة الأولى فى حياتى ، ولا تتصور أني بكيت من أجلها ، فلقد بكيت حزنا على نفسى وعلى ماترديت إليه ووجدت صورة أبى تقفز إلى مخيلتى وسمعت صوته يرن فى أذنى كأنه يقول لى : أهذا ما علمتك إياه من قيم وفضائل .. أهذا ما حرمت نفسى من أجله لتعليمك وتربيتك لكى تسعد الآخرين ؟

فخرجت من العيادة الملعونة مندفعا وركبت سيارتى وجريت بها فى الشوارع بلا هدف وفى الصباح أغلقت العيادة وأبلغت المرضى أنى سأحصل على إجازة طويلة وأمضيت عدة أيام غير قادر على عمل أى شىء ثم ركبت الطائرة وسافرت إلى الخارج لمدة شهر ، راجعت نفسى خلاله وعدت عاقدا العزم على أن أبدأ حياة جديدة ومن المطار عدت إلى شقة الأسرة الصغيرة التى تعيش فيها أمى مع أصغر اخوتى بعد أن رفضت أن تعيش معى فى شقتى الجديدة كأنها كانت تحس بقلب الأم انها مشتراة من مال حرام رغم أن اخوتى لم يجرؤوا على إبلاغها بما وصلت إليه وجلست إلى جوارها وهى تصلى وتدعو لى الله أن يفرج كربتى وأن يذهب عنى الضيق الذى أحس به . وبعد أيام عدت إلى عملى بالمستشفى الحكومى الذى لم أذهب إليه طوال ٧ سنوات إلا خطفا وكنت أحصل على مرتبى منه بلا عمل وأتصيد الزبائن منه لعيادتى حيث «أذبحهم» فيها وأصبحت أصحو كل صباح مبكرا فأذهب إلى المستشفى فأعمل وأنا مستريح الضمير وأعود إلى بيت أمى فى الظهر مستريحا فأمضى الوقت مع أمى ومع أخوتى الذين انصرفت عنهم طوال السنوات السبع الرهيبة .

ومنذ ذلك الحين لم أفتـح أبواب العيـادة بل ولم أمـر من الشارع الـذى تقع فيه . والآن يعـلم الله صدق توبتى ورغـبتى فى أن أعود كـما كنت إنسـانا نظيفـا طاهرا وقد بدأت أشـعر بطعم اللقـمة الحلال وبطعم النوم الهـادىء أما هى «مـعذبتى» فلم أعـد قادرا حتى عـلى كراهيـتها وإنما أصـبحت أطلـب لها المغفـرة لما سبـبته من آلام لـلجميع. والآن ياصـديقى يؤرقنى شىء واحد هو ماذا أصـنع بهذه التلال من الأموال المغـموسة فى الحرام التى جمعتها مـن دماء مرضـاى .. لقد حزمت أمرى فيما يتعلق بالعمل لكنى لم أحزم أمرى بعد فيما أفعل بعائد هذا العمل المحرم فهل تسـتطيع أن تشير على بالرأى الصواب وهل ترى أن الله سبحانه وتعالى سوف يقبل توبتى ؟



□ ولكاتب هذه الرسـالة أقـول : إننى أشكرك يـاصـديقى على حرصك على أن تـضـع تجربتك الفريدة هذه أمـام قراء بريد الجمـعة لنستـفيد جمـيعا من درس التـجربة المريرة التى عانيتها ، وخيـر التجارب مانتعلم منه أن المال الحرام لا يحـقق السـعـادة كـمـا يتـصـور البلهـاء ، وأن الطريق الخـاطىء لا يقود إلا إلى التعاسة والهلاك .

لقد مررتَ بتـجربة أليمة يا صـديقى وشاءت لك الأقدار أن تنجو سريعـا من المستنقع الذى سقطت فـيه وأن تعود إلى نفسك وتستشعر عذاب الضمير لذلك فاننى لا أتوقع لك أن تعود مرة أخرى إلى الطريق الخاطىء لأن معدنك أصيل رغم كل شىء ولأنك تـعلمت الدرس الثمين من الـتـجـربة القـاسيـة والمثل الانجليـزى يقول «تجـربة المتنى تجـربة

علّمتنى» ولقد تعلمت خـلال فترة قصيرة مـالم يتعلمه من أفنوا العمر يجـمعون المال الحرام بلا أدنى إحـساس بوخز الضمير ومن لا يفيقون عادة إلا على الصدمات المزلزلة وقد لا يفـيـقـون حـتى يواريهم التـراب، فـأنت إذن ياصـديقى صاحب قلب حكيم وإنى لأستشعر صدق رغبتك فى التطهر مما اقترفت يداك تحـت تأثير المحنة التى عشتـها ، وحكمة التوبة أنها تفتح البـاب أمام الخاطئين فى أى وقت للرجوع عن الخطيـئـة ، ولو أغلق الله جل شـأنه باب الـتـوبة فى وجـوه الخـاطئين مـا وجـد خاطىء دافـعـا لكف الأذى عن الآخرين والتوقف عن غيه مادام سوف يؤخذ بجريرته إلى الأبد ولا أمل له فى المغفـرة ، فلا تشك أبدا فى أن الله سوف يتقبل توبتك وأنه سوف يقود خطاك إلى الطريق المستقيم .

أمـا أمـوالك المغـمـوسـة فى الحـرام .. فلعل أهل الذكـر يشـيرون علىَّ وعليك بما تفـعله بهـا .. ولكنى قد أتصـور مبـدئيا أن خـير ماتفـعله بها هو أن تهب مـعظمهـا لشراء أجهزة طبـية غالية الثمن كـأجهزة غسـيل الكلى أو أجهزة رسم القلب وما أشـبه والتى يستـفيد منها المرضى الفـقراء وأن تتبرع بهذه الأجهزة للمستشـفيات العامة .. فتحول ما كسـبتـه خلال سـنوات الضيـاع إلى عمل نافع يخـفف عن الآخرين آلامهم ويجرى عليك حسنة جارية تذهب السيئات وتبشرك بأجر عظيم ، كما أتصور أيضا أن عليك أن تسقط من حـياتك هذه السـنوات اللعينة وأن تبـدأ حـياة جـديدة يوفقك الله فـيها إلى من تستـحقك وقد أحـسنت صنعا حين طردت فتاة «الأحلام المنهارة» من حياتك إلى الأبد فهى فتاة

انتـهازية بطبـيـعتـها وهى حين عـادت إليك لم تعـد إليك مدفوعة بحـبها القديم وحده وإنما بما سمـعته عن نجاحك وثرائك ـ فيما أتصور ـ فأرادت كـعادتها فى الحصول على الأشـياء الجـاهزة بلا كفـاح أن تحصل على المال والنجـاح وفتى الأحـلام القديم . ولم يكن عدلا أن تعطيهـا الدنيا كل شيء ولم يكن عـدلا أن تتـقبل أنت بقـاياها بعـد أن باعت الحب والأحلام بالشقة والسيارة بحـجة الواقعية المزعومة وهى فى الحقـيقة ليست واقـعية وإنما عـزوف عن الكفاح ورغبـة فى الاستـسهال وجـرى وراء المال بلا مشـاعر ولا أحاسيس .. وهذه كلها ـ بكل أسف ـ من أمراض العصر .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة

٣

فوق السحاب

قد لا تهم مشكلتي أحدا.. وبالرغم من ذلك فإني أحس بالرغبة في أن أرويها لك .. لأني في حاجة الى مشاركة وجدانية ولو على البعد.

وقصتي يا سيدى تبدأ منذ حوالى سنة حين دعيت لحضور زفاف إحدى صديقاتي فتعرفت في حفل الزفاف على شاب وسيم رقيق عرفت فيما بعد أنه ابن عم

العروس.. جاءت جلستى معه على نفس المائدة فتعرفنا وتبادلنا الحديث ومضت أسابيع قليلة بعدها لم أره أو ألتق به خلالها ثم فوجئت به يتقدم لخطبتى فوافقت.. فلقد كان كما يقولون «عريس لقطة» فهو شاب هادىء.. مؤدب «وعريق» ماديا واجتماعيا ، وكان طلبه الوحيد من أسرتى هو إتمام الزواج خلال شهر واحد فقط من يوم تقدمه لخطبتى وخلال شهر الإعداد للزواج اقتربت منه جدا وبصراحة فقد وقعت فى غرامه بطريقة عنيفة فلقد كان الرجل الأول والأخير فى حياتى.. وكان كل شىء يمضى على ما يرام خلال فترة الاستعداد للزواج.. ما عدا إصراره على الزواج بسرعة رهيبة.. بلا سبب مفهوم حتى لقد دهشت والدته من هذه السرعة وتعجبت من رغبته فى عدم انتظار عودة شقيقته التى أتمت دراستها فى الخارج وعلى وشك الوصول لتحضر زفافه.. وهى كما يقولون توءم روحه وسرِّه.. وحبه الكبير، المهم تم الزواج بغير انتظار شقيقته وبدأنا شهر العسل وكان سعيدا جدا وكنت طائرة فوق السحاب.. الى درجة أننى لم التفت الى عبارة كان يرددها باستمرار خلال أيام العسل هى «ربنا عوضنى بيكى» ولم أتوقف لأسأل نفسى عوضه عن ماذا وهو شاب لديه كل شىء فى الدنيا ؟

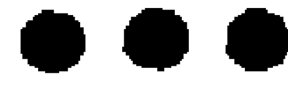
المهم قطعنا شهر العسل بعد ٣ أسابيع لنستقبل شقيقته العائدة من الخارج.. واكتشفت فى المطار أنها كانت زميلةً لى فى الدراسة وسعدت بها جدا.. ومضى أسبوع آخر وأنا أستغرق يوما بعد يوم فى حب زوجى حتى أصبحت أشعر به تحت جلدى وفى عروقى، فمشاعرى تهتز حين أنطق باسمه..

وقلبي يرتجف حين أراه وانتهى شهر العسل وعاد زوجي الى عمله وفى أول يوم من أيام العمل رجع إلى البيت فى المساء ودخل مكتبه فى الشقة متعللا بأن لديه عملا ورجانى أن أنام وأتركه فتركته وذهبت الى فراشى وبعد ساعة نهضت لأطمئن عليه فوجدت نور غرفة المكتب مطفأ.. ووجدت زوجى جالسا فى الشرفة ساهما والدموع تنساب من عينيه. فزعت وحاولت أن أعرف منه ماذا جرى فرفض ورجانى أن أتركه فتركته ومن هذا اليوم يا سيدى لم يعد زوجى.. هو نفس زوجي الذى عرفته وأحببته، فلقد انصرف عنى تماما ولم يعد ينظر الىّ أبدا ولا يتحدث معى الا بالكلمات الضرورية.. يذهب الى عمله فى الصباح ويعود فى المساء الى غرفة مكتبه ليجلس مع حزنه المستمر وإذا جمعنا مكان أو جلسة عائلية انتحى جانبا بأحد الحاضرين واستغرق معه في حديث طويل لا أسمعه، وسألته ان كان غاضبا منى فأنكر.. ثم لاحظت أنه ينتحى بشقيقته ويتحدثان حديثا هامسا طويلا فسألت شقيقته فلم تقل لى سوى : « خليكى معاه » فضغطت عليها.. وقلت لها إننى في طريقي للجنون ففسرى لى ما حدث لزوجي فنظرت إلىّ بإشفاق ثمّ ورت لى ما لم أتوقعه، فقد قالت لى أن زوجى كان مرتبطا عاطفيا لسنوات.. بفتاة أحبها بصدق وأحبته واتفقا على الزواج.. لكنها فجأة تزوجت بغيره وتصور أنها قد غدرت به وبحبه فتزوجنى على وجه السرعة لينساها ووجه كل اهتمامه الىّ وسعد بى إلى أن انتهى شهر العسل وذهب الى مكتبه فى اليوم الأول فاتصلت به إحدى صديقاتها لتقول له إن فتاته قد زوجوها رغما عنها وأنَها عجزت عن المقاومة

فاسـتسلمت ثم سافرت الـى الخارج فى شهر العسل وعادت لتجدك متـزوجا.. ولم تتحمل فانتحرت وكان طلبـها الأخير أن تخبر صـديقتها زوجى بأنهـا لم تغدر به. سمعت مـا قالته لى شقيـقة زوجى وانهرت.. ألهذا إذن كان يتـعجل الزواج؟.. ألهذا اخـتارنى؟ بكيت طـويلا ثم استـجمـعت نفـسى وأدركت أننى أخـوض معـركة لاسـترجـاع زوجى.. وقلت إننى سأحـارب لإنقاذه وإنقـاذ بيتى وسعـادتى.. وفعلت المستـحيل لأستعـيده وأخرجه من حزنه ووحدته وانصـرافه عنى سألت عنها ورأيت صورتها وعـرفت عنها كل شىء.. وحاولت أن أكون مـثلها فى كل شىء .. فى تسريحة شعرها وفى طريقـة لبسـها.. وطريقة كلامـها.. وعاداتهـا وفى كل شـىء.. ففـشلت.. واستمـر حزينا وحيـدا. وحاولت أن أكون عكســها فى كل شـىء لعلى أعجـبه.. ففـشلت أيضا واستـمر وحيـدا، وواجهتـه ذات يوم بما عرفت وقلت له ان ما حدث ليس خطأه ولا خطئى.. وإنى مستعدة لأن أعيش تحت قدمـيه من أجل أن تعود اليه ابتسـامته.. فنظر إلى بعطف ثم مـد يده ليربت عـلى خدى. وكـانت المرة الأولى التى يلمسنى فيها منذ ٥ شــهور.. ثم قال لى «أشكرك يا....» وكانت المصيبة أنه نطق باسمـها هى لا باسمى أنا زوجته وحين بكيت اعـتذر لى آسـفـا بأنه لم يقـصد إيلامـى.. لكنها فـلتة لسـان ومـازلت أعانى هـذا العذاب كل يوم.. أحـيـانا أريد أن أواصل الكفـاح معـه وأحيـانا أخرى أشـعر ألا فـائدة هناك ولابد من الانسـحاب بهدوء..

ان شقيقته ترجونى ألا أتركه.. وأن أستمر فى المحاولة وأن أنجب طفـلا لكى يربط بينـى وبينه ويرجـونى قلبى كـذلك أن

أستمر وأن أحاول.. ولكن عقلي يكاد ينفجر مما أراه من فشلي معه.. فهل ستجدي محاولاتي.. وهل أخطأت؟



□ وأقول لكاتبة هذه الرسالة: لا ياسيدتي لم تخطئي فيما حدث ولا ذنب لك فيه.. لكنها أقدار مأساوية اختارتك بمحض الصدفة لتكوني البطلة المعذبة في هذه القصة الغريبة التي كدت أشك في أنها قصة منقولة عن أحد الأفلام القديمة لولا أنني أحسست بصدق مشاعرك وبصدق كلماتك وأنت تروين فصولها وترويين عذابك معها.. وإن كنت لا أفهم سر هذه المأساة التي حالت بين زوجك العريق ماديا واجتماعيا كما تقولين وبين الزواج من فتاته.. فقصتك كلها تجرى في وسط لا يحول فيه أهل بين فتاة ومن تريده كزوج بلا سبب هكذا.. الا إذا كنت قد أغفلت ذكر السبب عن عمد.. على أية حال فانني لا ألومك على ما حدث إلا في نقطة واحدة هي الزواج السريع الطائر الذى تم خلال شهر واحد من يوم التقدم للخطبة إلى الزفاف وأنت لا تعرفين شيئا تقريبا عن زوجك الجديد، وكانت النتيجة أن اكتشفت أنك الوحيدة التي لا تعرف قصته.. كذلك فإني ألومك ـ وإن كنت أفهم دوافعك وأقدرها ـ على محاولاتك لأن تستعيدي الزوج الغائب بمحاولة أن تكوني مثلها في كل شيء أو عكسها في كل شيء.. فهذه المحاولة وان كانت نابعة عن اخلاصك وحبك لزوجك إلا أنها ليست الطريق السليم لاستعادته.. فكوني نفسك يا سيدتي، ولا تكوني غير نفسك مهما حدث فهو ان استجمع نفسه من محنته

فلابد أن يقبلك كما أنت لا كما يتصورك، بل إنها إهانة لك أن يريدك صورة باهتة لأحد غيرك.. فاصبرى عليه واستمرى في محاولاتك معه وسوف تنجح محاولاتك في النهاية فمن نعم الله على الإنسان أنه أنعم عليه بالنسيان يداوى به جروحه وآلامه.. وهو سوف ينسي ما حدث بعد حين.. وسيعود إليك.. لكنى فقط أنصحك بتأجيل الانجاب إلى أن تستعيديه تماما وتتأكدى من شفائه مما حدث.. فقفي بجواره لأنه يحتاج اليك.. ولأنك كما فهمت من رسالتك متمسكة به وراغبة فيه بإخلاص وقلبك كما تقولين يرجوك أن تستمرى، فاستجيبى لندائه.. وأعطى عقلك إجازة قصيرة إلى أن تستعيدى زوجك من غربته.. وسوف تنتصرين فى النهاية بإذن الله.

أصدقاء
على الورق

قصص واقعية
من الحياة

٣

انتصار الحياة

أنا يا سيدى صاحبة القصة أو المأساة التى نشرتها منذ ٩ شهور واخترت لها عنوانا معبرا هو «فوق السحاب» وباختصار شديد فإنى أكتب لك لأخبرك أن ما توقعته قد حدث وإننى انتصرت كما توقعت لى. رغم أننى لم أكن أتوقع ذلك ولم أكن أشاركك تفاؤلك . فلقد عملت بما نصحتنى به تماما، فصبرت

على زوجي، وواصلت محاولاتي معه وكففت عن أن أكون أية إنسانة غيرى وغير نفسي وشخصيتي وأنا أكتب لك قصة نجاحي هذه لأنها قصة نجاح أخرى لبريدك.. فقد بدأت محاولتي الجديدة بأن وضعت أعصابي في ثلاجة وانتهت ثوراتي تماما، وعدت رقيقة هادئة كما كنت مع زوجي قبل المأساة، حتى أنه بدأ ينظر إلى باندهاش من تغيري، ثم بدأت شيئا فشيئا في التسلل إليه والحديث معه عن أى شيء.. لكني كنت أحرص في النهاية على أن يصل الحديث إلى مأساة غريمتي... وشيئا فشيئا بدأت أنزلها من مرتبة الآلهة التي وضعها فيها زوجي إلى مرتبة البشر بحسناتهم ونواقصهم حتى إذا ما وصل زوجي معي إلى هذه المرحلة بدأت في إقناعه ببطء بأن الإنسان مخير في تصرفاته وأن كل ما يفعله إنما يفعله باختياره لكن القدر في النهاية هو الذي يضع لمساته الأخيرة على لوحة الحياة، فالمسئول عن زواج غريمتي وانتحارها في النهاية هي نفسها وليس أى أحد غيرها، والمسئول عن زواجه مني هو وليس أحدا غيره، وبعد كل مناقشة هادئة من هذا النوع كنت أتركه وأنسحب إلى غرفتي وأدعه يفكر بهدوء في كلماتي، وكنت حريصة على ألا أفرض عليه نفسي في أي وقت أحس فيه أنه يحتاج الى أن يكون وحيدا مع نفسه ومع ذكرياته، وإلى جانب ذلك كنت أحدثه عن عمله، ولا أكف عن الصخب والمرح معه والخروج بصحبته كلما وجدت لديه استعدادا لذلك . والحمد لله كنت أنجح في أن أرى الضحكة تنير وجهه الجميل الذى أعشقه بصدق، ومع الأيام بدأت نفسي تهدأ.. لكن زوجي لم يعد إلى رغم ذلك حتى أوشك

أن أيأس مرة أخرى وعاد الشك الى نفسى مرة أخرى، وبدأت قدرتى فى الضغط على أعصابى تتراجع... وذات يوم طلب منى أن أذهب للبقاء مع والدته طوال النهار لأنها تحتاج الى رعايتى ولأن شقيقته مشغولة بالخارج فذهبت، وفى المساء جاء فاصطحب والدته واصطحبنى معه إلى بيتنا فدخلت الشقة لأجد مفاجأة عمرى. وجدت كل أصدقائنا وشقيقته فى شقتى... وأزهارا وشموعا وتورتة... إنه عيد ميلادى.. يا إلهى! إنه يتذكر عيد ميلادى ويقيم حفلا من أجلى.. وقد أعد الحفل خلال غيابى... فوقفت والدموع في عينى لا أصدق نفسى : إنه يتذكر عيد ميلادى... إنه يعود إلىّ بعد كفاح استمر أكثر من عشرة شهور.. لقد أراد الله لى النجاح فى النهاية لأنى أخلصت فى محاولاتى لاسترجاعه... وقد انتحى بى جانبا وقال إنه يعترف بفضلى وإنه يعرف الآن أن كل ذرة فى قلبه وعقله تحبنى... فبكيت طويلا والأصدقاء من حولنا يصخبون.

ولم أسعد فى حياتى مثلما سعدت فى هذه الليلة... إن للانتصار نشوة عظيمة... والعواطف تستطيع في النهاية مع شيء من العقل أن تنتصر... وما أحلى انتصارى... لقد كتبت لك لأن من حقك أن تعلم بسعادتى كما علمت من قبل بشقائى.. فهنيئا لى بزوجى بعد الغياب الطويل وهنيئا لك بدعواتى على نصيحتك المخلصة لى.



□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

وهنيئا لزوجك أيضا... زوجته المحبة المتفانية «المكافحة» بصبر وإخلاص لاستعادته.

لقد كافحت يا سيدتي كفاحا مجيدا للدفاع عن حياتك وعن سعادتكِ ومن حقك أن تجني ثمار العناء والشقاء والعذاب الطويل وأن تسعدى بها ، ومن واجب زوجك أن يقدِّر لك هذه التضحية وأن يشكر الله كثيرا أن وهبه هذه الزوجة المتفانية المتمسكة به رغم طول «السفر» بروحه ومشاعره بعيدا عنها. لقد انتصرت الحياة فى قصتك فى النهاية على أشباح الماضى... ولابد أن تنتصر الحياة لأن الحياة أقوى دائما من الأشباح، ولأن مثل هذه الإرادة الصلبة لابد أن تحقق ما تهدف إليه. إننى أشكرك على حرصك على إبلاغى بسعادتك كما سبق أن أبلغتنى بتعاستك، ولاشك أن رسالتك هذه سوف تسعد من تعاطفوا معك فى البداية وسوف تقنع أخريات بأن يواصلن الكفاح لاستعادة «المسافرين» بالروح والوجدان بعيدا عنهن...، وهذه هى أهمية التجربة الانسانية التى تطلعنا عليها بعض رسائل البريد... فرسالتك تثبت لغيرك أن للأمل بقية وانه لا يأس مع الحياة، وانه بالصبر والاخلاص قد يعود الغائب ذات يوم إلى عشه فشكرا لك وتمنياتى لك بعمر طويل من السعادة إن شاء الله.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٤

الزهور .. السوداء

لم أتردد فى الكتابة إليك لأننى أشعر بحاجتى إلى صديق أبثه همومى فى زمن عز فيه الأصدقاء.. ولأبدأ من البداية البعيدة فأقول لك يا سيدى إننى شاب فى أوائل الثلاثينات أحمل مؤهلا فوق المتوسط.. وقد نشأت فى أسرة متوسطة بين أبوين كريمين وبدأت حياتى العملية بعد تخرجى فى المعهد فى

وظيفة بالقطاع العام، ومضت الأيام هادئة إلى أن اكتشفت أننى قد بلغت السادسة والعشرين وآن لى أن أرتبط بإنسانة أبنى معها عش حياتى فوجدتها فى شخص قريبة لزميل لى فى العمل. وتعرفت إليها ودخلت المنزل من الباب وتمت الخطبة، وحصلت على إجازة بدون مرتب وسافرت للعمل فى إحدى الدول العربية لأجمع ما يكفى للحصول على شقة وتأثيث عش الزوجية واغتربت يا سيدى وذقت طعم الغربة من أجل غرض محدد هو المال. ولا أستطيع أن أصف لك مالقيته خلال رحلة غربتى من عناء وهوان ومشقة وكبت نفسى واجتماعى لكننى رغم ذلك تحملت وشقيت وعملت مضاعفا فى أسوأ الظروف فكنت أعمل دائما فى الصحراء وفى الجبال وفى سبيل حافز مادى أكبر، وعملت أكثر من وردية عمل في اليوم الواحد، وعملت فى نوبات العمل خلال الليل لأحصل على نقود أكثر، وحرمت نفسى من كل شيء عدا ما يقيم أودى من الطعام، لأوفر ما أحتاج إليه من مقدم للشقة ومن كماليات، ورغم ذلك فلقد كنت سعيدا لأننى أشقى من أجل هدف سعادتى مع الانسانة التى اخترتها .

ومرّت الأيام ثقيلة بطيئة لايعرف ثقلها إلا من عانى الغربة والوحشة.. يكفى أن أقول لك أننى كنت أخط خطا على حائط غرفة نومى كلما طلع النهار سعيدا بانقضاء يوم سوف يقربنى من تحقيق حلمى وكلما اكتملت ٧ خطوط شطبت عليها سعيدا بانقضاء أسبوع واقتراب جمع الشمل وكلما تجمع لدى مبلغ من المال حولته إلى مصر حتى استطعت خلال ٤سنوات استئجار الشقة وتأثيثها بكل الكماليات، وجاء يوم العودة

وعدت إلى مصر طائرا على جناح السعادة، وبعد أسابيع من عودتي تم الزفاف ودخلت عش الأحلام الذى بنيته طوبة طوبة بشقائي واغترابى لكنى أحسست بعد أيام من بدء حياتى الجديدة بشيء غامض فى جوها لا أعرف كنهه. أحسست بأن جوا من الفتور يخيم على عش الأحلام وبدأت أحس بأننى غريب فى بيتى. وأن فتاة أحلامي ليست على مايرام معى . وقلت لنفسى لعلها الغربة الطويلة التي باعدت بيننا ولعل الأيام تتكفل بإذابة الجليد لكن الأيام حملت لى بعد ذلك أكثر من تطور هام فبعد الزفاف بأسبوع أحضرت زوجتى سريرا صغيرا وضعته في غرفة الصالون وأصبحت تقضى معظم وقتها وحيدة فيه، وصدمت صدمة هائلة.. لكنى لم أفقد الأمل فى تغيير الأحوال بعد أن تخلق العشرة الروابط العميقة بيننا، وكتمت آلامى.. وواصلت الحياة فى صبر، وعدت للعمل بعد الأجازة آملا أن يخفف عنى العمل ما أعانيه .

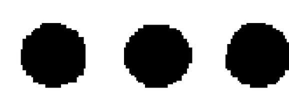
وسألت أهل الخبرة من زملائى.. فقالوا إن هذه هى أحوال بعض الفتيات الصغيرات فى بداية حياتهن الزوجية.. حيث تتغير حياتهن فجأة ويجدن أنفسهن بعيدات عن الأهل وبيت الأهل الذى نشأن فيه، وأن الفتاة تألف بعد قليل حياتها الجديدة وتتمسك بها، وأنه من المفيد فى هذه الحالة بعض اللمسات الرومانسية البسيطة كهدية صغيرة أوباقة زهور.. مع كلمات رقيقة أوفسحة في الخارج، واسمح لى أن أقول لك أننى حتى هذه اللحظة لم أكن قد اشتريت فى حياتى باقة زهور ولا أعرف عنها شيئا لكنى سألت فدلنى زميل على محل قريب ونصحنى بشراء زجاجة عطر وتقديمها مع الزهور ففعلت

ودخت فى الشوارع حتى وجدت سيارة تاكسى للعودة إلى البيت لكيلا تتمزق الزهور فى الأتوبيس، وعدت حاملا الزهور و«لفة» الهدية مترقبا أثر المفاجأة على وجهها الحزين وفتحت باب الشقة متوثبا ففوجئت بمنظر مازال محفورا حتى الآن فى ذهنى فوجئت بالشقة خالية تماما من كل شىء.. من زوجتى التى اغتربت من أجلها ٤سنوات، ومن الأثاث والسجاد والستائر.. والتليفزيون ومن كل الكماليات، درت فى غرف الشقة كالمجنون فوجدتها خالية تماما وليس فيها سوى البلاط وبعض ثيابى ملقاة على الأرض .

.. إننى ما زلت أتذكر هذه اللحظات القاتلة.. فأتذكر منظرى وأنا أطوف بالغرف الخالية مذهولا وأحاول أن أجد شيئا أستند إليه لكيلا أسقط على الأرض فلا أجد سوى كومة ملابسى فأجلس فوقها.. وأضع رأسى على يدى وأبكى حتى تجف دموعى.. ثم أنهض لأواجه الأمر الواقع فى النهاية وصدقنى أننى لم أبك حزنا عليها لكنى بكيت حزنا على نفسى وعلى قدرى وعلى سنوات عمرى التى أهدرتها فى الجبال والصحارى وحزنا على البراءة التى اغتيلت فى زمن لا مكان فيه للبراءة فأنا لم أفرض نفسى عليها.. فلماذا قبلتنى فى البداية؟.. ولماذا تطعننى هذه الطعنة ولم يمض على زواجى منها سوى ٣٠يوما وتبينت فى هذه اللحظة فقط أن زوجتى قد حزمت أمرها ودبرته ونفذته وأنا غائب تماما عن الموقف.. متصورا أن الأمر مجرد رهبة للحياة الجديدة وأنها سوف تألفها بعد قليل .

وبقدر ما تحملت من آلام نهضت فجأة وذهبت إلى بيت

أسرتي وطلقتها بلا تردد وبعد أيام بدأ الرسل يتوافدون بين الأسرتين لإنهاء الأمور التقليدية.. ولم أتوقف عند أى شيء وخلال الأيام والأسابيع السوداء التى تلت ذلك تكشف لى ما لم أكن أعرفه، فبعد ثلاثة شهور بالضبط من طلاقى لها تزوجت بمن تحب وهو زميل لها فى العمل نمت بينهما علاقة الحب خلال اغترابى. وكرهت الدنيا وأصررت على أن أحيا وحدى فى الشقة الخالية لكيلا أرى أحدا أويرانى أحد وعدت إلى شقتى ولست بحاجة لأن أقول لك أننى لم أكرر بعد ذلك تجربة شراء الورد فى حياتى مرة أخرى بل لعلى كرهته.. ومرت ٣سنوات.. وعدت أشعر من جديد بالوحدة وبدأ الحنين يراودنى إلى الزوجة والأطفال والأسرة مرة أخرى لكنى جريح.. وفارغ الجيوب بعد أن وضعت كل مدخراتى فى العش المنهار. وقطار العمر يمضى.. فهل ترانى أستطيع أن أبدأ حياتى من جديد وماذا على أن أفعل هل أغترب مرة أخرى لأعود وأنا فى الأربعين وهل ترى أننى سوف أستطيع أن أنسى ما حدث بسهولة ؟.



□ولكاتب هذه الرسالة أقول :

نعم يا سيدى تستطيع أن تبدأ حياتك متخلصا من آثار هذه التجربة المريرة عليك .. بل لابد أن تبدأ حياتك من جديد، فليس من المنطقى أن يضيع الانسان عمره فى اجترار آلامه.. وفى البكاء على الأطلال ولاشك أنك تعرضت لتجربة قاسية.. ضاعف من آثارها مايبدو لى من سلامة طويتك ونقص خبرتك بالحياة وبالبشر فلاشك أن النهاية

الدراماتيكيـة التي شهدها عش الأحـلام كانت لها مقـدمات طويلة تنمـو تحت السطح لكنك لم تلتـفت إليهـا في غمـار كفاحك لبنائه بالغربة وبالعـمل المضاعف والشقاء، لكن ما مضي قد فات ولايفيد الآن البكاء على اللبن المسكوب بل ولا يشرف الانسان وهـو في مكتمل رجولته وحيـاته أن ينهار انهيـارا تاما أمـام تجربة مهـما كـانت مرارتها، فـقف على قدمـيك مرة أخرى وتعلم أن الحـياة تجارب وعـثرات وأن الانسان استمد قدرته على البـقاء من قدرته على امتصاص الألم واحتـماله، والحق أنني رغم احتـقاري لتصرف فـتاة أحلامك وانتـهازيتهـا التي سمحـت لها باستكمـال المشوار مـعك وهي مـرتبطة بغـيرك إلا أنني أرى أن مـاحـدث هو أفضل كثيرا من استمـرارها معك وهي غير مخلصة لك ولو بمشاعرهـا فما أقسى أن يحيـا الانسان مع من تهفـو نفسه إلى غيـره، وما أوحش أن يعيش تحت سـقف واحد مع من لايرى فـيـه شريك أحلامـه وكم من مـآس يصنعـهـا هذا الحـال.. فاشكر الاقـدار التي ارادت أن تجنبك هذا المصير بلا مآس اجتماعية.. كوجود أطفال يعقد وجودهم الأمور .

فاستـعد نفسك يا صديقـي فقصتك قديمة قـدم التاريخ وقـدم عذاب الانسـان وحـيرتـه، لكنها ليـست من قـوانين الحياة بل هي في النهـاية استثناء من القاعـدة والاستثناء موجـود دائما.. والقاعـدة السليمة الخـيرة موجـودة أيضا دائما فليـست كل الفتيات كفـتاتك ولا يعني امتحـانك بهذه الفتاة أنك سوف تمتحن بغيرها، بل لعل ضريبة الألم التي دفـعتـها ترشـحك لأن تنال حقك العـادل من الحـيـاة ولأن

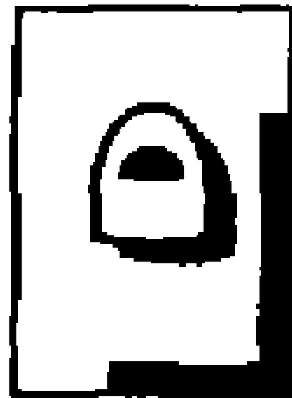
يعوضك الله عما لقيت بمن تضمد جراحك وتعيد إليك ثقتك بنفسك وبالحياة والبشر والخير، وما أكثر التجارب الناجحة التي سبقتها تجارب مؤلمة فاشلة. بل لعل التجارب المؤلمة تنضج شخصية الانسان على نار هادئة وتساعده على تفهم الحياة والتعامل معها.

والحق أنك انسان شهم مضح فلقد انسحبت من حياة فتاتك الظالمة بهدوء ولم تتردد في طلاقها.. ولم تفكر في مماطلتها.. أوتعليقها أو جرجرتها في المحاكم كما يفعل الآخرون وهذه «فروسية» تتفق مع شخصيتك وتتلاءم معها أما السفر إلى الخارج فأمره متروك لك لكنى أتصور أن وجود الشقة وحده يذلل عقبات الزواج وبالتالى فلاحاجة لرحلة اغتراب جديدة تبدأ بالارتباط الاسمى مع فتاة ثم تتركها لتبحر من جديد في بحار المجهول لفترة طويلة لا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث فيها فإذا ارتبطت مع أخرى فلتتعاونا على بدء حياة جديدة هنا تتشاركان في بنائها معا ، لتكونا أنتما الاثنان حريصين على نجاحها واستمرارها .. ومسئولين معا عن ذلك ..

... وإلا فما فائدة الألم إذن .. إذا لم نتعلم من تجاربنا ؟.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



الطريد

«أقرأ بريدك كل أسبوع . . وأتابع مآسيه وأفكر منذ زمن طويل فى أن أكتب إليك لأنفس عما فى صدرى ثم أؤجل قرارى حينا بعد حين، حتى وجدت نفسى والدنيا قد اسودت فى عينى فأمسكت القلم لأكتب لك هذه الرسالة : أنا يا سيدى لم تسود الدنيا فى عينى لأننى أنظر من شرفة «بيتى» فأطل على قصر

تقام به المهرجانات كل يوم ويغرق أصحابه فى الترف والسفه، كما هو حال المهندس الشــاب الذى كتب إليك بذلك. ولا اسودت الدنيا فى وجهى لأننى أعيش فى «بيت» أبى ومازلت أبحث عن شقة لأتزوج فيها كما هو حــال المهندسة الشابة حديثة التخرج التى كتبت إليك. ولا أنا سجين الأســوار الحزين لغدر خطيبتى بعد دخولى الســجن كما كتب إليك الشاب الذى سيـقضى مدة العقوبة طالت أم قصرت ثم يعود إلى «بيته» ولاحظ يا صديقى أنى أضـع كلمـــة بيت دائمــا بين قـوسـين لأن فى هــذه الكلمــة البـسيطة مـشكلة حيـاتى التى سأرويهـا لك الآن . فأنــا شاب بكليــة الطــب بالسنة النهــائيــة.. لم يبــق على تخــرجى ســوى ٣شـهور قد تحدث بعدها المعجزة وأصـبح طبيبا .. وقد مات أبى وأنا طفل صغير فلم أعرفه ولا أكاد أذكـر شيئا عنه وكنا وقتها نقـيم فى مدينة صـغـيرة قـريبة مــن القاهرة، ٤ أخـوة منهم ٣ ذكور وأخت واحدة، أنا أصغرهم، وكافحت الأسرة الصغيرة حــتى تعلم الأبناء وتزوجـوا جمـيعــا ماعـداى بالطبع وعــملوا وأقاموا فى القــاهرة، وبقيت أنا مع أمى فى مدينتى الصــغيرة حتى حـصلت على الشــانوية العامــة بمجمــوع كبـير والتحــقت بإحـدى كليــات الطب بالقــاهرة.. واجـتـمعـت الأسرة لتـقــرر مصــيرى فاســتقر الرأى على أن نعـيش أنا وأمى مع شقـيقى الأوسط فى شقته الصغيرة مع زوجـته وولديه، فأقمنا معه أنا وأمى فى غرفة وشقيقى وزوجـته فى الغرفة الأخرى، ومضت الحياة طبيـعية يرعانى شقيقى الأوسط بدخله البـسيط إكراما لأمى وأنا أبذل قـصارى جــهـدى فى الدراسة وأنجح كل عــام والحياة تبدو واعـدة بالمستقبل الطيب وبالخيـر. ثم فجأة ماتت

أمي وأنا فى السنة الثالثة بكلية الطب، فاهتز كيانى كله وبكيتها طويلا، ولم أكن أتصور أني فقدت بفـقدها كل شىء.. النصير.. والأمان.. والكرامـة.. وكل شىء. فبعـد وفاتهـا بأسابيع بدأت معاملة زوجة أخـى لى تتغير وبدأ الجميع يضـيقون بوجودى بينهم.. وراحت زوجة شـقيقى تـدس لى عند شقيـقى وعائلى الوحيد وأبى الذى لا أعرف أباً لى غيره وصمد أخى فى البداية قليلا ثم ضـعف بعد فـترة قصـيرة وانسـاق لزوجته وكـثرت المشـاكل، وأنا صابر أبذل المسـتـحيل لإرضـاء أخى وزوجتـه وولديهمـا. إلى أن جاء يوم كنت جالسـا فيه إلى مكتـبى أذاكر دروسى وأجتر همـومى فأجد صورة أمى تطفو فوق صـفحة الكتاب الذى أقرأه.. وأتذكر حنانها وعطفها علىّ.. وتدمع عيناى فأفيق من سـرحانى وأعود لنفسى، ثم فتح البـاب فجأة بعنف ودخل أخى ووراءه زوجـته، والغـضب واضح فى عينيـه.. ثم صاح فىّ «مـاذا تفعل هنا».. واندفع بلا مـقدمات يلقـى بكتبى على الأرض وبملابسى وزوجـته تسـاعـده وفرحـة الشمـاتة القاسية فى عينيها وأنا أقف مذهولا.. كتابى فى يدى.. ولسانى عاجـز عن النطق ثم نطقت أخـيرا بعـد جهـد.. وكانت العـبارة الوحيـدة التى استطعت أن أنطق بهـا.. هى «حاضـر يا أخويا.. حاضـر يا اخويا».. فقد فـهمت أخيـرا بعد صدمة المفـاجأة أنه يطردنى من رحمته.. ومن رعايتـه.. ومن مأواى الوحيد لسبب لا أعرفه، وانحنيت أجمع كتبى وأدواتى وقواميسى.. وملابسـى القليلة من الأرض وأضعها فى حقيـبة صغيرة. ثم أستأذنه فى أن أخلع البيجـامة وأرتدى القميص والبنطلون والحـذاء فأشار بيده أن «أفعل» ففعلت تحت بصـره، ثم حملت كتبى وملابسـى

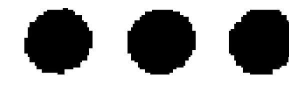
وغادرت الشـقة بخطوات سريعـة متعثـرة.. وحاولت أن أبحث بعيني وأنا في طريقي للخـروج عن ابنيْ أخي اللذين أحببتـهما من قلبي لأودعهما.. فوجدت باب الغرفـة مغلقا عليهما، فأخذت طريقي إلى باب الخروج صامتا.. نزلت إلى الشارع أحمل صفا عاليا من الكتب وحقـيبة صغيرة بها بعض الحاجـيات ومشيت بلا هدف.. وفي جـيبي ٧٥قرشـا هي كل ما أملكه من الـدنيا.. ومشـيت حتى كلَّت قـدماي من المشي.. وكـلما تعبـت وضـعت حملي على الرصيف وجلست بجواره ألتقط أنفاسي.. ودموعي تتساقط بلا إرادة. ثم وجدت قدماي تقوداني إلى بيت شقيقتي المتـزوجة وقـد اقتـرب الليل من منتـصفـه وضغطت الجـرس ففتحت شقيقتي الباب ووجدتني أمامها حاملا كتبي ففهمت كل شيء. وفي اليوم التالي جاء شقيقي الأكـبر وقرر مع شـقيقتي أن أقيم لديها على أن ينفق هو على لاستـحالة إقامتي لديه لأن زوجته هي شقيقة زوجة أخي الأوسط.. كما قرر مقاطعة أخي الأوسط لطرده لي بلا سبب وبدأت إقامـتي في بيت أختي منذ ذلك اليوم وعـادت الحيـاة تمضي طبيـعية رغـم الجراح... لكن المشكلة ياصديقي هي أن «ابـن آدم» ثقيل في أي مكان لايملكه، وأنا لا بيت لي ولا أب ولا أم ولا دخل، وشقيـقتي مثقلة بأعباء ستة أبناء وزوج لهم عليها حقوق.. والعواطف الحارة تبرد بعد حين تحت وطأة الحـياة وضـيق المكان فـبدأت مـعـاملة الأبناء والزوج تتغيـر وبدأ الإحساس بمزاحمـتي لهم ثم بالقرف مني والضيق بي وبوجـودي، وكنت قد تعلمت الدرس من التـجربة الأليـمة التي مـررت بها.. فـحـاولت أن أوزع «ثقلي» بين بيت شقـيقتي وبيت شـقيقي الأكبـر.. وكلما أحسـست أن الإناء قد

فاض بما فيـه فى بيت شقيقتى.. حـملت كتبى وذهبت إلى بيت شقيقى الأكـبر.. حيث أقابل بالوجوم عند رؤيتى وبالاسـتقبال الفاتر والضيق المكتوم، فأتحمل كل ذلك صابرا لمدة لاتزيد على ٣ ليال، على أمل أن تكون هذه المدة بمثابة إجازة يتنفس خلالها زوج شقيقتى وأبناؤه الستة الصعداء لغيابى عنهم.. ثم أجد أنه لامفـر من العودة إليهم قبل أن أطـرد من بيت شـقيقى فـأحمل كـتبى مـرة أخرى وأعـود فأحس أن عـودتى قد نزلت عليـهم كنزول القضاء المستعجل.. وأدرك كل ذلك.. ولكن ماذا أفعل.

هل جربت يا صديقى مرة أن تدخل بيت شقـيقك متحرجا.. مكسوفـا.. خجلا.. مبـتسمـا.. فتقابـل بنظرات الضيق بدلا من نظرات التـرحيب وبالسـلام الفاتر بدلا من التـحيـة الحارة ثم تحس بأن الجمـيع يتمنون من أعـماقهم لو لـم تجىء؟ ثم بعد أيام تذهب إلى بيت شـقيقـتك فيكون نفس الاسـتقبال ونفس الاحساس .

إننى أواجه هذه المحنة منذ عـام ولا أملك إلا الصبر عليـها.. فأنـا بلا بيت ولا أهل.. ولا أحد يهـتم بأمرى أو يسـأل عنى.. إنها محنة ألا تملك من أمـرك شيئا فلا تسـتطيع أن تتحرك فى المكان الذى تعيش فيه ولاتسـتطيع أن تنام أو تصـحو أو تذاكر أو تأكل أو تشرب إلا بإرادة غيرك إننى أكتب إليك هذه الرسالة تنفيسا عـنى ولأدعوك أن تشاركنى فيها كـما تشارك الآخرين ولكى لا تذوب حزنا وأسـى عندما تعـيش مشاكل الآخرين التى تصلك فترد عليها مشكورا ليس لأن مشاكل الآخرين أقل أهمية وإنما لأننى أتصور أنه لايوجد إنسان غـيرى لا مأوى ولا أحد له غيرى، كذلك أكتبها لك ليرى المهندس الشاب صاحب الشرفة

والمهندسة الشابة حديثة التـخرج والسجين الشاب المجروح أن كـلا منهم رغم كل شـيء له بيت يعـود إليه لـعل ذلك يدفعـهم للصـبر على مـا يشكون منه ولكي يرضوا بحـياتهم فـهى أقل عناء من حياتى ..».



□ ولكاتب هذه الـرسـالة أقـول : ومن الذى قـال إن مـا ينشر في بريد الجمـعة هو أكثر المشاكل إيلامـا ومأساوية في الحياة؟ إن الحياة مليئة بالمآسى لكن كل إنسان يتصور أن مشكلته هي المأساة الوحيـدة فى الحياة وهو معذور فى هذا الظن لأنه يعيش آلامه هو لا آلام الآخـرين ومن حقه أن يشكو مما يعـانيه بل وأن يصـرخ ألما أيضا فالألـم المكتوم أكثر قـسوة من الألم المسموع ومن فـوائد أبواب البريد في الصـحف أنها تتيح لنا فـرصة الاطلاع على آلام الآخـرين وعذاباتـهم فنكتشف أحـيانا أن ما نـعانيه هو من تـفاهات الحياة بالقـياس إلى آلامها ومشاكلهـا الأخرى، وفي حالتك هذه فأنت تتصور أنك الوحيد فى العالم الذى لا بيت له ولا أحد يهـتم به ويرعاه وهذا غـير صـحيح فكثـيرون هم من لابيوت لهم ولا أهل ولا أحد يرعاهم وينفق عليهم كما يفعل شـقيـقك ولست أقلل بذلك من شـأن مشكـلتك.. فقـد آلمتنى بأكثـر مما تتخـيل خاصـة مشهـد الطرد البشع مـن أخيك القاسى المجرد من المشاعر الانسانية، لكنى فقط أدعوك لأن تضعها فى حجمـها الطبيعى وسط جبال المآسى التى تطل علينا من كل الجوانب، وأدعـوك لأن تنظر إلى الأمام بوجه مبتسم بالرغم من كل شـيء لكى تنهى رحلة كفاحك وعذابك

التى أوشكت على النهـاية قريبـا بإذن الله، وأدعوك أيـضا لئلا تحمل إحســاسا بالمرارة فى نفسك تجاه شقـيقك الأكبر أوشقيقتك أو زوجـها أو أبنائها وأطالبك بأن تقدر ظروفهم وتحس بهـا.. فشـقيـقتك مـغلوبة على أمرها وحـائرة بين واجـباتهـا ومشـاعـرها الأخوية تجـاهك وبين واجـباتهـا ومشـاعرها العائليـة تجاه زوجهـا وأبنائها، وشقـيقك فى نفس الموقف الصعب «وبنى آدم» ثقيل فى النهاية كما تقول أنت وهما مـعذوران وأنت معذور وكلنا مـعذورون فى هذا الزمن الصعب الذى لايتحـمل فيه أحد أحدا ولا تسـمح فيه علب السردين التى يعيش فيها كـثيرون بالقيام بالواجبات العائلية تجاه الآخرين .

إن رحلتك يا صديقى قد أوشكـت على النهاية بنجاح إن شاء الله وسوف تتخرج طبيبا تـقيم فى المستشفيات خلال عام الإمـتيـاز بعد شهـور. وزوال العبء المالى الذى تمثله حاليا للآخرين سوف يغـير بعض ملامح الصورة الحزينة وبريد الأهرام من جانبه يسعده أن يتحمل مسئوليتك خلال الشهور الباقيـة مع كل الاحترام الواجب لمشاعرك وظروفك الخاصـة مساهمـة فى إقناعك بأنك لست وحـدك فى الدنيا فأنت لست فعلا وحدك يا صديقى بل إن حالك أفضل كثيرا ممن لا شـقـيق لهم ولا شقـيـقـة وممن يلاطمـون الحيـاة وتلاطمـهم وهم وحـيدون تمامـا بلا عـائل ولا نصيـر ولا مأوى فاستجب أنت أيضا إلى ما تدعو إليه المهندس الشاب والمهندسة الشابة وسجين الأسـوار وارض بحياتك وابتسم للمـستقـبل الذى سيكون أفـضل من الماضى بكل تأكـيد ولا

تتوقـف عن حب الآخرين وأولهم شـقيـقك وشقـيقتك فـمن لايحب الناس لن يحـبه أحد وليس من حـقه أن يأسى على حب الناس له، فاعط الناس حبا تجنه حـبا ولا تتصور أن من واجب الناس تجـاهك أن يحبـوك وأن يرعوك بغـير أن تكلف نفسـك عناء محبـتهم. فهكذا الحـياة يا صـديقى أخذ وعطاء سـعـادة وعناء راحة وشـقـاء أيام سـعيـدة وأيام تعيـسة إلى مـا لا نهاية ولو لم تكن كـذلك لما كانت حـياة ولكانت الجنة التى بها توعدون .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٦

صورة الزفاف

«وجدت نفسي طفلا وحيدا لا أخ له ولا أخت.. يلعب في بيت واسع مـزدحم بالأقارب .. لى أم ككل الأطفال .. ولى أب طيـب يعطف على . وقد لهوت كـما يلهـو الأطفال .. وتعلمت فـى المدرسة كما يتـعلمون ولم يستوقـفنى كثيرا فى طفـولتى أن أبى يبدو بالنسبـة لي أكبر مما ينبـغى لطفل فى السابعـة أو الثامنة من

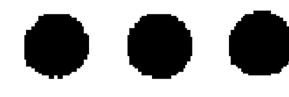
عمره أو أنه ليس شابا كآباء أصدقائى فى الشارع أو المدرسة . وذات يوم كنت ألعب فى غرفة نوم أمى فعثرت بين أوراقها على صورة قديمة لها بفستان أبيض وإلى جوارها رجل غريب .. تفرجت عليها بامعان ثم حملت الصورة الغريبة إلى إحدى خالاتى وسألتها ببراءة : من هذا الرجل ؟ فأجابت بعفوية أنه أبوك . وكأنها أحست بأنها أخطأت فصمتت ورفضت الإجابة على أسئلتى الكثيرة بعد ذلك .. أبى ؟ من يكون إذن هذا الرجل الذى أقول له «يا بابا» منذ ولدت ؟ بعد إلحاح منى عرفت أنه جدى لأمى وعرفت أن أبى الحقيقى منفصل عن أمى من قبل ولادتى وأننى ثمرة زواج لم يستمر أكثر من عدة شهور تحطمت سفينته بعدها على صخرة الانفصال .. وأن كلا من الزوجين قد شق طريقه بعيدا عن الآخر ولن تصدقنى إذا قلت لك أننى لم أتوقف طويلا عند هذه المفاجأة القاسية .. فلم أبك أو أنهار وإنما واصلت حياتى العادية .. لكنى بين حين وآخر بدأت أفتقد هذا الأب الغائب وأتذكر ملامحه التى رأيتها للحظات فى صورته فقد أخفيت الصورة بعد ذلك ولم أرها مرة أخرى قبل سنوات طويلة . وفى سن السابعة عشرة بدأت أحس بحنين غريب إلى هذا الأب شبه المجهول بالنسبة لى وضاعف من احتياجى إليه أنه فى هذه السن كان جدى الطيب قد رحل عن عالمنا وكانت خالاتى وأخوالى قد تزوجوا وتركوا بيت الأسرة ولم يعد فيه سواى وسوى أمى .. وبالرغم من ذلك فقد اجتزت هذه المرحلة الحرجة من العمر بآلام كثيرة وخسائر قليلة. وأكملت دراستى وتعرفت على زوجتى خلال الدراسة وأحببتها ثم تقدمت لأسرتها لكى أخطبها واكتشفت

في هذه الفترة مرة أخرى أهمية أن يكون للإنسان أب . فهو الذي يدبر لك أمورك في هذه المناسبة الهامة في حياتك وهو الذي يشير عليك بما تفعل وبما تقول وهو الذي يصحبك في لقاء التعارف الأول مع أسرة الخطيبة فتقدمه لصهرك بفخر قائلا: أبي الأستاذ فلان . ثم تنسحب أنت إلى الظل ويتكلم الكبار فيما بينهم عن المهر والشبكة والشقة وموعد الزواج . ولن تعرف يا صديقي هذه المرارة إلا إذا جربتها بنفسك .. مرارة أن تجد نفسك وحيدا في هذه المناسبة كأنك مقطوع من شجرة .. لكن هذا حديث آخر . المهم إني تزوجت وأنجبت من زوجتي وعشت حياة هادئة سعيدة والحمد لله لكني بدأت ألاحظ على نفسي منذ ذلك الحين اهتمامي الشديد بتسقط أخبار أبي والبحث عنه . بدأت أستجوب أقاربي وأرتب المعلومات الضئيلة عنه .. وأضع خططا للبحث عنه وعرفت أنه كان مهندسا وأنه عقب انفصاله عن أمي غادر مصر وعمل في أوربا لعدة سنوات ، وأنه تزوج من ألمانية وأنجب منها ثلاثة أبناء ، وعلمت أنه عمل عدة سنوات في السودان وعدة سنوات في ليبيا .. ثم علمت أنه استقر بصورة نهائية منذ سنوات في استراليا . طرقت أبواب أقاربه المحدودين في مصر سائلا عنه فرفضوا مساعدتي بأية معلومات عنه وكان موقفهم مني عدائيا بالرغم من أني لا أريد منه شيئا . وذات يوم سمعت أنه في مصر حاليا ضمن فوج سياحي قادم من الخارج هو وزوجته وأبناؤه الثلاثة «إخوتي» الذين لا أعرفهم ولا يعرفونني .. وعرفت أن الفوج يقيم في فندق «كوزمو بوليتان» بالقاهرة وكان الخبر قد وصلني قرب منتصف الليل .. فلم أنم

الليل بطوله وفى السادسة صباحا ارتديت أفخر ثيابى .. وجمعت من الصالون كل التحف الصغيرة الموجودة به وأفخر زجاجة كولونيا لدى ولففتها جميعا فى ورقة هدية زاهية اللون وكتبت عليها إهداء مناسبا ، ثم حملت الهدية وأسرعت إلى الفندق .. تقدمت إلى موظف الاستقبال وسألته عن الفوج فقال لي فى هدوء أن الفوج قد غادر الفندق فى الثالثة صباحا ليلحق بطائرته التى تتحرك فى السادسة والنصف .. فحملت هديتي وانصرفت متعثرا خجلا من موظف الفندق . عدت بعد ذلك بيومين لأحاول الحصول على عنوانه باستراليا من سجلات الفندق فقالوا أن الأفواج السياحية لا تسجل عناوين أعضائها فى بلادهم الأصلية . فذهبت إلى السفارة الاسترالية بالقاهرة وطلبت منهم مساعدتى فى الاهتداء إلى عنوانه هناك فسمعوا قصتى ثم قالوا لى : لا نستطيع مساعدتك .

ستسألنى بالطبع .. ولماذا هذا الالحاح فى البحث عن أبى .. هل تحتاج إليه بعد هذه السنوات الطويلة ؟ فاجيبك على الفور : إننى لا أحتاج إليه ماديا فأنا رجل فى الثلاثين مسئول عن نفسه وأسرته وأعمل عملا ناجحا .. ولدى أسرتى الصغيرة ومسكنى لكنى فقط أريده أن يعرف أنى ابنه .. وأن له ابنا فى الثلاثين طويلا وسيما ناجحا فى عمله وفى حياته ، فقد يسرّه أن يعرف ذلك ، فإذا سره ذلك فلعله يسره أيضا أن أكتب إليه فى المناسبات بطاقة بريد أهنئه فيها بالأعياد وأتمنى له فيها الصحة والسعادة فإذا جاء إلى مصر يوما فقد يسرّه أن تستقبله فى المطار أسرة ابنه وأن أحمله بسيارتى إلى فندقه إذا لم يرغب فى الإقامة فى بيت ابنه .. ولا شىء أكثر من ذلك ..

لقد أردت ذلك فقط .. فهل أنا مخطىء فيما أريد وهل تستطيع أن تقدم لى أية مساعدة للاهتداء إليه فى استراليا عن طريق بريد الأهرام ؟» .



ولكاتب هذه الرسالة أقول :

تسألني يا صديقي هل أخطأت ببحثك عن أبيك بعد كل هذه السنوات فاجيبك على الفور : لا لم تخطىء فهذا حقك المشروع فى أن تحاول الالتقاء بأبيك والتعرف عليه «وإبلاغه» أن له ابنا مكتمل الرجولة وسيما ناجحا عطوفا يحمل مشاعر البنوة لأب لم يعرفه .. بل ان رغبتك فى التواصل مع ابيك هى رغبة نبيلة فى حد ذاتها من ابن تجاه أب لم يتلق منه شيئا من الرعاية والحنان أو المسئولية المادية .. وأكثر نبلا منها هو أنك لا تريد منه شيئا سوى أن تعطيه كتفك ليتوكأ عليها فى شيخوخته وذراعك ليستند إليها .. فلعلك لاتثير أشجان الكثيرين برسالتك هذه ممن أعطوا كل شىء لابنائهم ثم بحثوا عنهم فى شيخوختهم ليتوكأوا عليهم فلم يجدوهم .. أو وجدوهم لاهين منصرفين عنهم إلى حياتهم ومشغولياتهم . وهذه مفارقة أخرى من مفارقات الدنيا الغريبة ،فأنت تبحث عن أب لا تعرف له عنوانا .. وأبناء كثيرون لا يبحثون عن أباء وأمهات يعرفون جيدا عناوينهم وأرقام تليفوناتهم .. ومع تقديرى لمشاعرك فإنى لا أريد لك أن تكرس حياتك لهذا الهدف وحده .. فلقد أرضيت ضميرك وأديت واجبك تجاه أبيك فان نجحت فى الاتصال به فهو شىء جميل وإن

فشلت الجهود فعش كما عشت من قبل وكما يعيش الكثيرون ممن حرموا من آبائهم وأمهاتهم .. وقدم لأبنائك ما حرمت منه واحرص على حياتك لكي لا تعرضهم لما تعرضت له أنت وهذا هو درس التجربة المفيد ، أما مساعدتي لك فالحق انى لست كبير الأمل فى امكان مساعدتك لكن هناك أملا واهيا هو أن يقرأ قصتك هذه أحد قراء الأهرام المقيمين فى استراليا فيكتب إلى طالبا اسم أبيك.. فإذا حدث ذلك فان الأمل يصبح كبيرا لأن المصريين فى استراليا منظمون فى جمعيات ولهم أماكن تجمعات معروفة يسهل الاهتداء إليهم عن طريقها فعسى أن يتحقق هذا الأمل الواهى ويجتمع الشمل مع تمنياتى لك بالسعادة فى كلتا الحالتين .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة



٧

الجريمة.. والعقاب!!

هذه رسالة من رسائل «الاعتراف» التى أتلقاها من حين إلى آخر وأوثر الرد عليها فى باب «ردود خاصة» مهونا الأمر على صاحبها غالبا وداعيا إياه لأن يكف عن اجترار الألم وأن ينظر إلى الأمام .. لكن هذه الرسالة تختلف تماما عن كل الرسائل التى تلقيتها من قبل من هذا النوع .. لذلك فلقد آثرت نشرها

رغم بشاعتها لعلنا نجد فيها معا ما يضيف إلى خبرتنا بالحياة شيئا جديدا حتى ولو كان مؤلما غاية الألم .. تقول كلمات الرسالة التي لم اتدخل كثيرا في صياغتها لكي أحافظ على فظاعة صدقها الكريه :

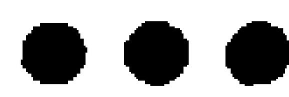
«أكتب إليك لعلى أجد السلوى والعزاء لي فيما أعانيه فأنا ياسيدى إنسانة أكره نفسى وقد بدأت قصتى منذ ٨ سنوات حين تزوجت رجلا له ابنة وحيدة فى العاشرة وكانت فتاة مسالمة طيبة القلب لكنى كنت أكرهها بلا سبب ولا تسألنى لماذا لأننى أنا نفسى لم أستطع أن أجد جوابا لهذا السؤال حين سألته لنفسى كثيرا إلا إذا كان هذا السبب هو أنى إنسانة أنانية لم أقبل ولم أتخيل أن يشاركنى فى الرجل الذى أحبه أحد أو «شيء» حتى ولو كان هذا الشيء هو ابنته الوحيدة ! لذلك كنت أعاملها بقسوة غريبة وكنت أحملها «شغل البيت» كله لكى لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ومع ذلك فقد كانت تنجح فى المدرسة كل سنة ولا تشكو ولا تتبرم.. ولا تشكونى لأبيها مهما فعلت ربما استسلاما للأمر الواقع أو خوفا منى .

وكانت هذه الابنة يا سيدى مريضة تهاجمها من حين إلى آخر نوبات الكلى الفظيعة فتتعذب عذابا لا يطيقه بشر .. لكنى كنت لا أسأل فيها عندما تمرض وكنت أغلق عليها باب حجرتها حين تهاجمها النوبة لكى لا أسمع صراخها الذى يفتت الكبد ولم يكن يؤثر فىَّ وقتها بكل أسف .. ومرت ٧ سنوات على هذا الحال والبنت مستسلمة للحياة ولإرادتى ولأوامرى .. وكان أبوها يعرف أنها مريضة بالطبع لكنه لم يكن يعرف أن النوبات تعاودها كثيرا.. وأن كل نوبة تأتى أشد من النوبة

السابقة لأنى كنت قد حرمت عليها أن تشكو من مرضها لأبيها ولأنى أيضا لم أكن أبلغه بها ، وكان زوجى بحكم عمله يبيت كثيرا خارج بيته مطمئنا إلى أن ابنته فى رعايتى . وفى ليلة جاء إلى البيت على غير انتظار إذ كانت من الليالى التى يبيت فيها فى عمله . وكأنه يعرف ماذا سيحدث فقد كانت النوبة قد عاودتها طوال النهار وهى راقدة فى غرفتها المغلقة عليها تتعذب ويصلنى صوت صرخاتها المكتومة لكى لا أنهرها إذا سمعتها ، ثم حين عاد أبوها سمعنا معا صوت صراخها كالفحيح فلم أجد مفرا من الذهاب إليها معه فى غرفتها وكانت مستلقية على السرير تجز على أسنانها من الألم وينتفض جسمها مع كل هجمة ألم فيرتفع فوق السرير ويتقوس ثم يهبط مسترخيا ضعيفا إلى أن تعود الهجمة لقد كانت «تجض» من الألم ياكبدى ففزع أبوها واقتربت أنا منها ووضعت يدى على كتفها . وصدقنى - وأنا أعرف رأيك الآن فىَّ - إننى كنت قد احسست بالندم وبالألم من أجلها لأول مرة في حياتى ، فلمستها بيدى ففوجئت بها تبعدنى عنها بكل ما تبقى فى جسمها الضعيف من قوة وتصرخ فىَّ : أخرجى بره .. أخرجى بره . ثم أمسكت بيد أبيها الذى تتساقط دموعه وراحت تقبلها وظلت ممسكة بيده تقبلها إلى أن فارقت الحياة بعد لحظات .

ورحلت ابنة زوجى الصغيرة . رحمها الله وتركت لى عذابا لا يطاق هو عذاب الضمير .. فلقد اكتشفت بشاعة ما ارتكبته ضدها من ضرب وإهانة وإهمال . لقد ماتت وارتاحت . لكنى الآن اتعذب بها فأنا أصحو من النوم مفزوعة وأحلم بها ٣ أو ٤ مرات كل ليلة وأراها فى الحلم تخنقنى وتقول لى: «أنت

السبب فى موتى» . حتى أصبحت أخاف النوم حتى لا أراها . أدخل المطبخ فأراها في كل مكان فيه حيث كنت أرغمها فى الليالي الباردة على أن تغسل الأوانى والأطباق لكى لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ، وأراها في كل ركن فى البيت. إنها تطاردنى وأنا نائمة وأنا مستيقظة وأينما ذهبت حتي طلبت من زوجي أن نترك الشقة التى نعيش فيها إلى شقة أخرى ولكن هيهات أن يتحقق ذلك مع ازمة المساكن . انها تعذبنى لانى السبب فى موتها .. ليتنى اشفقت عليها وهي تتعذب بالألم. اننى أكتب لك هذه الرسالة وأنا اعرف انها سوف تثير ضدى لعلك رغم ذلك تقول لى كلمة تخفف بها من عذابى وأكتبها أيضا لكى تقرأها كل زوجة أب على وجه الأرض فلاتعامل ابناء زوجها (بكراهية) ولكى لا تسيء معاملة أبناء زوجها وان كانت قد فعلت فلتكف عن ذلك وتصلح من خطئها قبل ان يأتى يوم لايبقى لها فيه سوى الندم و العذاب كما أتعذب الان.. فهل اجد لديك السلوى التى أطلبها، التوقيع (زوجة أب حاقدة ونادمة).



□ هذه هى الرسالة «الجريمة» التى تلقيتها ، ولكاتبتها أقول بلا تردد : لا ياسيدتي لن تجدى عندى ما تريدين .. فلقد ارتكبت أبشع الجرائم وهى جريمة تعذيب النفس البشرية التى حرم الله تعذيبها ،وارتكبت هذه الجريمة ضد من ؟ ضد فتاة صغيرة ضعيفة لا حول لها ولا قوة طيبة القلب استسلمت لقدرها فلم تشك ظلمك لها لأحد ولم تصرخ في وجهك إلا حين أذن الله لروحها أن تتحرر من سجن الجسد وأن تغادر هذه الدنيا الظالمة ، فكيف هان عليك ياسيدتى أن تسمعى صراخها المكتوم وهى تتعذب

بالألم في نوبات الكلي البشعة فلا تحرك فيك عطفك ونخوتك ولا مشاعرك الإنسانية البسيطة التى لا يخلو منها بشر .. فتسارعي إلى نجدتها بالعلاج وبالدواء أو حتى بالكلمة الطيبة وهو أضعف الإيمان ؟ لقد رأيت رجالا أشداء في نوبات الكلى المؤلمة يصرخون من الألم صرخات تزلزل الجدران .. ويقولون عقب زوالها إن آلامها تهد الجبال .. فكيف هان عليك أن تريها وهي الفتاة الضعيفة في هذا العذاب ولا يتحرك لها قلبك ؟ بل حرمت عليها الصراخ من الألم . حتى الصراخ من الألم يا سيدتي حرمتها منه .. أى بشاعة .. وأى قسوة وأى سادية ؟ إن كثيرين لايحتملون مشهد قطة تتعذب بالألم لأنها روح أمرنا الله بألا نعذبها فكيف احتملت عذاب هذه الابنة الطيبة المطيعة المستسلمة لأقدارها .. وبأى ذنب استحقت كل هذه الأهوال .. وماذا ستقولين للعادل الذى لا يظلم أحدا حين تقفين معها أمامه يوم الحساب ؟.. «وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت» حقا بأى ذنب استحقت هذه البريئة كل هذا العذاب ؟ وبأى ذنب وأدتها ياسيدتى ؟ بأنها يتيمة محرومة من عطف الأم وحنانها ؟ أم بأنها وديعة ائتمنك عليها أبوها وهو غافل عن «ساديتك» وسوء طويتك وقسوتك ؟ ثم تشكين بعد ذلك مما تعانينه وممارتين في أحلامك ؟ ألم تعرفى ياسيدتي أن لكل جريمة عقابا .. وأن بعضنا ينال بعض عقابه في الدنيا وبعض عقابه في الآخرة . وأن العقاب عاجله وآجله هو ضريبة واجبة السداد عما جنت أيدينا ؟ صحيح أنها أعمار وآجال فإذا

جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. لكن ذلك لا يخفف أبدا من جريمة تعذيبك لها حتى الموت .. ولا من جريمة إهمالك لعلاجها .. وتقاعسك عن نجدتها في أشد حالات الألم .. فلا عجب إذن أن «تدفعي عاجله» الآن ياسيدتي فهذا عدل السماء . وسوف تدفعين «آجله» حين يشاء الله «إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما» صدق الله العظيم (الفرقان ٧٠).

فليكن ما حدث درسا لا تنسينه مع الأيام ولتكن توبتك خالصة حقيقية ولتكفرى بالعمل الصالح عما جنيت لعل الله يتقبل منك . وأرجو ألا يكون ندمك مؤقتا وألا يكون محاولة للتخلص من العذاب الذى تلاقينه الآن ، أو للتخلص من خيال الفتاة البريئة الذى يطاردك على طريقة «لن تنام الليل يا ماكبث» كما كان شبح الملك القتيل يطارد قاتله . وفى النهاية فإنه إذا كان لرسالتك البشعة هذه من فائدة فلعلها فى أنها تقول للآباء والأمهات بالتجربة المؤلمة: إن أبناءكم وديعة استودعكم الله إياها وسوف تسألون عما صنعتم بالأمانة ، فلا تفرطوا فيها ولا تدعوها تغيب عن إشرافكم ورعايتكم وحمايتكم مهما كانت الأحوال.. فلا أحد يعرف ماذا يمكن أن تصل إليه نوازع النفس البشرية من الفظاعة فى بعض الأحوال ولا أحد يعرف ماذا تخفى بعض الوجوه «البريئة» وراء اقنعتها .

وليغفر الله للجميع .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة



٨

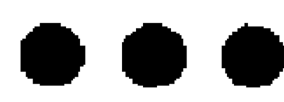
الندم..

« خشيت أن أحضر إليك في مكتبك خوفا من أن تقسو عليَّ.. وقررت أن أكتب إليك بما جرى لى بعد نشر رسالتى الأولى فى بابك فأنا ياسيدى زوجة الأب التى نشرت رسالتها منذ عدة شهور بعنوان «الجريمة والعقاب» والتى هاجمتها بقسوة فى ردك على الرسالة ولست ألومك فى ذلك فأنا أستحق كل

ما كتبته عني.. وأكثر منه .

نعم أنا زوجة الأب التي تسببت في موت ابنة زوجها البريئة الطيبة المريضة بالكلى والتي كانت تتركها تتلوى من الألم في غرفتها وتحرم عليها حتى الصراخ من الألم والتي كانت تخفي عن أبيها مرضها وتحرم عليها الشكوى حتى ذبلت الفتاة، أنا هذه الزوجة القاسية الأنانية وأنا أكتب لك هذه الرسالة لأروي لك ماذا صنعت بي الأيام بعدها، فعقب نشر الرسالة قرأها زوجي والد الفتاة وشك في الأمر، فسألني عنه، وكنت في قمة عذابي بعد المأساة فاعترفت له بالحقيقة وبكل شيء.. لأني أردت أن أزيح عن صدري ما يثقله.. وصدم زوجي صدمة بالغة اهتز لها كيانه.. ومضت أيام ثقيلة وهو يعاني من آلامه ويمضي الساعات صامتا حزينا أما أنا فقد استسلمت لمصيري، ثم حزم زوجي أمره وطلّقني بعد فترة قصيرة، وصدقني أنني لست منزعجة مما جرى لي، فلكل جريمة عقاب كما قلت أنت في تعليقك على رسالتي ، وهذا هو عقابي وليته يقتصر على ذلك أو ليته يعفيني من عقاب السماء بعد أن نلت جزائي فوق الأرض ، لقد أصبحت وحيدة.. ولاهم لي إلا أن أكفر عن خطيئتي فأخرجت بعض ما أملك من مال كصدقة على روح الابنة التي تسببت في موتها ولست نادمة على ذلك فلعل الله يتقبل مني التوبة.. وقد هاجمني المرض وأصبحت طريحة الفراش وأحس أنني سوف ألقى وجه الكريم وقد أرسلت لك هذه الرسالة ليسامحني قراؤك الذين قرأوا رسالتي الأولى وصبوا غضبهم ونقمتهم عليَّ وهم على حق

لكني أرجو منهم السماح، كما كـتبت رسالتى هذه لتكون عبرة لمن سلكوا نفس طريقي وظلمـوا أبرياء صغـارا لا يستطيـعون الدفاع عن أنفسـهم أو عن حقـوقهم.. وليـعلم الآخرون أن الله فوق الجمـيع يراقبهم ويحصى عليهم أعـمالهم وأنه يأخذ بحق المظلومين من ظالميـهم وإن تأخـر القصـاص.. والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



▫ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ليغفر الله لك يا سيدتي ماتقدم من ذنبك .. وليتقبل منك توبتك.. وليعف عنك جـزاء ما أحسـست به من ندم صادق على ما فـعلت.. وجزاء ما لقـيت فى الدنيا من عقـاب. فلقد يرضى الانسان أحـيانا بما يلقى من عقاب عـاجل مؤملا أن يكون من المعـجلين لهم بالعقـاب فى دنياهم.. وممن يـبدل الله سيئاتهم حـسنات فى أوخراهم وأظن أن هذا الاحساس هو سر رضائك عما جرى لك فـيما بعد.. وهذا يؤكد لك أنت قـبل غيـرك أن لك ضمـيرا كـان غـافيـا ثم استـيقظ عـقب التجربة المريرة فلعل فى ذلك دروسا قاسية، لمن يتصورون أنهم يتحركون في الحياة بلا رادع من ضمير.. أو من وازع ديني.. وقد يهزأون أحيانا بمن يذكـرهم بعذاب الضمير إذا اسـتـيـقظ.. وبعـذاب الندم إذا شـبت فـى القلب نيـرانه .. ليتـذكروا ذلك جيـدا.. وليسـتـعدوا جمـيعا للجـحيم الذى ينتظرهم عندما يـستيقظ النائـم بين حنايا صدورهم ولابد من يوم يستيقظ فيه وإن طال الانتظار.

أما أنت يا سيدتى فـلا تيأسى من رحمة الله .. وأظن أن قراء هذا الباب الذين نقموا عليك من قبل لا يحملون لك الآن أية ضغـينة بعد كل ما جـرى.. وما أنت فى النهـاية سوى امرأة وحيدة ضعيفـة اغترت بالدنيا فى بعض الفترات من حياتهـا فقست.. ثم دفعت الثـمن غاليا ولم تزل.. فليـتقبل الله توبتك وقديما قال الشاعر العربى :

« إذا كان ذنبى كل ذنب فإنه

محا الذنب كل المحو من جاء تائبا »

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٩

صاحب الجلالة

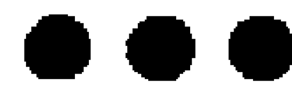
أنا شاب عمرى ٣٩ عاما أكتب إليك هذه الرسالة وأنا جالس فى «مكتبى» بالورشة التى أملكها وأديرها .. فأنا ميكانيكى أكسب كثيرا وأنفق كثيرا لكنى إلى جانب ذلك متعلم، أو بمعنى أصح أحب أن أحس أننى مِتعلم، فقد أنهيت دراستى الثانوية وكان والدى يغرينى بالعمل معه فى الورشة لكى أساعده في

العمل وأحفظ عليه ماله. لكننى كنت أحلم أيامها بأن أكون «أفنديا» حين كان «الأفندى» هو الصورة التى تلهب خيال الشباب أيامها. ولم تكن المهنة موضع احترام كبير من الناس كما هى الآن. المهم أنى استسلمت لمصيرى وبدأت العمل فى الورشة وفرح أبى فرحا كبيرا بذلك أما أنا فكنت موزع المشاعر بين الرضا والغضب.. والحق أننى لم أكن أخلو من داخلى من «حسد» لزملائى الذين واصلوا تعليمهم وأيضا تجاه أشقائى الصغار الذين كانوا يواصلون طريق التعليم بنجاح وأنا أعترف بذلك، فأنا بشر أما أبناء المهنة الذين كنت أتعامل معهم.. وهذه عقدة أخرى فقد كنت أحاول أن أحس بأنى «مختلف» عنهم وقد وجدت فى عملى الجديد تعويضا عن أشياء عديدة فأنا فى يدى وجيبى باستمرار مبالغ كبيرة وزملاء الدراسة الذين واصلوا طريق التعليم يشكون دائما ضيق ذات اليد. والحق أنى كنت أشعر بشىء من الترفع إزاءهم، وسأكون صريحا معك وأقول لك أننى كنت أشعر بنفس الشىء تجاه إخوتى الذين واصلوا طريق التعليم وعملوا بالوظائف لنفس السبب. المهم مضت الأيام ومات والدى رحمه الله، وكان قد باع لى صوريا نصف الورشة فى حياته فلم أجد صعوبة فى نقل باقى ملكية الورشة إلى فقد تفاهمت مع إخوتى وهم شقيقان وشقيقتان على أن أتكفل بنفقات تعليم وزواج شقيقتينا ورعاية أمنا إلى اليوم المحتوم.. وعدا ذلك فلاشىء. وقد كان وفى هذا الوقت كنا جميعا نعيش فى شقة واحدة واسعة فوق الورشة.. فمضت الحياة هادئة.. تزوجت أنا من فتاة طيبة جميلة من معارفنا أحببتها فترة طويلة وأنجبت منها ابنة جميلة.. ثم ابنة ثانية..

ثم ألحت والدتى فى الإنجاب مرة ثالثة لأرزق بولى عهد يحمل اسمى فكان النصيب هو ابنة ثالثة واستجبت لرغبتها مرة أخرى فكان النصيب ابنة رابعة .

وفى هذا الوقت حدث «انقلاب» فى الصنعة، فبعد أن كانت تدر عدة مئات من الجنيهات كل شهر أنفق منها ببذخ ويبقى منها جزء معقول للادخار أصبحت فجأة منجما للذهب. وأصبحت تدر الآلاف ولعبت «البلية» معى فتاجرت إلى جوارها فى قطع الغيار وخلال سنوات محدودة كنت قد أصبحت من الأثرياء.. فقررت تجديد حياتى وانتقلت إلى شقة فى عمارة يسكنها دبلوماسيون في حى الزمالك. وبقيت أمى فى شقتها القديمة مع أسرة شقيقى الأوسط الذى تزوج فيها. أما شقيقى الأصغر فقد تزوج وعاش فى شقة أخرى فى نفس الحى واشتريت سيارة فولفو.. ووجدت نظام الورشة كما هو منذ أيام أبى فاقتطعت لنفسى مساحة منها أحطتها بسور زجاجى وجعلت منها غرفة لمكتبى.. وأثثتها بغرفة مكتب فاخر لا تختلف عن غرفة مكتب أى وزير. ووضعت على مكتبى عدة تليفونات ملونة.. ووضعت فى الغرفة ثلاجة وتليفزيونا ملونا.. «وكوفى ميكر» أى جهاز صنع القهوة، وعينت لنفسى ساعيا يقف علي باب المكتب وسكرتيرة تحمل دبلوم التجارة، واكتملت الصورة التى أردتها لنفسى . ستسألنى بعد ذلك وأين المشكلة.. فأقول لك المشكلة أننى أعيش هانئا مع زوجتى وبناتى أحبهن جميعا ويبادلننى الحب، لكن غير راض ولا سعيد لأنى أريد أن أرزق بابن يحمل اسمى ويرث مالى ويرث الورشة التى اتسع نشاطها، وبين حين وآخر توسوس لى

نفسي أن أتزوج خفية وأنجب ولدا يرث هذه «المملكة» ويحفظ لاخوته مالي وكلما طال العمر اختمرت الفكرة في ذهني. فما رأيك ؟



□ رأيي أنك إنسان جاحد ولاتستحق العطف، وإنما تحتاج إلى من يهوى على رأسك بلكمة قوية تفيقك من غيبوبتك!.. يا رجل .. أنعم الله عليك بكل هذه النعم وأرضى كل «عقدك» حتى أصبحت تقارن غرفة مكتبك بغرفة مكتب الوزير.. وتسكن عمارة يسكنها الدبلوماسيون.. وتركب «الفولفو» وتلبس «البيير كاردان».. وتقدم لضيوفك القهوة من «الكوفي ميكر» وتحب زوجتك وبناتك.. ولاتشكو من مرض ثم تقول لي أنك غير راض لأنك لم ترزق ولدا يرث عرش مملكتك؟ ماذا تظن نفسك؟ خوان كارلوس ملك أسبانيا أم كارل جوستاف ملك السويد؟.. لقد كنت على استعداد لأن أحترم آلامك.. إذا قلت لي أنك تشتاق إلى طفل.. وهو شيء مقبول.. لكنه ليس نهاية الدنيا. ولا فرق بين ابنة وابن. لكنك حتى لاتقول لي ذلك وإنما تقول أنك تريد وريثا للورشة يحمل اسمك وهذا هو مايغيظ.. فالسعادة ليست في ابن يحمل الاسم أو ابنة.. لكنها في الرضا.. وفي أسرة ترعى الانسان وتبدد وحشته.. وكل هذه المقومات حباك الله بها.. وزاد عليها من فضله.. سعة في الرزق فماذا تريد ؟

إذا كنت تبحث عن المتاعب . فأنت وشأنك لكن إذا كنت تطلب النصيحة:. فاسمع نصيحتي ولا تتزوج مرة أخرى

بزعم أن تنجب ولدا فتحطم قلب زوجـتك وتبدد سعادتك .. فـمن يدريك أن زوجـتك الجديدة سـتنجب ولدا .. لابنتـا .. ومن يدريك أنها سـوف تنجب على الاطلاق وقد أثبت العلم منذ سنوات طويلة أن هورمـونات الرجل هى التى تتـحكم فى نوع الجنين وليست هورمونات المرأة .

إننى أسـتطيع أن أروى لك أكـثر من قـصـة لأشخـاص ارتكبوا نفس الخطأ فأخلفت المقـادير ظنونهم فهل يستحق عرش «الورشـة» كل هذا العناء.. الحق أنك لست مشـغولا بعـرش الورشة، وإنما مـشـغول بـأن تحجب عن إخـوتك ثروتك.. وأنت حر فى ذلك وهـناك وسائل قانونيـة عديدة تطمئن بالك من هذه الناحـية لكن من يدريك أنهم ينتظرون منك شيئا؟.. أليس من المحتمل أن يكون بينهم من هو أغنى منك نفسا والغنـى غنى النفس قبل كل شىء بدليل أنك بكل ثروتك مازلت أسير عقـدك.. ومازلت تتلمس الأمان والرضا فلاتـجدهما .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة

١٠

شبح.. من الماضى

«أنا طالبة بالسنة الثالثة بإحدى الكليات الجامعية أعيش مع أسرة مكونة منى ومن شقيق يلينى فى السن وهو طالب جامعى ثم من أمى السيدة الفاضلة التى ترعانا وتزرع الحب فى نفس كل منا تجاه الآخر وتجاه البشر أجمعين.

ولقد كان لنا يا سيدى ككل الأبناء أب.. لكنه رحل عن عالمنا

منذ أكثر من ١٠سنوات، ورغم طول السنين وصغر سني حين غادر دنيانا فمازلت أذكر وجهه.. وكلماته وصوته الهادىء وابتسامته الحزينة كأنه «يسامح» بها الدنيا عما فعلته به وبنا من بعده. ولقد كنت أحبه إلى درجة العبادة وأذكر له أنه لم يغضب منا أنا وأخي ولا مرة واحدة.. ولم يضرب أحدا منا أبدا.. كما لو كان يحس كما يقول الناس أنه سيتركنا وحدنا للحياة صغارا، كما كنت ألحظ دموعه وهو يصلي ويطيل الصلاة.. أو وهو مستغرق في الدعاء الهامس لفترة طويلة بعدها كما بدأت ألاحظ بعين الطفلة.. أنه لم يعد يذهب إلى «الشغل» ولايكاد يخرج من البيت.. وأنه يمضي اليوم الطويل.. يصلي أو يبكي ويدعو.. فإذا اقتربنا منه مسح دموعه بكفه.. وابتسم وضحك في وجهينا وأعطانا نقودا صغيرة لنشترى الحلوى ..

وكنا في إجازة الصيف.. وقد اعتدت أن أصحو من نومى وأتجه إلى غرفة نومه لأداعبه.. فذهبت إليه ذات صباح فلم أجده.. وعرفت أنه فاجأته في الليل نوبة قلبية ونقل إلى المستشفى، وهناك زرناه مرة وحيدة ثم رحل عن الحياة فأحاطتنا أمي بجناحيها.. وعلمتنا الصبر والأمل.. وأرادت أن تنزل للعمل لأنها متعلمة وحاصلة على شهادة لكن أخوالى رفضوا السماح لها بذلك وتكفلوا بنا بمساعدة معاش أبى البسيط ورغم أن الحياة مضت بعدها كما تمضي دائما وواصلنا تعليمنا إلا أنني كنت أحس بجو ثقيل يخيم على أسرتنا، وأحس بنظرة حزينة مستقرة في عيني أمي حتى من قبل وفاة أبي. وبدأت أستشعر تناقضا واضحا بين ما أسمعه عن مركز أبي في عمله ومظاهر هذا المركز في حياته.. وبين

المعاش الضئيل الذى نتقاضاه. وشيئا فشيئا عرفت السبب.. وانفجر فى وجهى السر المكتوم.. عرفت أن أبى كان مديرا لإحدى الشركات العامة فى عاصمة المحافظة التى نعيش فيها وأنه أخطأ حين أعطى ثقته الزائدة لمن حوله فكانت نتيجة هذه الثقة أن اتهم فى قضية اختلاس يعلم الله أنه برىء منها.. وأوقف عن عمله وبدأ التحقيق معه ثم المحاكمة.. فلم يتحمل مواصلة المشوار وأصيب بنوبة قلبية انتقل إلى جوار ربه. أما قيمة الاختلاس الذى حطم أسرتنا يا سيدى فلقد كان ثلاثة آلاف جنيه وكان لهذه القصة أثرها فى حرمان والدتى من حقوقه فى المعاش لكنها بكفاح مرير استطاعت الحصول على جزء من المعاش المحدود.. ولولا أخوالى وهم بحمد الله ذوو مراكز مرموقة لهلكنا فى السنوات الصعبة التى تلت وفاته. وواصلنا الحياة وحاولنا أن ننسى الماضى بكل جراحه.. وواصلنا تعليمنا، وأمى العظيمة تدفعنا للأمام حتى كدنا ننتهى من تعليمنا الجامعى .

وحرصت أمى على أن تجعل منا مثالين للأخلاق وحسن التعامل مع الناس.. وليس هذا غرورا منى لكنها الحقيقة والله العظيم.. ولعلها كانت تعرف أننا سوف نحتاج إلى سلاح أكبر من سلاح العلم لكى تسير بنا سفينة الحياة بسلام ولكن هل أجدى حرصها هذا؟ يبدو أنه لم يجد كثيرا.. لأننا الآن وبعد أكثر من عشر سنوات من وفاة أبى.. مازال بعض الناس حولنا ينظرون إلينا نظرة مريبة ويتشككون فى مصدر أى شىء نشتريه ولو كان قطعة ملابس رخيصة.. كأنهم يتساءلون من أين لكم هذا؟. وليت الامر اقتصر على النظرات أو الكلمات ذات الايحاءات المؤذية لكنه تجاوز ذلك إلى الاضرار بى وأنا فتاة

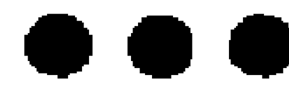
فى سن الزواج .

فلقد تقدم لى أكثر من خاطب بالطريقة التقليدية وخلال مرحلة التعارف وسؤال كل طرف عن الآخر يسأل فيسمع قصة الاتهام الظالم لأبى.. فلا يعود، ولقد تكررت هذه القصة معى مرتين، حتى يئست وصددت نفسى عن التفكير فى هذا الموضوع إلى أن أبلغنى زميل لى بالكلية ونحن نؤدى الامتحانات العملية أنه يريد أن يزور أسرتى بعد الامتحانات.. وبالفعل جاء لزيارتنا فى مدينتنا خلال العطلة الصيفية.. وغادرنا على وعد بزيارة تالية لم تتم بالطبع.. ومضت شهور الصيف طويلة إلى أن بدأت الدراسة وعدت إلى كليتى ففوجئت به يصافحنى باستخفاف.. وفى شيء من السخرية، وكنا مجموعة من الزملاء نتحدث عن الأسعار وصعوبة الحياة ومصاريفها، ففوجئت به يقول لى : وماذا يهمك من هذا.. وأنت سترثين الملايين؟ فاسودت الدنيا فى وجهى وأحسست بأطرافى تتثلج.. وخرست حتى انتهت الجلسة، ثم قمت مهزومة.. منهارة.. وقررت ألا أقترب من مكان يوجد فيه.. وألا أطيل الحديث مع أحد من زميلاتى أو زملائى لكى لاينحرف الحديث إلى مايجرح مشاعرى..

سيدى .. لقد أصبح قلبى ينقبض مع كل طارق جديد على بابنا خوفاً من أن تتكرر المأساة وعاد الحزن يخيم على حياتنا من جديد لأن ما أصابنى.. أصاب أيضا شقيقى الوحيد الذى بدأ يدفع هو الآخر ثمن شيء لادخل له فيه كما أدفع أنا نفس الثمن ورغم كل ماحدث فلم ولن أكره أبى.. ومازلت أحبه إلى درجة العبادة كما كنت دائما.. ولقد رأينا بأعيننا انتقام العزيز الجبار من كل من اشترك فى هدم أسرتنا.. وهو انتقام لا

أستطيع أن أصفه لك وأرجو ألا تعتبر ذلك شماتة.. بل دليلا جديدا على أنه يمهل ولا يهمل ..

وبعد كل ذلك أسألك.. ما ذنبنا فيما حدث يا سيدى لكى لايرحمنا الناس حتى بعد هذه السنوات الطويلة.. وماذا جنينا لكى يشعرنا الناس بأن هناك وصمة فى حياتنا تبعد الآخرين عنا.. وماذا يريد الناس منا يا سيدى لينسوا الماضى.. كما كنا قد نسيناه لولا ظلمهم لنا الذى أحياه من جديد ؟.



□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لا ذنب لكم .. ولاجريرة.. لكنها الدنيا التى تقسو أحيانا على الأبرياء بلا جريمة. فأيا كان الخطأ الذى وقع فيه أبوك الراحل، فليس من العدل.. ولا من الرحمة أن تدفعوا أنتم ثمنه وأن يلاحقكم «عاره» إلى الأبد.. لكنها قسوة المجتمع فى بعض الأحيان. فالمبدأ الأساسى فى فلسفة العقاب هو «شخصية» العقوبة أى أن تنحصر آثارها فى شخص مرتكب الجريمة أو الخطأ، وهذا هو العقاب الجنائى الذى تقضى به المحاكم أما العقاب المعنوى الذى يقضى به المجتمع فهو لا يعرف «شخصية» العقوبة.. ولا يفرق بين مذنب وبرىء ويضع عادة المخطىء وأسرته وأهله وربما أصدقاءه أيضا فى سلة واحدة وينزل عليهم بهراوته القاسية بلا رحمة. ورغم أن هذا العقاب المعنوى هو فى حد ذاته أحد ضوابط حركة الحياة والمجتمع لأنه أحد الروادع التى تردع البعض عن ارتكاب الخطأ خوفا مما يلحق بأعزائهم من عار وفضيحة، إلا أنه يقسو فى أحيان كثيرة فيعاقب الأبرياء عن جرم لم يرتكبوه.. ويطالبهم بدفع فاتورة باهظة من حقهم

الطبيعي في الكرامة والأمان كما يحدث معك ومع شقيقك. ويزيد من قسوة هذا العقاب المعنوى أنه كصنوه العقاب الجنائي لا يستأسد، في أحيان كثيرة إلا على الصغار ومن هم في حكم «الغلابة».. أما الوحوش الضارية فلا يطولها في أحيان كثيرة عقاب جنائي أو معنوى.. إلا أن تتزلزل الأرض مؤذنة بسقوط وحش كاسر تخلت عنه الدنيا فجأة. لكن هذه قصة أخرى!

لقد مست قلبي كلماتك الرصينة عن أبيك.. وهزني أنك تحبينه إلى درجة العبادة رغم كل شيء.. وأن قسوة المجتمع عليك لم تنل من حبك ووفائك له.. ولعله كما تقولين قد قُضِي مظلوما فعلا وما أكثر من في الحياة من مظاليم بل وما أكثر من فيها من جناة لم يطلهم عقاب الدنيا.. وينتظرهم عقاب السماء لذلك قيل دائما أن الرحمة فوق العدل، ومن الرحمة ألا يأخذكم المجتمع بهذه الخطيئة التي لم ترتكبوها إلى نهاية العمر، ولكن الكارثة أن ذاكرة الناس تبدو أحيانا أحدً من حافة المقصلة. والحق أني أحس في كلماتك عن أبيك وشقيقك وأمك إحساسا عائليا آسرا، وأعتبر حبك لأبيك ووفاءك لذكراه دليلا على صفاء نفسك.. وقيمك الخلقية. التي غرستها فيك أنت وشقيقك أمك بفهم تربوى عال لمعنى احترام رمز الأب.. والوفاء له رغم كل شيء، وأرى أن مثل هذه التربية الكريمة كفيلة بأن ينسى لكم مجتمعكم الصغير هذه الذكرى القديمة أو هذا الشبح القديم من الماضي.. وأن يتعامل معكم على أساس من خلقكم وقيمكم.. ولا شيء آخر.. فهل يعدل البشر مرة؟

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



١١

رسالة من الباب الخلفى

أكتب إليك من الإسكندرية لأحدثك أو لأحدث نفسى بما يدور في خاطرى .. حيث أعمل الآن في عمل جديد يتطلب منى اسعاد الآخرين كل ليلة حتى الهزيع الأخير من الليل .

ولعلك قد عرفتنى .. فأنا ذلك الفنان الذى اصطلح النقاد على أن يسموه بالفنان الكوميدى الضاحك الذى ينتزع

الضـحكات من الثكالى بتعـبيـرات وجهـه وتمثيله الـصادق .. والذى قالـوا عنه أنه يقدم فنا راقـيا لاتهـريج فيـه .. وكم كان يسـعدنى أن أقـرأ هذه الكلمات عني .. لولا أن مـرت بحيـاتى أهوال فقـدت معـها القـدرة على الإحسـاس بطعم أى شـيء .. وبجدوى أى شـيء ..

وهكذا الحياة ياصديقى .. نجرى وراء أشياء .. فإذا بلغناها نكون قد فـقدنا فى الطريق أشـياء جـوهرية لاتعوض وفـقدنا القدرة على الاستمتاع بما حصلنا عليه .

وأنت تعرف بدايتى .. وتعرف تأثير النشأة الصعيدية عليّ.. وأننى من أسـرة صغـيرة وكـافحـت كفـاح الأبطال لكى أتعلم وألتحق بالجامعة .. ثم لكي أجد عملا .. وأتزوج ، وسـأعبر هذه المراحل سـريعا لأقـول لك : إننى وجـدت نفسـى فى منتـصف العمر متـزوجا من زوجة طيبة أصيلة وأبا لثـلاثة أبناء أكبرهـم طالب بالكلية الحـربية وأصغرهم بالمدرسة الابتـدائية ومازلت أكافح لأجـد لقدمى موضعـا فى العالم السحرى الذى اخـترت العـمل فيـه وهو المسرح ، وأنت تعـرف قصص البـاب الخلفى للمسارح أى باب الممثلين .. وتعـرف كم يشقى الإنسان ليدخل منه إلى خشبة المسرح ..

وكيف يجمع هذا الباب بين النجوم اللامعين الأثرياء .. وبين المغمورين البسطاء الذين قـد لا يجدون فى بعض الأحيان قوت أطفالهم ..

كنت موظفا حكوميا صغيرا .. فاحتفظت بوظيفتى أمانا ضد الفقـر وركزت جهدى فى البـاب الخلفى أخرج من باب لأدخل بابا باحثا عن فـرصة ، وكانت البداية صغـيرة .. دور ضابط

شرطة يدخل خشبة المسرح بعصبية ليلقى القبض على بطل المسرحية النجم اللامع فى نهايتها .. وأذكر الليلة التى بدأت بها طريقى. كنت واقفا خلف الكواليس أنتظر لحظة الدخول وقد تجمعت فى صدرى كل همومى .. ومر أمامى شريط كفاحى الذى طال بغير بادرة أمل فى الوصول إلى الراحة .. ومطالب الحياة قاسية .. وأسرتى الصغيرة تعانى من ضيقها ما تعانى ، وأحسست فجأة بالخجل من أن يرانى بعض من يعرفوننى من الزملاء وأنا أؤدى هذا الدور الصغير وأحسست برغبة فى الاختباء .. فإذا بيدى ترتفع إلى «كاب» الشرطة الذى أرتديه فتشده إلى عينى ليخفى نصف وجهى وجاءت لحظة الدخول فدخلت بعصبية والكاب يخفى عينى وأنا أتخبط بين الممثلين لا أرى شيئا .. فإذا بالمسرح يضج بالضحك .. وإذا بنجم المسرحية اللامع يضحك من قلبه ثم يجد فى هيئتى الغريبة مادة للضحك والاضحاك وفى ختام المسرحية حين رفعت الكاب عن وجهى حيانى الجمهور لأول مرة فى حياتى .. ثم إذا بهذا المشهد العفوى يتحول إلى مشهد أساسى كل ليلة وتزداد مساحته الزمنية من ٣ دقائق إلى عشرين دقيقة كاملة وإذا بلحظة الضيق من حياتى وتفاهة شأنى تتحول إلى لحظة ميلاد ، فشاركت بعد هذه المسرحية فى أعمال كثيرة .. وأديت أدوارا كبيرة .. وتحسنت ظروفى الاجتماعية شيئا فشيئا وارتفع أجرى .. وتحسنت ظروف أسرتى .. واشتريت سيارة بسيطة ومع كل خطوة من خطوات طريقى كانت هى تقف معى وورائى .. زوجتى الطيبة سمحة النفس والوجه .. التى ماشكت يوما ضيق الحال .. ولا وعورة الطريق .. وكانت تحرص دائما

على أن تحضر حـفلات الافتتاح لتراني .. وكلمـا رأت مساحة دوري تزيد سعـدت وأحست بالفخـر .. وكلما رأت البنط الذي يكتب به اسمي على واجهة المسرح يتضخم شيئا فشيئا أحست بالانتشـاء وكلما حـياني الجمـهور أو ضحك لتـمثيـلي تلفتت حولها فخورة كأنما تقول للجميع إنه زوجي ..

ومضت الأيام تقترب بنا من حافـة السعادة وتحقيق الأمال إلى أن جاء صـيف ودعيت للتـمثيل في مـسرحيـة تعرض في الإسكندرية وبدأت البـروفات ، فإذا بزوجـتي الحبـيبـة تسقط مريضـة وتدخل غرفة الانعـاش بمستشـفى المعادي .. وإذا بي أجدني كل يوم مضطراً للبـقاء بجانبها حـتى الظهيرة ثم أركب سيـارتي لأنطلق إلى الإسكندرية لأصل إلى المسـرح في المساء وأعود لأسافر إلى القاهرة في الثالثة صباحا ..

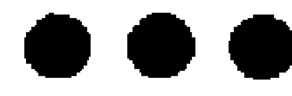
وإذا بي أعيش أياما مع الأمل .. وأياما مع اليأس .. وفي كل الحـالات أجدني كل مـساء واقـفـا على خشـبة المسـرح أؤدي دوري فـأنتزع الضـحكات رغمـا عني .. وأنا كـما تعـرف من القلائل في عالم المسـرح الكوميدي الذين لايبتـسمون أبدا على خشبة المسرح .. وتتسم «فورمة» وجهي بأنها تراجيدية حزينة ومع ذلك تثـير الابتـسـام .. ، ولعل ذلك مـا ساعـدني على أن أستمر في عملي فيمـا بعد ، فلقد توالت عليَّ المتاعب .. فانقلبت بي السـيـارة وأنا في طريقـي إلى القـاهرة مع ابنـتي لنزور زوجـتي في المسـتـشفى بعـد أن طلبت الزوجـة رؤية ابنتـهـا ونجـونا من الموت والإصابة بقـدرة الله جل شـأنه .. ثم توالت الفصـول .. فإذا بوطأة المرض اللـعين تشتد علـى زوجتي وإذا بهـا تتركني فـجأة وأنا في منتـصف الطريق .. فـلا نجومـية

حققت . ولا اسما فذًا صنعت .. ولاثروة جمعت .. ولاشىء سوى العدم .. والفراغ .. ونصف حياتى قد تخلَّى عنى .. وأتجاوز هذا الفصل الحزين سريعا .. لأقول لك أننى أيضا دخلت نفس غرفة الانعاش التى دخلتها زوجتى .. بعد أن كادت أنفاس الحياة تنقطع عنى .

وهذا هو الفصل الحزين الآخر الذى اخفيته عن الجميع .. فمُنعت من الحركة طويلا بعد أن تبين أنى أعانى من قصور وتقلص مزمن فى الشرايين التاجية .. لكن الحياة أرغمتنى على الحركة والعمل والوقوف فوق خشبة المسرح من جديد ، ومارست العمل وأنا خريج غرفة الانعاش .. ولكن الأطباء يجمعون على حاجتى إلى جراحة لاستبدال الشرايين التاجية .. وهى جراحة بكل أسف لا تجرى إلا فى الخارج وتكاليفها باهظة .. ولست نجما مرموقا حتى يتحمس أحد لعلاجى على نفقة الدولة .. وأنا لاأستطيع أن أتسول علاجى على نفقة بلادى رغم أنه من حقى كغيرى من المواطنين ، وأنا حاليا أعمل فوق خشبة المسرح .. أثير الابتسام وأنا مكتئب . وأنتزع الضحكات وعيناى مغرورقتان بالدموع كلما سرحت وتذكرت أطفالى الثلاثة وهم فى نظرى أطفال مهما كبروا .. لكنهم لم يستمتعوا بما يتمتع به الأطفال ولم تكن حياتهم ناعمة ولاهينة، والحبوب فى جيبى أتناولها تحت اللسان وكل ما أخشاه أن يغمى على ذات ليلة فوق خشبة المسرح فيتعطل العمل ثم يشيع فى الوسط الفنى أنى مريض جدا .. فلايطلبنى أحد فى عمل بعد ذلك .. ويتوقف آخر مصدر لرزقى بعد أن تركت الوظيفة الحكومية حين استقرت خطواتى فوق المسرح ..

ويضيع آخر أمل لى فى الجراحـة .. وأنت تسـألنى ماذا أريد .. فأقـول لك انى أريد أن أسـألك مامـعنى الحياة حين نشـقى فلا نصل إلى مـانريد .. ولماذا يكـافح البـعض كفـاحـا دامـيـا ثم لايصلون إلى شىء مـثلى بل يخسـرون خلال الطريق أشـياء لاتعوض، فى حين يصل آخرون إلى أكـثر مما تمنوا وبأقل قدر ممكن من العناء ؟وهل هذه الحيـاة عادلة فى اختيـارها البعض للشـهـرة والثراء .. والبـعض الآخـر لكى يعـيشوا حـيـاتهم مغمورين تعساء ؟

إننى أعرف أننى ألقى عليك أسئلة لا جواب لها .. لكنى كنت فى أشد الحـاجة إلى من يشـاركنى همومى التى لايـراها أحد غيرى .. والسـلام ..



□ ولصديقى كاتب هذه الرسالة أقول :

صدقت وأنت صادق دائمـا حتى فى آلامك حين قلت أنها أسـئلة بلا أجـوبة .. فـهى نوع من حـديث النـفس للنفس التماسا للسلوى والعزاء .. وليست التماسا لأجوبة محددة .. فكثيرا مانسأل أنفسنـا مثل هذه الأسئلة فلانجد جوابا .. وقد لا نجد العـزاء أيضا .. غير أن تجربة الحـياة تقول لنا أن لكل إنسان نصيـبه فى الدنيا .. وإن الأقدار قـد تتساوى فى النهـاية إلى حد كـبيـر .. وأننا لاينبـغى أن نحكم على الآخرين بمظاهرهم الخارجـية فمن قد نظنهم سـعداء .. قد يكونون أتعس مما نظـن .. ومن نظنهم تعـساء قـد تكون لهم سعـادتهم الخاصة التى لاندرك عمقها فالسعـادة مسألة نسبيـة ياصديقى .. ومايسعد إنسانا قـد لا يرضى غيره ،

وأنت شخصيا أصدق مثال على ذلك فمن يراك وأنت تضحك الثكالى كل ليلة قد يحسبك إنسانا لاهيا سعيدا تنام قرير العين بما حققت من نجاح ، ولايعرف أحد ماذا تخفي القلوب . لكنك من ناحية أخرى ربما لو قارنت نصيبك من الدنيا والنجاح بنصيب غيرك من التعساء لربما وجدت لنفسك بعض العزاء .. وقد يكون بينهم من كافح مثل كفاحك وربما أكبر . وفى الحياة متناقضات كثيرة لا يتسع المجال لحصرها .. ومن متناقضاتها أن تأتى أحيانا ثمرة الكفاح المضنى بعد أن يكون الإنسان قد فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح أو المال أو الشهرة .. وقد لاتأتى وهو على قيد الحياة أصلا .. فهل تدرى مثلا أن آخر عبارة نطق بها الفنان العالمى فان جوخ وهو يموت لشقيقه «ثيو» كانت : لو أنك استرددت حتى ثمن أدوات الرسم التى اشتريتها لى ؟ وكان شقيقه يعمل عارضا للوحات ويعول شقيقه فى أيامه الأخيرة ، ومات فان جوخ بغير أن يبيع لوحة واحدة من أعماله ، ثم مضت سنوات بعد وفاته فإذا بلوحاته تباع بالملايين .

أو تدرى مثلا أن الفيلسوف الألمانى شوبنهاور قد أمضى حياته فى البحث والدرس والتأليف وهو مغمور مجهول حتى شارف السبعين ، فإذا بشهرته تدوى فى العالم وينهال عليه التمجيد والتكريم بعد أن فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح فقال : بعد أن عشت عمرى كله وحيدا منسيا بين الناس .. جاءوا فجأة يودعوننى إلى قبرى بالطبول .

إنها أمثلة كثيرة ياصديقي : ولا أحد يملك مصيره .. ولا أحد يعرف أين سعادته الحقيقية فربما كان مانشكو منه الآن هو أفضل أيامنا بالمقارنة مع ما يخفيه الغيب ، فلنتعامل مع حياتنا كما هي .. ولنسعد بما أتيح لنا من قدر محدود أو غير محدود من الأسباب . ولننظر إلى غدنا دائما بقلب يخفق بالأمل.. وأتجاوز هذه النقطة لاتحدث عن صحتك وأقول لك أن عليك أن تتقدم بطلب إجراء جراحتك على نفقة الدولة سواء في مصر أو الخارج مادمت غير قادر على تحمل نفقات الجراحة .. وهذا حقك كمواطن سواء أكنت مشهورا أم مغمورا .. فالمقياس هو العجز عن تحمل النفقات وليس الشهرة أو النجومية .. بل لعل ذلك أكثر تأكيدا لحقك في العلاج لأن النجم أقدر على تحمل نفقات علاجه ، فاطرح اليأس جانبا .. وتقدم إلى المجالس الطبية أو زرني لنبحث معا الأمر .. ولسوف تبتسم لك الحياة من جديد .. ولسوف تكمل مشوارك الناجح إلى أقصى مداه بإذن الله ..

● اجرى الفنان الكوميدي كاتب هذه الرسالة بعد نشرها جراحة لتغيير الشرايين التاجية في لندن واسترد صحته .. وواصل عمله الفني وحقق نجاحا كبيرا وشهرة واسعة خلال السنوات العشر التالية لنشر الرسالة ومازال اسمه يتصدر واجهات المسارح الكوميدية الآن .



١٢

رجل مهم ..

أكتب إليك هذه الرسالة.. لأنني في مفترق طرق.. وفي إحدى المراحل التي تشهد فيها حياة الانسان تحولا خطيرا كالزواج والعمل والمعاش.. أو الطلاق.. وهي كلها «محطات» يحتاج فيها الانسان إلى أن يتوقف ويعيد حساباته ويستعد لما هو مقدم عليه.. ولعلك تتساءل يا سيدي في أي محطة من محطات العمر

أنا الآن وأفـضل ألا أجـيب عن هذا السـؤال قـبل أن أحكى لك لمحات من قصة حياتى لعل فـيها بعض الفائدة لى ولغيرى من السيدات.. وللرجال أيضا .

اننى .. سـيدة تعلمت فى المدارس الأجنبـية وعـشت حـياة سعيدة عادية بين أبى وأمى وإخوتى وحين أتممت العشرين من عـمرى تزوجت من شـاب رأيت فـيه كل مـا أتمناه فى شـريك الحياة.. وكـان شابا وسيمـا يشغل وظيفة مـحترمة لهـا هيبة خاصة لدى الناس ومرحا منطلقا مقبلا على الحياة.

ومنذ الأيام الأولى لزواجنا أحـببتـه وتعاونا معـا بإخلاص على إدارة عشنـا الصغيـر. وكان يقبض مـرتبه أول كل شـهر فيـعطيـه لى لأنفق منه طوال الشهـر وأخصص لـه مصـروفا يوميا أعطيه له وهو خـارج إلى عمله فى الصباح المبكر، وكنت أرقبه من شرفة البـيت وهو يتخايل بقامته المشـوقة وجسمه الرياضى فى طريقـه إلى السـيـارة «الميـرى» مـرتديا نظارته السوداء التى كانت من ملامح شخصيته وشخصية كثيرين من زملائه .

وحين كان يركب سـيارته وينطلق إلى عـمله كنت أعود إلى داخل شـقتى فـأفتح الراديو.. وأنظف البـيت وأنا أستـمع إلى برنامج ربات البيـوت وأطهو الطعام مع أغـانى الصباح.. فـقد رفض زوجى أن أعمل بعد انتهاء دراستى.. وفضل أن أتفرغ له ومضت حياتنا هادئة.. وجاء الأبناء واحـدا بعد الآخر.. فعرفت أحاسيس جديدة ومشاغل جـديدة وأصبحت أوقات فراغى أقل وسعادتى أكبـر، كان زوجى يتحدث دائما عن شخـصية هامة كان لها شأن عظيم فى ذلك الوقت.. كان للمصادفة من زملائه

وكان أصلا لا يحبه ويقول عنه أنه مغرور ومعقد و«عامل مهم» لكنه مع ذلك يحرص على زيارته في مكتبه مرة كل أسبوع على الأقل.. ويحرص على مجاملته ويقف أمامه «زنهارا» كأنه من أتباعه، وكان صاحب الشخصية الخطيرة من هواة اصطناع الأتباع وذات يوم فوجئت بزوجي المحبوب يقول لي: استعدى سننتقل إلى طبقة الحكام.. فقد وعده «فلان بيه» بمنصب كبير ونفذ وعده فعلا ونقل زوجي بعد أيام إلى وظيفة هامة وأصبحت له سيارة سوداء بسائق خاص.. وانتقلنا من شقة الزوجية إلى شقة كبيرة فاخرة في حي من أرقى الأحياء كانت لأحد الخواجات الذين فرضت عليهم الحراسة وإيجارها لا يتعدى جنيهات، ووجدت في خدمتي فجأة «شحطاً» طويلا متفرغا تماما لتلبية طلبات البيت وتوصيل الأولاد للمدارس. وبدأت ألاحظ أننا قد أصبحنا «أناسا مهمين» بالفعل إذا أساء بائع في السوق الأدب معي وأخطأت فحكيت لزوجي من باب التسلية ماحدث.. سألني باهتمام شديد عن هذا البائع وعن اسمه ثم يصمت وبعد أيام أفاجأ بالبائع نفسه واقفا على باب الشقة يبكي ويحاول تقبيل يدي قائلا : يا ست هانم حرام عليك أنا عندي أولاد سامحيني وخلي البيه يسامحني.. فامتنعت من يومها عن أن أحكي له حكاية مماثلة.. أما احتياجاتي من الأسواق فإنها تلبى على الفور من أحسن الأنواع وبأرخص الأسعار. وفي عز الأزمات التموينية كانت احتياجاتي كاملة.. لي ولأسرتي ولكل من يطلب مني ذلك من جاراتي كما كانت كل ملابسنا مستوردة من بيروت وغزة واليمن في وقت كانت فيه قطعة قماش مستوردة تعد معجزة

من المعجزات، وبدأت ألاحظ أن طبيعـة زوجى قد بدأت تتغير.. وأن روحه المرحة قد بدأت تتـراجع وبدأ وجهه يكتسى بملامح صارمة مخيفة وأصبحت أحاديثه معى ومع الأبناء مقتضبة أو إشارات من يده أو هزات من رأسه.. فإذا تكلم لا يتكلم إلا آمرا! وأصبح من برنامج حـياتنا أن أزور بالأمر زوجة «فـلان بيه» كل فترة وأن أجـاملها فى كل المناسبات دون أن تكلف نفـسـها عناء مكالمتى تليـفونيا مـرة، وكنت أتعجب من أنهـا تلومنى إذا تأخـرت عن السؤال عـن ابنها المريض بالأنـفلونزا ثم لا تكلف خاطرها بأن تسأل عنى وأنا مـريضة بالمستشفى بعـد جراحة الزائدة الدودية وكنت أقول إنها ليست صـديقة وإنما هـى تعتبر نفسـها «رئيسة» لزوجات كل من يرأسـهم زوجها.. فإذا شكوت ذلك لزوجى قـال لى «فـتـحى مـخك» النظام كـده.. وأهو انت عندك زوجات المرؤوسين لى اعملى معاهم نفس الشىء !

وواصل زوجى صـعـوده فـشغل مـنصبـا أكـثـر خطورة وأصبحت له امتيازات كثيرة. وأصبح عدد السيارات المخصصة له ثلاثا.. وأصبح «الشحط» الذى يقف بجوار باب الشقة أربعة رجال عمالقة يتناوبون الوقوف ليل نهار أمام باب البيت.. كأن أحدا يدبر لقـتلنا أو اختطافنا، مع أن الحكاية لا «تسـتاهل» كل هذا وفى هذه الفتـرة حصلنا على شقة واسعـة فى قلب مدينة الاسكندرية كـان يسكنها أيضـا «خواجـات» ممن سافـروا من مصر بإيجار زهيد وأصبـحنا نمضى الأجازات فيها.. وفى هذه الفترة أيضـا اشترى زوجى قطعة أرض مبـان فى مدينة نصر بسعـر المتر جنيـهين وبالتقـسيط وهى نفس القطعـة التى بلغ سعرها بعد عشرين سنة أكثر من مائتى جنيه للمتر الواحد .

واطمأننا إلى مستقبل الأولاد بهذه الأرض وبمدخراتنا.. لكن ما أصبح يشـغلنى هو زوجى نفسه. فلقد أصبح إنسـانا غريبا عنى ومضى يزداد صمـتا وصرامة وغموضـا وانشغالا عنى.. ومضى يزداد اسـتغـراقا داخل نفسـه كأن لم تعـد له شريكة حياة. ولأن الحياة لا تمضى على وتـر واحد دائما.. فلقد جرى علينا ما يجـرى على الآخرين من تقلبات.. وصـحونا ذات يوم على أحداث وتغيرات وزلازل رهيـبة فى يونيو ١٩٦٧ وانتهى الأمر بخـروج زوجى من عمله. وليت الأمـر اقتـصر على ذلك فلقـد تغيرت دنـياه كلهـا خلال فتـرة لاتزيد عن شهـور وبدأ الزلزال بسقـوط «فلان بيه» وسجـنه.. ثم سقوط كثـيرين من أبناء جيل زوجى .

وفى البداية نظر زوجى إلى الأمر باستهانة.. «واثقا» من أن البلد «حتـروح فى داهية» وأنها سـتعرف له ولزمـلائه قدرهم خـلال وقت قصـير وسـتعود لتـرجـوهم العودة إلى تحـمل مسئولياتهم الخطيرة من جـديد وإنقاذها.. وأنه ساعتها سوف «يفكر» طويلا قبل أن يقرر هل يقـبل العودة لخدمة «هذا البلد» أم لا ؟.

لكن الأمـور مضت فى طريق لا عـودة فيـه.. وفى كل يوم يخـتفى مـن الحيـاة شـخص جديد من عـالمه القـديم أو يدخل السجن شخص آخـر فيهتز فى أعـماقه ويتوجس خـيفة.. لكنه يتظاهر برباطة الجأش وواجهت معه فتـرة عصيبة فى حياتنا. ولم تكن أحـوالنا سيـئة فلقـد كـان لدينا ٣ شقق فى القـاهرة والأسكندرية وقطعة أرض للمبـانى وكان لدينا سيارة هى أول سيارة اشتريناها من مالنا وكانت شقتنا مجهزة بكل الكماليات

وله مـعـاش مناسب ولديـنا بعض المدخـرات، وقـد اسـتـسلم زملاؤه لمصـيرهم بعـد فتـرة.. وشغلوا أنفـسهم بمشــروعات تجـارية صغـيرة أو أنشطة خـاصــة فهـذا يربى العجـول فى مـزرعتـه وهذا أقـام مـزرعة دواجن. وذاك افـتـتح مـعرضـا للسيارات.. الخ .. أما زوجى فقد تأزم تماما وتعقدت شخصيته بدرجة خطـيرة.. وأصبح عـمله الوحيـد هو الذهاب إلى النادى فى الصباح بعد أن يرتدى ملابسه الكاملة حتى فى عز الصيف ويرتدى النظارة الســوداء.. ثم يمشى بوقار إلى السـيارة التى استأجر لها سائقا يتقاض ثلث معاش زوجى بلا ضرورة وفى النادى يجلس مع بعض زمـلائه القدامى ويـتحدث فـى الأمور العامة ويدلى بآرائه بثقة ويشــرب القهوة.. ثم يعود إلى البيت فى الظهر فلايغادره حتى اليوم التالى. وفى البيت بدأت ألاحظ عليه تصــرفات غريبة مع مـرور الأيام والسنين فلقد بدأ يدخن المخدرات كل يوم من الظهـر حتى ينام ويمضى الوقت ســاهما سـارحا فإذا تحدث أصبح الحـديث الوحيد له هو «أمجاده» وما فعـله «للبلد» فإذا جـاءت سيـرة أحد الكبـار فى ذلك الوقت أيا كان مـوقعـه قال ببســاطة «فلان ده كـان بييجى هنا يلـبّسنى هدومى الصــبح وأنا نازل للشــغل» أو فلان ده كنت باضــربه على قفاه كل يوم أو «فلان ده اسألوه يقولكم إنى أستاذه وأنه ما يقدرش يقعد قدامى».

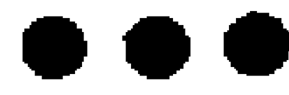
وكنت أســمع وأتألم لمـا آل إليـه حـاله.. لأنه كـان «يكذب» أمامــى وأنا شريكة حـياته التى تعـرف عنه كل شـىء ولم يكن يحزننى حاله فى البيت.. بقدر ما كان يحزننى حاله في النادى وخـارج البـيت فقـد بدأ يفـتـقد الأصـدقـاء والجلســاء الذين

يستطيـعون «تحمل» هذا «الفـشر» وهذه الكبـرياء الكاذبة، أما خارج النادى فلقد أصبحت «خناقـاته» كثيرة مع كل من يتخيل أنه لم يبـد نحـوه الاحـترام الكـافى وكنت أسـمع حكاياته من الجيران وأبكي.. فلقـد بهدل نفسه كثيـرا مع أناس ليسوا على استعداد لتحمله، أما حـاله مع الأولاد ومعى فلقد أصبح محزنا بالفعل، فقـد أصبح لايحتمل أى مناقشة لرغـبة من رغباته ولا يتحمل مخالفته فى أى شىء وأصبحت كلمته فى أى أمر يتعلق بى وبشئـون الأبناء لا راد لها ولا مناقـشة فيـها. وبدأ الأولاد يتذمرون خاصة وقد أصبحوا شبابا وتزوجوا فإذا راجعته فى ذلك انفجر حـانقا.. وكلما نصحـته بأن يمارس أى عمل لكى لا يؤذيه الفراغ أهاننى وخـاصمنى.. حتى أصـبحت حياتى مـعه جحيما لايطاق خاصة بعـد أن استقل الأبناء بحياتهم وتجنبوه بقدر الإمكان تفاديا للمشـاكل والإهانات .

إلى أن جـاء يوم وحدث خـلاف عادى من خـلافاته مـعى.. لكنه طال هـذه المرة لأنه رفض مـحـاولاتى للصـلح مـعـه ثم فوجئت به يجمع الأبناء ويعلن عليهم قرارا خطيرا اتخذه هو .. طلاقى! يا ربـى.. طلاق وأنا فى الســتـين وبعـد هذا العـمـر الطويل.. وبعد أن تزوج الأبناء ولم يعـد لكل منا سوى الآخر.. لقد حاول الأبناء إثناءه عن ذلك لكن كيف يرجع فى قرار اتخذه وهو الذى كان يتـخذ أخطر القـرارات ويتمسك بهـا ولا يجرؤ أحد على معارضــته «طلاق يعنى طلاق» وجاء المأذون فى يوم حـزين وتمت المراسـم الكئـيـبـة فى نفس البـيت وأمـام الأبناء وأصبحت بجرة قلم مطلقة فى الستين بلا أمل ولا مستقبل .

إنى أكتب إليك لأسـألك ماذا تفعل سـيدة مثلى فى هذا العمر

حين تفاجأ بالطلاق وأين تقيم؟ وكيف تواجـه حياتها بعد نفاد النفـقـة ؟ هل أمـد يدى لأولادى فى هذه السن ؟ ولماذا يسـمح قانون الأحوال الشخصيـة بالطلاق بلا سبب كما حدث معى ؟ أو بسبب أزمة نفـسية لاذنب لى فيهـا يعانى منها الزوج وهل فكر مشرعو القـانون فى وضع مطلقة مثلى فى هذه السن أين تذهب وأين تقيم والزوج يقيم وحده فى شقة من ٦ غرف وهل لديك جواب على هذه التساؤلات ؟.



□ سأعلق على هذه الرسالة باخـتصار شديد لأنى آثرت أن أخصص معظم المساحة للقصة التى ترويها لأنها تنقلنا معها إلى عالم غريب لم تقـترب منه رسائل البريد من قبل. إنه عالم الأشـخاص المهـمين.. ومأسـاتهم ومأساتـنا أيضا معهم! ولكاتبة هذه الرسالة أقول: إنى عاجز بالفعل عن أن أجد إجـابات مقنعة لتـساؤلاتك الحائرة وأرجـو أن يجيب عنها من هـم أقدر منى على الإفتـاء فى هذا الشأن، وعـاجز أيضا عن أن أفهم كيف يمكن أن يتدهور شخص مهم أو كان مهما إلى هذا الحد لمجرد أن دنياه قد تغيرت وأنه لم يعد له نفس السطوة التى كانت له ذات يوم. إننـى أعرف تماما أن انعدام الدور محنة ومحنة قاسية لكنها ليست نهاية الحياة ولاينبغى أن تكون كذلـك فهناك أشخاص كثـيرون يتوقف دورهم فى كل حين فـلايتحولون إلـى شخصـيات مـريضة مشوهة وإنما يتقبلون الأمر بواقعية ويتكيفون مع واقعهم الجـديد لأنهـا سنة الحـيـاة ولأن لكل زمـان رجـاله. ولأن الرجل الكبير حقا هو من يرى نفسه أكـبر من منصبه مهما

عـلا هذا المنصب فإذا فـقـده فإنه لايفـقد نـفسـه معـه لكن مأسـاتنا أن «الصغار» أحـيانا يتسللون إلى مـواقع الكبار فإذا فقدوها فقدوا مـعها كل اتزانهم وحكمتهم وتحولوا إلى أشباه مجانين !.

ومأسـاة بعض أفراد هذا الجـيل الذى يمثله زوجك بكل أسف هى أنهم لا «يتـحملـون» أبدا ألا «يخافـهم» الناس!.. فإذا فقد الناس خوفهم منهم إنهاروا كالأطفال وتحولوا إلى شخـصيـات مريضـة تهرب من واقـعهـا الجديد إلى عـالم خـرافي لم يعـد له وجود إلا فـى خيـالهم. وزمـلاء زوجك الذين تكيـفوا مع الحـياة وربوا الدجـاج والعجـول هم فى رأيي أشجع منه وأفـضل وأكثر فائـدة للحياة وللمجـتمع، ولو فـعل مـثلهم لأضـاف زوجك إضافـة جـديدة إلى نهـر الحياة المتدفق الذى لايتـوقف ولاينتظر أحدا، ولما عانى من هذا الانفصـال الرهيب عن الواقع حتى ليتـخيل نفسـه بعد عشرين سنة الرجل الخطيـر الذى يصدر القرارات الخطيرة كقـرار طلاقك فى هذه السن فـلايتراجع عنهـا مهـما كـانت قراراته خـاطئة . ولا شك أنـه ـ سامحـه الله ـ قد أتحـفنا ببعض هذه القرارات الجليلة الشأن أيام مـجده فساهم فى تعـقيـد حيـاتنا وفى مضـاعـفة صـعوباتهـا ثم رفض أن يتراجع عنهـا.. وهيهات أن يتـراجع «العظماء» من أمـثاله عن أخطائهم.. إنها ليست مأساتك وحدك وإنما هى مأساتنا أيضا مع هذا الجـيل من الحكام الصغار الذيـن عانينا منهم مثلمـا تعانين وأكثـر. ومأساتك يا سـيدتى أن زوجك رجل مصاب بجنون العظمة وقد تفاقم جنونه مع تدفق المياه فى

نهر الحـياة بغـير أن تعـود مرة أخرى إلى الـوراء لترتمى تحت قدميه.. وهيهات أن تعود ومن عجب أن المصابين بهذا الجنون يتـفاقم إحـساسـهم بالعظمـة بعد زوال أسـبابهـا ومبـرراتها.. كأنهم يريدون أن يـؤكدوا لأنفسـهم ما يكذبه الواقع كل يوم.. ويصرون عليه كلما تباعدت ذكراه.

والحق أن زوجك هذا ليس عظيما ولو كـان عظيما بحق لما عرضك لهذه المحنة الشخصـية بعد هذه الرفقة الطويلة بحلوها ومـرها ، ولو كـان رجـلا بحق لما شـردك من بيت الزوجية بعد هذا العمـر الطويل. وبغض النظر عما يقضى به القانون ولتخلىً لك هو عن بيت الزوجية وحمل حقيبته معـه إلى حيث ألقـت قدماه مـادام مصـرا على الطلاق وهو والحـمـد لله قـادر على أن يجـد لنفسـه مـأوى كـريما في القاهرة أو الاسكندرية .. أو فى أى مكان، والبركة فى شقق الحراسة التي حرم منها الشـعب واحتكرها الحكام الصغار من جيله.. وفى أرض مدينة نصر التى يمكن أن تشترى له شقة فى أسبانيا لو أراد !.

لكنه ليس عظيما ولا خطيرا .. ولا رجلا .. وإنما هو أحد هؤلاء الصغار الـذين حملتهم الأمواج بالصـدفة إلى مواقع الكبـار.. فكان صعودهم نـكبة علينا وكـان انهيارهم نـكبة عليك وعلينا فلك الله فـيمـا تلاقين.. ولنا أيضا فـيما لـقينا وفيما نلقى منهم ومن أمثالهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

● نشرت هذه القـصة فى بريد الجـمعة فـى أوائل الثمانينيـات ، وكان العـهد مازال قريبـا ببعض رجال السلطة الذين فقدوا سطوتهم بعـد نكبة يونيو ١٩٦٧ ، وقد صاغ الزميل رءوف توفيق أحداث هذه القصـة فى فيلم سينمائى اسمه «زوجة رجل مهم » بطولة أحمد زكى وميرفت أمين .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

١٣

رجل الأسرة

أنا يا سيدى رجل في السابعة والثلاثين تزوجت منذ حوالى ١٥ سنة من زوجة شابة جميلة فى مثل سنى كريمة الخلق، وعشنا معا فى سعادة تامة.. اكتملت بمجىء ابننا الصغير بعد عام ونصف العام من الزواج.. وقررنا أن نأتى له من عالم الغيب بأخت أو بأخ ثم نكتفى بذلك ونشكر الله على ما أعطانا

ونواصل حيـاتنا في سعـادة وفعـلا حملت زوجـتي، وقبل أن تضع مـولودها كـانت حرب اكـتـوبر قـد اشتـعلت وكنت قـد اشتركت فيها فقد كنت ضابطا بالقوات المسلحة، وخرجت منها بشلل نصفى أقعدنى عن الحـركة.. ولست بحاجة لأن أقول لك أن حياتنا قد تغيرت بالكامل بعد ذلك.. وأننى نظرت إلى نفسى فوجـدتنى أبا لطفل عمـره عام ونصف العام ولمـولود فى عالم الغيب وزوجا لشـابة صغيرة جـميلة مليئة بالحـيوية.. ففكرت طويلا ثم طلبت منها أن تدعنى لمصـيرى وأن تسعد بحـياتها.. وأن تجرب حـظها مع غـيرى فـرفضت بكل إباء ومنعـتنى من العـودة إلى مثـل هذا الحديث وقـالت لى أنهـا لن تتـخلى عنى وأنها ستقف معى إلى النهاية وأمضينا عامين طويلين فى رحلة العلاج وأصـبح معاشـى لا يكفـينى وعشت أياما سـوداء وكان أشقائى الأصغـر منى يأتون لزيارتى ثم يدس الواحد منهم فى يدى بعض المال وأنا حبيس الكرسـى المتـحرك قائلا: هذا شـيء بسيط للأولاد.. أو للدواء، وفعل نفس الشـيء معى كل أقاربها، واسـتمـرت رحلة العـذاب بلا أمل حـتى بدأت أنهـار وأرفض الذهاب إلى جلسـات العلاج الطبيعى أو إلى عيادات الأطباء، لكن زوجتى لم تيأس ولم تنهر ولم تضـعف وتعلمت كل التدريبات الرياضـيـة المطلوبة وأصـبحـت تجريهـا لى فى البـيت حـتى استطعت بفضلهـا أن أنتقل من السرير إلى المقعـد المتحرك بلا مـسـاعـدة من أحـد، لكن أزمـتنا الماليـة اسـتـمـرت بل زادت صعوبتها مع وصول الأبناء إلى سن الدراسة وكانا قد أصبحا ابنا وابنة بعد وصول بنتى التى جاءت إلى الحـياة وأنا حبيس المقـعد المتـحرك، وأصـرت زوجتى عـلى أن تلحق ابنى وابنتى

بالمدارس الأجنبيـة كما كنا نحلم ونحن فى بداية حـياتنا وكلنا صحة وشباب والدنيا ممتدة أمامنا .

وقررت أن تخرج للعمل لكى توفر دخلا إضافيا مع معاشى يكـفى لمصـاريف المدارس واشـتـراك النـادى والدروس الخصـوصية وعـملت فى إحدى الجهـات، ثم انتقلت منهـا بعد فتـرة إلى شركة اسـتثماريـة بمرتب أكبر وكـانت تعود منهكة لتعد الطعام وترعى الأبناء ثم لتساعدنى فى قص شعرى وأداء التمارين.. وفى الاغـتسال وفى أشياء أخـرى أخجل من ذكرها ويحتاج فيها أمثـالى إلى مساعدة غيرهم، وكانت رغم كل ذلك سعيدة راضية دائما وتقول كل يوم لابنيها : «بابا بطل.. وبقى كده لأنه كان بيدافع عن مصر».

ولم أسمعـها طوال هذه السنوات الطويلة الكئيـبة تشكو أو تتذمر أو تبدى اعـتراضا على مشيئـة الخالق، وإنما تقول دائما إنها إرادة اللـه وعلينا أن نمتثل لهـا، وكانت تحـاول جاهدة ألا تخرج كثيرا.. ولا تذهب حتى إلى أسرتها لكيلا أحتاج إليها فلا أجدها.. ولا تحاول أن تتـزين أو تسرف فى الاهتمام بأناقـتها لكى تتجنب إثارة غيرتى .

ومـضت حيـاتنا هكذا وبمرور الأيام بدأت أشعـر أن دورى كرجل الأسـرة وعائلها قد بدأ يتـراجع فى حياة أولادى كثـيرا فـإذا طلبت المدرسة ولـى أمر أحـدهما فـإن زوجـتى هى التى تذهب إليها.. وهى التى تحضر اجتماعات مجلس الآباء.. وحفل توزيع الهدايا على المتفوقين الخ، وإذا تطلب الأمر شراء ملابس للأبناء فـإنهـا هى التى تصـحبـهم مـعهـا لتنزل إلي المحـلات وتشترى مايريدون وشيئا فشـيئا بدأ الأبناء يتجهون بمطالبهم

إلى أمهم مـباشـرة مادامت هي التي تشتـرى وهي التى تذهب إلى المحـلات.. أمـا أنا فلقـد بدأت أكـيّـف حـيـاتى مع ظروفى الجـديدة.. وأحاول أن أقـوم بما يسمح به جـهدى المحـدود من أعمـال تخفف عن زوجـتى بعض أعباء البـيت، وأصبـحت بعد فترة قـصيرة أصحو مبكرا.. وبعـد انصراف زوجتى والأولاد للعمـل والمدرسة أتجول فى الشـقة بالكرسى المتـحرك فـأقوم بتقشير خضار اليوم وأغسل بعض الأطباق.. وبعض الجوارب والمناديل ثم أطبخ ما أستطيعه من خلال الكرسى المتحرك لأن زوجتى تعود فى السادسة مساء فـتقوم بترتيب البيت وتتفرغ لخدمتى والأبناء ومساعدتهم فى الاستذكار .

وأصبحـت أشـعر داخليا أننى «ست البـيت» وأنها هى رجل الأسرة الذى يتحمل كل المسئـوليات.. وآلمنى ذلك كثيرا.. ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل ولم يكن لى حيلة فيما جرى ؟ .

وذات يوم وكنا فى بداية الصـيف جـاءنى ابنى يطلب منى السـماح له بالذهاب مع بعض أصـدقائه فى رحلة إلى مـرسى مطروح، فـرفضـت لأنى أرى أنه مازال صـغـيرا علـى القيـام برحلة بمفـرده مع أصدقـائه بلارقـيب كمـا أنه غيـر مسـتعـد للاعتماد على نفـسه، ولم تعلق زوجتى على ذلك وسكتت لكنى فـوجئت بابنى بعـد ذلك بأيام يناقـشنى فى ذلك ثم يقـول لى فجـأة : ليس من حقك أن تسـمح أو ترفض ذهابى إلى الرحلة، وماما هى صاحبة القـرار لأنها هى التى تعـمل وتكسب بينما أنت جالس فى البيت طوال النهار على هذا الكرسى بلا عمل !

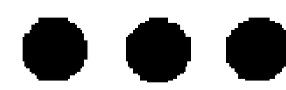
كنت وحدى علـى مقعـدى فى ركن التليفزيـون فى الصالة وكانت زوجـتى فى العمل وابنتـى تشتري شـيئـا من الخارج

وذهلت وأحســست بالبرودة تتسلل إلى كل جزء من جـسمى.. ثم انتـفضـت ورفعت يدى لأصـفـعه.. فـوجـدت يدى ترتخى وقطرات من الدمع تقفز من عينى حتى لأراها أمامى وصدقنى إنهـا كانت تقـفز ولا تسـقط إلى أسفل لأن قـوة الدفع وراءها كانت شديدة وكانت تدفعها للأمام لا إلى تحت .

دارت الدنيـا بى يا سيـدى.. ولم أعد أراه أمـامى.. ولا أرى شيئا ولم أشعر بشىء إلا وهو يبكى ويقول لى «معلهش يا بابا حقك علـى يا بابا.. أنا آسف يا بابا» ثم يقبل رأسى وأنا أقـبله ولا أستطيع أن أغضب منه؟ فما قـاله هو الحقيقة.. لكن لا ذنب لى فيهـا.. ولم أرد لنفسى ما أنا فيـه لكن الحياة تبدو قـاسية أحـيانا يا صـديقى بلا ذنب لك. وكـان هذا هو حـالى مع ابنى وفلذة كبـدى الذى طعننى فى رجولتى وكرامـتى بغير قـصد، ولقد ترك هذا الحادث فى نفـسى أثرا غائرا فأمضيت أسـبوعا وأنا لا أكلم زوجـتى ولا أفعل شـيئـا سوى التـفكير الصـامت الحزين وتحت تأثـير الغضب أو الشـيطان ـ لا أعلم ـ توصلت إلى قرار خطير ! وذات يوم كانت عائدة من عند شـقيقها الذى ذهبت إليه مع أشـقائها لتوديعـه قبل السفر، فـاستقبلتـها مع أولادى عند الباب ثم انفجرت فيها متـهما إياها بخيانتى وداعيا عليها أمام الجيران أن ينتقم الله منها وطردتها.. فهرولت باكية إلي الخارج تلاحقها لعناتى وصياحى، وانفجرت الفضيحة فى العـمـارة وفى وسط الأسـرة وبلغت شظـاياها مكان عـملهـا. ورقدت هــى مريضـة فى بيت أهلها.. ورقـدت أنا مريضـا فى بيـتى. والآن وبعـد أن مـضت الـشـهـور والأسـابيع وتوالت الأحـداث.. وتدخل الأهل والأقـارب أعـتـرف لك أمـام الله أنى

ظلمتهـا وأنى مثلت معهـا دور الزوج المخدوع لكى أتخلص من عذابـى، وأنه لا توجد على ظهـر الأرض من هى أشرف منهـا. إننى ألعن نفـسى كل يوم.. وأتجـرع الندم كل لحظة لكن مــاذا يفيد الندم؟ إنــى أسأل نفسى كل يوم ماذا فعلــت. ولماذا فعلته مع أقرب إنســان فى الوجود إلى قلبى؟ فـلا أجد جوابا مـقنعا لهذا السؤال .

لقد جاءنى شقيقها منذ أيام يرجونى أن أمنحها الطلاق وأن أترك لها الأبناء ولو على سبيل المكافأة عن الفـترة التى قضتها بجوارى تمرضــنى وترعانى، لكنى لم أتخـذ قرارى بعـد.. فأنا أريدها أن تعود إلىّ وإلى أولادها وإلى بيـتها.. فهل تعتـقد أنها يمكن أن توافق على العــودة.. وإذا وافقت هل تعتـقد أن الناس والجيران والأهل الذين علموا بما جـرى سوف ينسون الواقعة المخـجلة التى رويتــها لك؟ إنى أعـتـرف أننى المخطىء لكنه فى مثل سنى وظروفى فإن الأزمــات النفسية تكون شيئا مـتوقعا كـما تعلم. لذلك فـإنى أرجوك ألا تـنصحنى بطلاقــها وبتـرك الأبناء وأن أعيـش وحدى بعيـدا عنها وعنهم لأنى لا أســتطيع مفــارقة أبنائى فهل تساعـدنى برأيك فى حل مشكلة صنعتــها بيدى؟.



ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة أقول :

يا سيـدى لقد اخـترت أسوأ نهـاية لأكثر الـقصص التى قرأتها فى رســائل القراء تأثيرا فى النفس وإيلامـا لها فلقد اخـترت لـنفسك أن تـكون ظالما وأنت من ظلمـتـه الحيـاة واخترت لنفسك أن تكون جانيا وأنت أصلا ضحية .

وصدقني أن جسدى قد اقشعر وأنا أقرأ رسالتك حين بلغت هذا المشهد المؤلم بينك وبين ابنك الصغير. سامحه الله وسامح أمثاله ممن لا يدرون أحيانا أين تقع كلماتهم الجارحة من القلوب الكسيرة، لكنه طفل يا صديقي وإن أخطأ أو أجرم وحتى لو كان وراء الخطأ نقص تربوى معين لم يلتفت إليه أحد خلال صراعكم مع الحياة، لذلك فإن خطأه لايبرر لك أبدا أن تنتقم من شريكة حياتك الصابرة التي لم تتخل عنك في محنتك وكانت لك نعم الرفيق والصديق هذا الانتقام الجبار .

لا ياسيدى إنها لم تكن لتستحق منك هذا الانتقام مهما كانت أسبابك الحقيقية لهذا التصرف العنيف فلو كنت مثلا قد أردت تحت تأثير الآلام النفسية لما جرى بينك وبين ابنك، أن تثبت لنفسك أنك مازلت رجل الأسرة الآمر الناهي الذى يحاسب ويعاقب.. فلم تكن هذه هي الوسيلة الصحيحة لتفعل ذلك بهذه الطريقة العلنية الجارحة مع شريكة عمرك ولو كنت قد قررت أن تنهى ما بينك وبينها اقتناعا باستحالة استمرار الحياة بينكما على هذا النحو، فلقد كان الأجدر بك أن تصارحها بذلك وأن تنهى الأمر كله باحترام يليق بها وبك وبأسرتك وبرصيدها الكبير لديك. وحتى لو كنت قد وقفت منها هذا الموقف الشائن لأن الشك قد ساورك فيها في لحظة ضعف والنفس أمارة بالسوء كما تعلم.. فلقد كانت هناك طريقة أخرى لإنهاء الأمر بغير هذه الفضيحة، فلماذا اخترت هذه الطريقة البشعة للإساءة إلى من تقسم أمام الله بإخلاصها وشرفها؟.. ولماذا تسيء إلي

نفسك وإلى أبنائك هذه الإساءة البـالغة وقد كنت تستطيع تقديرا لماضيها معك على الأقل وحرصا على مشاعر أبنائك وسمـعتهم أن تـنهى كل شىء فى هدوء، ألم تعلم أنك بذلك قد أسأت إلى أبنائك قبل أن تسىء إليها، وأنه كان حريًا بك أن تحسن إليـهم قبل أن تحـسن إليها لقـد قال أحـد العرب ذات مرة لبنيه : لقد أحسنت إليكم صـغارا وكبارا وقبل أن تولدوا فقـالوا له وكيف أحسنت إلينا قـبل أن نولد ؟ قال : اختـرت لكم من الأمهـات من لا تُسبـون بها!. فلـماذا أردت لأبنائك أن يُسبـوا بأمهم بهذه الفضـيحة التى لا مبـرر لها وأنت تعـرف صدق إخـلاصـها؟ ثم لماذا يـا سيـدى نسلى الآخـرين بعـذابـنا وآلامنا لو كنا مـعـذبـين ولماذا لا ينهى الانسان عذابه بغير أن يُشهد عليه العالمين؟.

إننى لا أريد أن أقسـو عليك.. لأنك ضحيـة في النهاية.. ولأننا جميعـا نحسن السباحة فى ميـاه الشاطىء الضحلة فإذا ما جرفنا الموج إلى المياه العـميقة لا نعرف كيف يمكن أن يكون حـالـنا أو مـاذا يمكن أن نقـول أو نفـعل وليس المعزى كـالثاكل، لـذلك فإنى أفهـم ظروفك يا سيـدى وأقدر آلامك لكنى أطالبك بأن تكون عـادلا سواء عـادت المياه إلى مجـاريها مـعهـا أو لم تعد وأطالبك بألا تسكت علـى ضيم أوقعته بأحب الناس إليك وأكـثرهم إخلاصا لك وأنت تملك رفعه خوفا من ربك وإرضاء لضـميرك قبل كل شىء فأعلن للناس يا سيـدى ما صارحـتنى به.. وردّ لزوجتك شرفـها أمام كل من رميتـها أمامـهم بالباطل، فالـساكت عن الحق شيطان أخـرس واعلم أن الله لا يتسـامح مع هذه الجريمة

الشنعاء مالم ترجع عنها.. ثم بعد ذلك ابحـث أمر مستقبلك معـها ومسـتقبل أولادكـما معكمـا فليس عيـبا أن يخطىء الانسان مرة لكن العيب كل العيب هو ألا يصلح خطأه وهو معترف به خاصة إذا ترتب عليه إنصاف مظلوم..

تسألني هل تقبل أن تعود فأقول لك : لا أعرف علي وجه التحديد وإن كنت أتصور أن طبيعتها المضحية ربما تتغلب عليها في النهاية فتقبل بعد إنصافها أن تعود إليك من أجل أولادها ولا يجوز في مثل هذه الحالة أن تسألني هل ينسى الناس أو لاينسون فليس مهـما أن ينسى الناس وإنما المهم هو أن تنسى هي وأن تصفح!

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

١٤

عمارة الأحلام

سأبدأ قصتي بلا مقدمات لأنى فى حالة لا تسمح لى بالتفلسف أو حكاية الحكايات.. وستعرف ماذا أقصد حين تقرأ سطور رسالتى ..

أنا ياسيدى رجل فى الأربعين .. خلال دراستى الجامعية تعرفت بزميلة لى أحببتها وأحبتنى وشرعنا نبنى معا مستقبلنا ، وبعد التخرج بعامين وفقنا فى الحصول على شقة

تزوجنا فيها وبدأنا قصتنا السعيدة ، فعشت معها سنوات كان فيها الحلو .. وفيها المر لكن القافلة كانت تسير ، وخلال رحلة العمر معها أنجبنا ثلاثة أطفال ، وسافرت للعمل في إحدى الدول المجاورة عدة سنوات حرصت خلالها على تركها هنا توفيرا للنفقات ولكى أجمع أكبر قدر من المال يسمح لنا بتكوين حياتنا وحتى حين عدت بعد سنوات العمل واصلت العمل هنا ليل نهار لكى أستطيع استكمال بناء منزل من ٤ أدوار وضعت فيه كل مدخراتي وحصيلة كفاحى فى الغربة وهنا وسط أصعب الظروف وفعلا تمكنت بجهد جهيد من استكمال البناء وبنيت عمارة الأحلام كما يقولون وبدأت أستعد لكى أجنى ثمار هذه السنوات الطويلة من الكفاح ، وفى هذه الأيام بالتحديد أفقت فجأة على صدمة هزت كيانى كله . فلقد فوجئت بزوجتى المحبوبة التى واصلت العمل فى الليل والنهار من أجل تأمين مستقبلها ومستقبل أبنائها تطلب منى الطلاق وتصر عليه . لم يقع بينى وبينها خلاف .. ولم تشهد حياتنا تقلبات عنيفة .. فلم يحدث بينى وبينها إلا ما يحدث أحيانا بين الأزواج من خلافات بسيطة لا يخلو منها بيت لذلك كان طلبها مفاجئا لى تماما وحين سألتها عن الأسباب قالت لى بإصرار : أنها تحس بأنها قد أصبحت بالنسبة لى منذ سنوات بعيدة قطعة من قطع اثاث البيت وأنها لا ترغب فى مواصلة الحياة معى .. حاولت اثناءها عن ذلك ووعدتها بأن أعطيها إهتماما أكبر ووقتا أكبر بعد أن انتهيت من بناء البيت ولم أعد مطالبا بالعمل بهذه الطريقة السابقة فلم تقتنع . أشتركت أسرتها فى

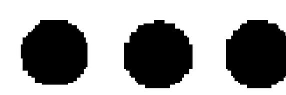
الأمر فـفوجئت بوالدتهـا تؤيدها في مطلبهـا فمنحتـها الطلاق راغما .. على أمل أن يهدأ غضبهـا بعد فترة وأن تراجع نفسـها من أجل الأبناء ومن أجلى وأعطيتها كل حقوقها فأعطيتها أثاث البيت والأبناء وكل شيء وتركت شقة الزوجـية لها وأقمت فى شقة من عمارتى الجديدة وحاولت ألا أقطع مابينى وبينها آملا فى إعادة الأمور إلى مجـاريها فكنت أسأل عنها .. وعن الأبناء وأعطيها النفقة بنفـسى فلاحظت لأول مرة وجود شـخص ثالث فى حياتنا يؤثر على مجـرى الأحداث بدون أن أعرف سرقوته أما الشخص الثالث فهو صـديق كنت قد فتحت له بيتى وقلبى منذ سنوات طويلـة وكان دائمـا على اسـتـعـداد لأن يقـدم لنا خدمـاته .. كان يأتى إلينا ليـجد عندنا الراحـة من متاعـبه مع أسرته ويجـد عندنا النصيحـة المخلصة ووثقت به ولاحظت أن هناك تقـاربا بينه وبين زوجتى لكنى لم يـساورنى الشك فـيه وحتى حين أردت أن أتخلص من ظنـونى ذات مرة فصارحـته بما يساورنى من شك قال لى إنــه ليس سوى أخ لزوجتى وأنه كان يدخل بيـتها منذ الطفولـة كصديق لشقـيقها ويهـتم بأمر أسرتـها .. وتذكرت فيما بعد أن زوجتى كانت تعتمد عليه دائما فى أشياء صغـيرة لم يكن انشغالى المستمـر يسمح لى بالقيام بها كالـذهاب إلى الطبيب أو اصطحاب الأبناء إلى عيـادة طبيب الأطفـال أو أداء مهـمة تتـعلق بشـقيـقـاتها بل والأبناء أيضـا ونصحته بالابتعاد عن أسرتها لكـيلا يتيح مجالا للحديث فقال لى أنه صديق قديم للأسرة وإنه أخ لا أكثر وخلال هذه الفترة عرضت عليـها أن تنتقل من شقـة الزوجية القديمة إلى الـشقة

التى كنا قد أعددناهـا فى البيت الجديد واخترنا كل شىء فـيها معا من الألوان إلى البلاط إلى السيراميك الخ .. فاشترطت لكى تسكن هذه الشقة أن أعطيـها عقد إيجار كمسـتأجرة وأن تقيم فيها مع أبنائـها كمطلقة قائلة إنها ربما بعـد عام أو عامين تهدأ مشاعرها وتعود إلىّ فقبلت لكيلا أغلق الباب بينى وبينها وحبا فى الأبناء ولكى يعيشوا بالقرب منى .

وقبل أن تـنتقل إلى الشـقة الجديـدة كانت وبمسـاعدة هذا الصديق نفـسه قد تنازلت عن شـقة الزوجية القـديمة لصاحب البيت مقـابل مبلغ من المال ثم حملت اثاثى السـابق إلى الشقة الجديدة وفرشت الشقة به وبعد أن استـقرت فيها واستقر كل شىء فى موضعه كان أول شىء فـعلته بعد الانتهاء من ترتيب قطع الاثاث وتركـيب السـتـائر وتنظيف البـيت هو الذهاب إلى قسم الشرطة المجاور لكى تطلب من الشرطة استدعائى لتحرير تعهـد بعدم التـعرض لها . هل تتـصور ذلك يا سـيدى ؟ كنت مـعهـا وهى تقوم بتـرتيب الأثاث مـعهـا وتركب السـتـائر بل ورأيتها تغتسل لتستبدل ملابسها وتخرج وبعد دقائق فوجئت بمن يطلبنى للذهاب إلى القسم فذهبت متعـجبا فإذا بها جالسة بنفس الفسـتان الذى اسـتأذنت لترتديه فى حـجرتهـا وأمامى تعهد مكتوب ومطلوب توقيعى عليه .

مـاذا جرى لـلدنيا يـا صديقى ؟ ألـهذا الحـد يصل الغـدر والتـدبير بأعـصاب باردة كـأننا لسنا بشرا عـاديين وإنما من دهاة المتآمرين؟ . نظرت إلـيها مصدومـا فحولت عينيهـا بعيدا عنى بلا مبالاة وكان القانون معـها فوقعت وأنا فى قمة الخجل

واليأس وانصرفت وأنا مقهور مكسوف مذهول، وعدت للشقة الأخرى التى اخترتها للحياة فيها وحدى ووضعت فيها بعض الأثاث القليل وهى الشقة المواجهة تماما لشقة مطلقتى أو زوجتى السابقة وأمضيت فى شقتى يومين لم أستطع مغادرتها خجلا من الجيران الذين توقعوا أن يكون دخولها للبيت تمهيدا لعودتها إلىّ ولم تضيع هى وقتها فبعد أيام قليلة فوجئت بها تتزوج من هذا الصديق فى شقتى التى بنيتها طوبة طوبة وأنفقت عليها ثمرة شقائى . وعلى أثاثى الذى اشتريته بسهرى وعملى من الفجر كل يوم إلى منتصف الليل، وبين أولادى الذين حرمت منهم وهم على بعد خطوات منى! وحين اعترضت وتكلمت قال لى الجميع انها مطلقة وحرة ومن حقها أن تتزوج بمن تشاء ووضعها قانونى فمعها عقد إيجار للشقة التى تسكنها فعدت مغلولا محسورا .. إننى أكتب إليك لأسـ ألك ماذا أفعل إننى مستسلم لما اختارته لى الأقدار وآمل فى أن تحمل لى الأيام بلسما شافيا لجراحى ولكنه من المؤلم جدا ياصديقى أن تكون شقتى أمام شقتها والباب أمام الباب وفى كل يوم وكل ساعة أراه وقد حل محلى فى مكانى من زوجتى وأبنائى وهما يتمتعان معا بثمرة شقائى فى الغربة وفى مصر فهل يرضى ذلك أحداً ؟ إننى حائر لا أعرف ماذا أفعل هل أبيع العمارة وإذا فعلت أين أذهب أم بماذا تنصحنى ياصديقى الذى لا أعرفه بعد أن فقدت ثقتى فيمن عرفت من الأصدقاء ؟ .



□ لكاتب هذه الرسالة أقول :

ياصديقي أنقذ نفسك من هذا العذاب الذى تتجرعه كل يوم وأنت ترى زوجتك السابقة ذات الأعصاب الحديدية ضاحكة لاعبة لاهية مع صديقك السابق بين أولادك وفوق أثاثك لأن الباب أمام الباب .. وأنت ترقبها بحسرة وتتجرع كل لحظة ألم الغدر والخيانة ؟.

لا شيء في الدنيا يساوى أن يتحمل الإنسان هذا العذاب إذا كان قادرا على أن ينجو بنفسه منه وأنت قادر والحمد لله فماذا تنتظر ؟ ولماذا لا تبيع هذه العمارة اللعينة التى هدمتَ أسرتك بانشغالك الشديد بجمع ثمنها ثم ببنائها إلى الحد الذى تركت فيه لغيرك أن يقوم بما كان ينبغى أن تقوم به أنت من رعاية لزوجتك وأبنائك ؟ ثم ماذا يساوى مال الدنيا إذا افتقد الإنسان السعادة والكرامة والأمان ؟ .

لقد غابت عنك أشياء كثيرة ياصديقى فى حينها ومهدتَ بتصرفاتك لكل ماحدث فلم تر النار تسرى تحت الرماد لأنك مشغول بعمارة الأحلام ولعلك نفخت فيها بغير قصد بإعتمادك التام على هذا الصديق الغادر وبثقتك فيه رغم أن الأمور كانت واضحة أمام كل ذى عينين .. ثم حين نفذت لزوجتك رغبتها فى الطلاق ابتذلتَ نفسك فى محاولات استرضائها للعودة إليك فأعطيتها الفرصة لكى تحقق من ورائك أكبر قدر من المكاسب وتستولى منك على شقتين بدلا من شقة واحدة وتستولى على الشقة التى أعددتها خصيصا لها بمداعبة أملك فى إمكان عودتها إليك وحين

تمكنتْ نفـضت يدها منك بأعصــاب قاتل مـحتـرف لايوجه ضربته إلا فى مقتل وهذا هو أكثر جـوانب خديعتها إجراما وانتهازية وأنانية . وهذا هو أيضا أكثـر جوانب شخصيتك تناقضا فأنت فيمـا يبدو لى حريص على المال ومع ذلك فقد لانت فراملك سريعا معهـا لرغبتك الشديدة فى إعادتها إليك ولعلها عرفت ذلك فـيك فاستثمرت بتـفكير مادى بحت هذه الرغبة لتحقق لحـياتها الجديدة التى دبرت لها من اللحظة الأولى أكبـر مكاسب ممكنة ولو كان ثمـن ذلك أن تغدر بك مرتين . مرة بالانفصال عنك للارتباط بصديقك ومرة أخرى بهـدم كل أحلامك بعـد الحصول على الشـقة لكى تتـزوج شريكهـا وتستمتع بحـياتها أمام عـينيك يا إلهى إنه تفكير رجال عـصابات .. لا زوجـة سابقـة وأم أطفـال يجمـعون بينكمـا إلى نهاية العـمر حتى ولو انفـصلتمـا فمـاذا جرى للبشـر ياصديقى ؟ ولماذا أصبح بعـضنا لا يتردد فى طعن الآخر بخنجـر مسموم إذا لاحت وراء ذلك منفـعة مادية ؟ لقد كانت تستطيع أن تتزوج من شريكها فى شقتك القديمة وأن تعلنك بذلك بوضوح وبشرف ولم يكن لأحد أن يلومها مـادامت قد اخـتـارت حـياتهـا وهى فى النهاية رغم الغـدر سوف تتزوج زواجا مشروعا فلماذا هذا التدبير الاجرامى ؟

إننى أشـعر بعذابك يا صـديقى وأحس إننى أمـام دراما غريبة تقف فيها وحيدا وسط قوم لم تأخذهم بك شفقة ولا رحمـة حتى ولـو كنتَ مخطئـا لكن هكذا الدنيا يا صـديقى

تقسو أحيانا وتصفو أحيانا أخرى وعلينا أن نتعلم فيها كيف نتقبل الهزيمة كما نسعد بالانتصارات الشخصية .. والصوفية يقولون في بعض أشعارهم:

فات ما فات والمؤمَّل غيبٌ ولك الساعة التى أنت فيها

والساعة التي أنت فيها تطالبك بأن تخرج من موقف المحسور الذى يرقب سعادة الآخرين بأسى وألم ويتعذب بها وبأن تطوى هذه الصفحة الأليمة وأن تبدأ حياة جديدة مزودا بخبرة ثمينة عن الحياة والبشر ولعل ما حدث يعلمك أن المغالاة في الجرى وراء المال على حساب حق الزوجة والأبناء من الرعاية لاتحقق السعادة كما أن بناء العمارات على حساب كل شيء آخر فى الحياة لا يحقق الكرامة ولا الأمان ..

وما أكثر ما نتعلم كل يوم من فصول جديدة فى علم الحياة .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

١٥

أدب الحياة

بقدر ما أعرف أن رسالتى هذه سوف تدهشك بقدر ماأعرف أنها سوف تسعدك لانها رسالة تختلف كثيرا عما يصلك من رسائل .. وعما أقرأه منها مع أصدقائى على الورق واتفاعل معها حزنا أحيانا وغضبا أحيانا أخرى .. ودموعا تنساب منى بغير أن أشعر أحيانا ثالثة وكثيرا ماأفكر فى الكتابة إليك ثم تشغلنى

مشاغل الحـياة إلا أن رسالة واحدة من هذه الرســائل دفعتنى دفعا لأن أكتب وأرد عليها .. وهـى الرسالة التى نشرتها بعنوان «بئر الحـرمان» والتى تشكو فيـها سيدة من قلة دخل زوجـها حتى انها كرهته مع أنه إنسان مثالى كما تقول وتعجبت وكدت أقـول لها أتكرهــين من أحبـبت من أجل نقـود تذهب وتجىء . إننى على ثقـة أن هناك أكـثـر من زوجـة قالت بعـد أن قـرأت رسالتــها : أعطنى زوجك المـثالى المحب الحنون .. وخـذى مال الدنيا كله .. واستأذنك فى أن أرد عليهــا نيابة عنهن فأقول لها إننى سيدة فى الخـامسة والثلاثين من عمرى من أســرة كبيرة يشغل معظم أفرادها مراكز كـبيرة ووصل بعضـهم إلى كرسى الوزارة ، وحين كنت فى السادسة عشرة من عمرى أرادت أمى أن تزوجنى لرجل رأته مع أبى وأعجبتها وسامـته وشـخصيته .. وحـاولت إقـناعى به بكل الطرق الممكنة فزادنـى ذلك إصرارا على الرفض لأنى كـنت متـفـوقـة فى دراســتى وراغـبـة فى استكمــالها لكن أمى مضت فى الاجراءات .. وجـاء هو مع أمه لزيارتنا زيارة تمـهـيـدية قـبل الخطبـة .. فـرفـضت أن أدخل الصالون لاصافحــه .. وأصررت على ذلك وأمى تـحاول إقناعى إلى أن استـجبت لها وقـررت فيما بـينى وبين نفسى أن أدخل إلى الصــالون معتـزمة أن أجـعله يخرج من بيـتنا ولايفكر فى العودة إليه .

ودخلت الصالون لرؤيتـه .. ولا أعرف ماذا جـرى لى حتى الآن. دخلت وأنا إنسانة وغادرت الصــالون بعد عدة دقائق من الحديث معه وأنا إنسانـة أخرى .. إن أمى تقول لى إن ماحدث هو .. النصيب . وأنا أقول لا .. بل هو الحب .

فلقد رأيت رجلا ـ بكل ما تحمل الكلمـة من معان ـ ثقافة .. لبـاقـة.. وأفقـا واسـعا .. ووسـامة .. وشخـصيـة .. وأصلا طيـبـا عريقــا ، فأحـببـته من الـدقائق الأولى وأحـبنى وتمت خطبـتنا .. ونسـيت من أجـله طمـوحى ودراستى وكل الدنيـا وعشت له وبه .

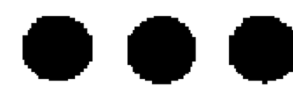
وعندما تزوجنا كـان مرتبـه ٢٢ جنيها وكـان يملك ٩ أفدنة وكانت وقتهـا ذات شـأن والمستقبل أمامه مشـرق ، فعشنا بهذا المرتب الصغـير أجمل أيام عمـرنا .. ورزقنا الله بطفلتين آية فى الجمال ولم يزد المرتب كثيرا ليواجه متطلبات الحياة الجديدة .. وإيراد الأرض محدود للغاية فقـرر زوجى أن يحقق أمل حياته وأن يكمل تعليمـه مابعد العـالى على نفقتـه فباع بضعـة أفدنة وسافر إلى أوربا بثمنها ليكمل تعليـمه ، وبعد عامين من سفره سافرنا إليه أنا وبناتى . فعشنا معا أجمل سنى العمر .. ورأينا مالم نره واستـمتعنا بالحياة هناك مـدة ٤ سنوات كاملة كانت كلها رحلة من الهناء رغم قلة المورد .. وعـدنا بعد كفاح مـجيد استطاع خـلاله رجلى الحبيب أن يـحقق مايتـمناه وأن يحصل على الدكتوراة التى اغترب من أجلهـا .. لكننا وجدنا الدنيا بعد عودتنا مـختلفة عنها حين سـافرنا . واكتشف زوجى أنـه فقد وظيفـته لأن المؤسـسة التى كـان يعمل بهـا قد حلت وأنـه قد تحول إلـى موظف بمصلحـة حكوميـة لا علاقـة لها بدراسـته وشهادته العلمـية الحكومية لأنه لم يكن فى الخـدمة فى نهاية عـام ٧٤ كمـا تنص اللـوائح .. وكنت قـد أنجبت بنتـا أخـرى وأصبح عدد أفراد أسـرتى ٥ ، وكل دخلنا من الوظيفة هو ٩٥ جنيها بالاضافة إلى حوالى ٥٠ جنيها من إيجار الأرض المتبقة، أى أنه تقريبا نفس دخل كاتبة رسالة بئر الحرمان التى كرهت

زوجها بسبب قلة الدخل علما بأنهـا تعيش فى قرية صغيرة .. ونحن نعيش فى عـاصمة احـدى المحافظات الكبـرى .. فهل أنا ناقـمــة .. ثائرة مـثل هذه الأخت ؟ أبدا والله فـأنا والـحــمــد لله سعيدة لأن فى حـياتى أشياء أخرى كثيـرة أجمل من النقود .. فعنـدى زوج بالدنيا كلهـا ويجمعـنا معا الحب والألـفة والمودة وأشيـاء أخرى خاصــة بنا صغيـرة وجميلة لا تعـوضنى عنها نقود الدنيـا .. وعندى ٣ بنات هن آية فى الجمال كـبراهن على أبواب الجامعــة وكل فرد منا يحب الآخر ويقـدره وقد أفاء الله علينا من نعمه الكثير .. فنحن والحمد لله بصحة جيدة .. وبيتنا «مستور» دائما بستـر إلهى .. له العجب . فمعظم أفراد اسرتى كما قلت لك أثرياء وإخوتى كلهم فى مراكـز مرموقة يحبوننى ويحـبون زوجى ويحـتـرمونه ولـم يحدث خـلال ٢٠ سنة أن غضب أحـدهم منى أو من زوجى .. بل يلجأون إليـنا دائما فى حل مشاكلهم مع بعضـهم البعض فكنا دائما واسطة خير بينهم .. ودائمـا يتم الصلح على أيدينا .. وبيـتنا والحمـد لله رغم أنه أقل البيـوت دخلا بالنسبة لبـيوتهم هو قبلتهم التى يـشعرون بالراحة فيه .. ومـا من طعام أصنعه بيدى حتى يتهـافتوا عليه بسعادة رغم بساطته .. و«ستره عـجب» كما يقولون فكثيرا ما تحدث فى حياتنا أشياء صغيرة تمـلؤنا سعادة وحبا ، فمثلا قد يكون رصيدنا فى الثلاجة صفـرا وفجأة يأتينا الخير من حيث لاندرى .. وبمجـرد أن تمتلىء الثلاجـة يأتى الضـيوف فنقـوم بالواجب وزيادة وفرحة الدنيا لاتسـعنا وأنا بأقل الأشياء أصنع سفرة رائعة .. وأجيـد صنع كل شـىء من الخبز الافرنجى إلى

التـــورتـات وكل أنواع الحلوى والبـسكويت إلـى المحـشى والكشـرى أبو دقة ، وكل فـرد فى أسرتى وأخـوتى يحبـون طعامى ويستطيبـونه .. وأنا من النوع الذى يصنع من الفسيخ شربات وهكذا سيـدات كثيرات يدبرن أمـورهن مع الحياة بلا أنين ولا شكوى ، لقـد رأيت فـسـتـانا من التـريكو لابنتى فى الفاترينة ووجدت ثمنه ٣٢ جنيها ، فاشتريت الصوف وصنعت صورة طبق الأصل منه بل أجمل منه فى حـوالى شهر وتكلف ٥٦٠ قـرشا ، وأنا لا أملك حـلقا ذهبـيـا أزين به أذنى .. لكنى بهذه الأذن نفـسها اسمع أجـمل وأرق الكلمات من زوجى ومن الأهل والأبناء والأحـبـاء ، وأنا لا أملك عـقـدا ذهبـيـا أزين به صدرى .. لكنى أملك قلبا ذهبـيا يحب الناس ويبادلونه الحب ، وليس فى يدى سوار ذهبى .. لكـن فى يدى ألف بركة ، وليس على نوافذ بيتى سـتـائر لكن «ستر ربنا» يغطينا من كل جانب . وليست شقتى مفروشة بالسجاد ولابالموكيت .. لكنها مفروشة بالحـب والحنـان .. والدفء فى قـلوبنـا هو «زادنـا وزوادنا» وصدقونى والله العظيم اننى لا أتحدث عن فيلم سينمائى رأيته بل عن حقيقة أعيشها والحمد لله ..

ولعل كاتبة الرسالة قد فهمت ماذا أريد أن أقول لها من هذه الرســالة الطويلة .. إنـنى أريد أن أقـول لهـا إن النقـود تذهب وتجىء.. أما الزوج المثالى المحب المخلص .. فلو راح ـ لاقدر الله ـ فـلاشـىء فى الـدنيـا يعـوضــه .. لأن الرجـل هو الذى يأتى بالنقود .. أمـا النقود فـمهمـا فعلت لا تسـتطيع أن تأتى بزوج محب .. فلتـشكر الله على ماأنعم عليـها من زوج مـثالى وطفل جميل قد تحسدها عليهما أغنى امرأة فى العالم .

كما أريد أن أقـول لها حاولى أن تجيـدى صنع شىء بيديك وأن تستـخدمى قـدراتك فى تجمـيل حياتك إن لم يـكن بهدف الاتجار فـعلى الأقل للترويح عن نفسك وإضـفاء لمسات عليـها تخفف من جفاء الحياة .. واقـتربى من زوجك .. وكونى رقيقة معـه وتمسكى به فـهو زوج مثـالى فى زمن عـز فيه الـرجال وأخيرا أقول لها ولك ولكل أصدقائى على الورق من قراء بريد الجمعة: أجمل تحياتى .. ولى طلب واحـد فقط منكم جميعا هو أن «تمسكوا الخـشب» وأنتم تقـرأون رسـالتى وأن تدعـوا لى جمـيعـا من قلوبكم أن يديم الله علينا نعـمته .. وأن يحـفظ لى زوجى حتى آخر لحظة من عمرى .. فليس لدى ماأخشاه سوى أن يفرق بينـنا هادم اللذات ومفرق الجـماعـات .. ولست أرجو من دنيـاى سوى .. اعز الحـبايب .. زوجى .. والسـلام عليكم ورحمة الله .



□ أحسست بعـد قراءة هذه الرسالة أنى غيـر قادر على التـعليق عليهـا . إذ مـاذا يمكن أن يخط قلمى أرق من هذه الكلمات الصادقة.. وأى نظرة أعمق للحياة يمكن أن أتوصل إليها بأفضل مما فعلت كاتبة هذه الرسالة .

لقد قرأت رسالتك يا سيدتى فـتذكرت على الفور ما قاله يوما الدكتور أحمد أمين من أن الأدب الراقى هو الذى تحس بعد قراءته أنك قد صرت إنسانا مـختلفا عنك قبل أن تقرأه. وصدقـينى أنى قد أحـسست بسـمو غريب داخـلى بعد أن قـرأت رسالتك هذه وأنى وجـدت فيـها إجـابات لكثيـر من التـساؤلات الحـائرة لدىّ بل ووجـدت فيـها أيضـا بعض

السلوى وبعض العـزاء. فـرسالـتك يا سيـدتي قطعـة من «أدب الحياة» الرفـيع الذى لا يحتاج إلى شهادات جامـعية لتـعلمـه.. لأنه أدب الصـدق مع النفس.. والفــهم العـمـيق لحقائق الحياة الأساسـية.. وأرجو أن يصدقني القراء أنني لم أعـالج صيـاغـة هذه الرسالة بأكـثـر من إخفـاء بعض ملامح شخـصية كاتبتــها بناء على رغبتــها وإعادة ترتيب بعض أجزائها وأني لم أبتدع هذه الصور الشاعرية الفريدة عن الأذن التـي بلا «حلق والـعنق الذى بلا قـــلادة» الخ.. وهيهـات لي أن أفعل لو أردت . إنهـا صور أملتــها عـاطفة صادقـة تغمـر حياتهـا كلها بالحب الصـادق.. ولاتبدعـها سوى مثل هذه المشاعر.. صحـيح يا سيدتي.. كن جميلا تر الوجود جميلا !

وصحيح أيضـا أنه في الحياة أشياء عـديدة تستحق أن نحـياها مـن أجلها وليس من بـينها بكل تـأكيـد المال الذى لايشترى حبا.. ولايشفي مرضا. ولايعيد غائبا من غيبته.. إذ كيف يمكن أن يرغم المال أحدا على أن يفجر ينابيع الحب بداخله بهذا الصدق.. وبهذه الفطرة العجيبة .

إنني أشكرك على رســالتك القـيمـة هذه التى أطلت عليّ فـبددت من نفـسي وحشــة ألمت بها وأنا أفـتش بين مئـات الرسائل لقراء بريد الجمعة عن رسالة تضيف إلى الانسان خـبرة جـديدة تعـينه على مـواجهـة الحـياة.. أو تجـربة إنسانية تعـمق من فهمه للدنيـا. فلم أجد بكل أسف.. وإنما وجدت عـشرات من الرسائل تحمـل هموما عادية.. ومـئات أخرى تحمل همومـا غير حقيقية تذكـرني دائما بقول ايليا أبوماضي :

أيهـا الشـــاكى ومـا بك داء
كيف تبدو إذا غدوت عليلا ؟

كما وجدت بينها أيضا عشرات من الرسائل الأخرى التى تذكرنـى دائما بعظمـة الفقيـه ابراهيم بن اسحـق الحربى الذى عاش فى القرن الثـالث الهجرى وروى عنه الرواة أنه عاش «يـعانى من صـداع بأحد جانـبى رأسه ٤٥ عامـا لم يخبر به أحدا.. وأنه عـاش بفرد عين ١٠سنوات.. فلم يخبر بهـا أحدا».. وأنه كـان يقـول أن الرجل الحق هو من أدخل همه على نفسه.. ولم يدخله على أسرته.

فـبـعض الناس يؤمنون بعكـس ما آمـن به ابراهيم بن اسحق على طول الخط.

وبعضهم لا يرى فى الحيـاة إلا كل سواد.. وتغفل عيناه دائما عن رؤية جوانب حياتـه الجديرة بالرضا والسعادة.. ولاتقع إلا على ما ينقصها فقط من الجوانب الأخرى ..

ودرس رسـالتك الـذى تعلمـتـه هو أن ثـروة الحـيـاة الحقـيقيـة هى فى الصحة وسـلامة الأبناء وهذه العـاطفة السـاميـة الصادقـة التى تربط بين الشـريكين فـتطبع كل جوانب حيـاتهما بالحب والسعادة وتفيض حـبا للآخرين كمـا يفيض ماء النهـر على جانبيه، فـيخفف عن المرء هجـير الحياة ويقنعه بأنه يملك الدنيا ولو لم يكن يملك منها شيئا .

ليحـفظ الله عليك بناتك الجمـيلات .. وزوجك الرائع .. وحياتك الراضية السعيدة.. وأرجو أن يكون صدى طرقات يدى على خـشـب المكتب قـد بلغ أسـمـاعك طوال قـراءتى الرسالة.. الـتى أدهشتنى فعـلا كمـا توقعت.. وأسـعدتنى أيضا.. ولكن أكثر مما توقعت !

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

١٦

الوجه الآخر

أكتب إليك.. وأنا أعرف أنك لا تملك لى شيئا.. لكنى أكتب إليك لأنى سوف أشعر بالراحة حين تسمعنى وتتفهم مشكلتى.. ورسالتى لك لا تتحدث عن حاجتى إلى شقة لأن لدىَّ شقة والحمد لله.. ولا تتحدث عن حاجتى إلى عمل إضافى أو أساسى لأنى لا أريد أى عمل.. ولو جاء على طبق من فضة..

ليس لأنى غيـر قادر على العـمل.. وإنما لأنى لا أريد أن أعمل.. ولا أريد أن أرى مكاتب أو عـاملين، فقـد عـافت نفسـى العـمل وأريد أن أختلى بنـفسـى بعد هذه السنوات الطـويلة من الجرى واللهـاث. لقد استـرسلت فى الحـديث عن مشـاعرى بدون أن أعطيك الفـرصة لتعـرف قصتى.. واعـذرنى لذلك فأنا مـتألم.. وألمى قد دفعنى للاندفاع فى التعبير عن شعورى .

أنا يا سيدى شـخص كنت مهما بالنسبـة لآلاف الأشخاص حتى وقت قـريب.. إذ كنت رئيسـا لمجلس إدارة شركة كـبرى يعمل فيها آلاف العاملين، بدأت حياتى العملية فيها منذ أكثر من ثلاثين سنة. وتدرجت فى وظـائفهـا حتـى بلغت أرقى منصب فـيهـا وهو منصب رئيس مـجلس الإدارة منذ خـمس سنوات بالضـبط.. وبالرغم من أنى كنت قـد اعتـدت القيـام بالأعمـال الإشرافـية مـنذ أكثـر من ١٥سنة.. وانتقلت إلى مـوقع رئيس مجلس الإدارة من منصب كبير داخل المؤسسة نفسـها.. إلا أنى حين مارست عملى الجديد كـرئيس لمجلس الإدارة اكتشفت أنى لم أكن أعرف الكثير عن هذا الهيـلمان الذى يتيحه هذا المنصب لصاحبه فى شركة كبـرى فقد كنت أذهب إلى عملى فى سيارة صغيرة تابعة للشركة ففـوجئت عقب تعيينى بمدير الحركة فى مؤسـستى ـ وهو شـاب لزج لم أكن أستريح إلـيه وكنت أشك فى أمانتـه ـ يدخل إلى مبـتسمـا ابتسامـة عريضة لـيهنئنى.. ويبلغنى بأن «السيارات» جاهزة لاستعـمالى من اليوم، فسألته مندهشا أيـة سيارات؟ قـال : سيارة سـيادتك كرئـيس مجلس الإدارة وسيارتان للخدمة إحداهما للمكتب والأخرى للبيت وأن هذا هو النظام المعمول به فشكرته وصـرفته وحين انتهى اليوم

ونزلت لأركب سـيارتي وجدت سـيارة رئيس مـجلس الإدارة السـابق تقف في انتظاري بسائـقهـا الذي يرتدي «بدلة مكوية وكرافت».

ثم وجدت بداخل السـيارة شخـصا يجلس بجـوار السائق اعتقدت أنه قريبـه أو شيء من هذا القبيل.. لكنني وجدته يقدم لي نفسه بأنه من إدارة الأمن بالمؤسسة، وحين استدعيت مدير الأمن بالمؤسسة فـي اليوم التالي لأسأله عن حكمـة تخصيص أحد رجـال المؤسسـة لمرافقتي أجـابني بابتسـامة ودودة، بأن حراسة شخص رئيس رئيس مـجلس الإدارة من صميم أعمال إدارة الأمن بالمؤسسـة، وأن هذا هو النظام المعمـول به لصالح أمن المؤسسة ونظام العمل بها.. فسكت وصرفته .

وفي الأيام الأولى تكشفت لي صورة جـديدة تماما عن عالم غـريب لم أكن أعـرفه بالرغم مـن أني كنت من كبـار مـوظفي الشركـة قبل تعـييني رئيسـا لها، فلقد كنت وأنـا في منصبي السـابق أنفق حوالي ٤٠ جنيـها كل شـهر داخل العـمل مقـابل القهوة والشاي والسـجائر التي أشتريها من بوفـيه المؤسسة، فاكتـشفت أن كل ما أحتـاج إليه من مشروبات لي ولـضيوفي يغطيه اعتـماد مفتوح للاستقـبال من ميزانية العـلاقات العامة بالمؤسـسـة، وأن هذا هو النظـام السـائد! وكنت على فـتـرات متـباعدة أضطر أحـيانا لدعوة بعـض معارف العـمل في البيت على العـشاء ردا على دعـواتهم لي فـفوجـئت بمدير العلاقـات العامة يرتب دعوة للعشاء فـي بيتي لعدد من رؤسـاء الشركات التي نتـعامل مـعهـا.. وأن كل التكاليف سوف تتـحملـها إدارة العلاقات العامة تنفيذا لتـقليد قديم، وحين حاولت الاعتذار بأن

بيتي غـير مـسـتـعـد لهذه الدعوات لأن صـالة الاستـقبال فـيه ضـيـقـة، فـوجـئت بأنه يطلب مـنى الإذن بإعـداد مكان لائق للاسـتـقـبال في مـسكنى على أن يتم ذلك قـبل الموعد المحـدد للدعوة، فـأذنت له، فإذا بفرقـة من المهندسين والعمـال تهاجم البـيت وأعمـال التكسيـر والبيـاض على أشدها.. وخـلال أيام مـعدودات كـانت قد تمت إزالة حـائط كان يفـصل بين حجـرة الطعـام وحجـرة الصالون وهـو حلم كان يراودنى منذ قـديم لكنى لم أكن أقدر على تحقـيقه لتكاليفه ولما يحتـاجه من فراغ وإشراف إلخ.. وقد تمت العملية بـنجاح باهر وجاءت السيارات فحملت الأتربة ونتاج الكسر فى لحظات وتم لصق الصالة التى أصبحت واسعة بورق حائـط جديد ولم أتكلف من العملية كلها إلا ثمن ورق الحائط الذى أصررت على دفعه وتمت الحفلة .أما الحياة فى البيت فلقد أصبحت أكثر سهولة ويسرا عن ذى قبل، فالتـموين أصـبحت سـيارة الخـدمة تشـتريه من الجـمعـيات الاستـهلاكيـة بالأسعار المعـتدلة بعـد أن كنا نعجز فى أحـيان كثـيرة عن شرائه منهـا ونضطر لشرائه من البـقال.. ولاحظت بالتـدريج أنى قـد أصبـحت محـور حـياة كـثـيرين جـدا فى المؤسـسـة.. فـالمديرون الكبار يبـدأون يومهم بزيارتى وتـبادل تحية الصباح معى والجميع يهتمون بصـحتى فإذا أصبت بنوبة برد.. فـالسـؤال لاينقطع فى التليـفـون فى البيت عـن أخبـار الأنفلونزا. وبعضـهم يتطوع بإحضار أحـدث أدوية البرد التى ظهـرت فى أوربا، وطبيب المؤسـسـة يزورنى فى البيت كـأنى مريض بمرض خطيـر!. وفى المناسبات المختلفـة أتلقى بطاقات التهـانى ويرن التليفون فى البيت بصـفة مستـمرة والحق أنى

قبـل أن أشغل هذا المنصب لم أكن أعـرف مشكلة الوقت بـهذه الحدة لكنـى عرفتـها بصـورة رهيبـة خلال عملي، فلـقد كنت أتصـور أن عـمل ٨ســاعات كـل يوم يمكن أن يكفى لإدارة أى عمل منظم يقوم مـديروه التنفيذيون بواجبهم، لكنى اكـتشفت أنى محتاج إلى يوم طوله ٧٠ ساعة كل يوم ليس لإنجاز العمل وإنما لمقابلة كل هؤلاء الذين يريدون مقـابلتى، وبعضـهم يطلب المقابلة وينتظر بالساعات ثم أستقـبله فلا أجد لديه ما يستحق المقـابلة ولا الانتظار وأحس أن المســألة مجـرد «تمحـيك» لكى يقابلنى وينافقنى ويذكرنى بنفـسه لكى لا أنساه فى العلاوات والترقيات.

وبعضــهم - وصدقنى أن كلـهم من كبار المديـرين - عرف أنى أمشى لمدة نصف ساعة كل صـباح بجوار مسكنى قبل أن أركب السـيـارة إلى العمل فـفـوجـئت به ذات صبـاح مـرتديا «الترينج سوت» والحـذاء المطاط فى السادسة صبـاحا يجرى بجـوارى ثم يتوقف منـدهشا لهـذه المصادفـة السـعيـدة التى جمعتنا عـلى غير ميعاد فى موعـد الرياضة ثم يمشى بجوارى ويبـادلنى الأحاديث مـؤكدا لى أنـه رياضى مثلى ويجـرى كل يوم لمدة ساعـة فى الصباح، ثم أصبح يلازمنى مـشوار المشى الذى اشـتهـر أمره بعـد حين واجتـذب أشخـاصا آخـرين من المديرين حتـى تضـخم طابور المشى وتحول إلى مـجلس يضم معظم المديـرين! أما عند السفـر إلى فروع الشـركة في الداخل فحدث ولا حرج عن تسابق المديرين وحتى من ليس لهم علاقة بهذه الفـروع للسفر مـعى ومصاحـبتى فى القطار أوالســيارة وعند السفر للخارج يودعنــى العشرات فى صالة المطار.. وعند

العـودة يسـتقـبلنى الـعشـرات ونخـرج من المطار فى «زفـة» سيارات كأننا فى فرح، وللأسـف فإن زوجتى وأبنائى اعتادوا أن يزدحم البـيت بالسـعاة وطالـبى المقابلـة.. وأن نسافـر إلى مصـيفنا فى زفـة وأن نعود منه فى «زفـة» واعتـادت زوجتى بالذات على الحيـاة السهلة التى ييسرها وجود العـشرات من الفنيين والسـعـاة تحـت الطلب، فـإذا حـدث عطل فى جـهـاز كهربائي سارع موظفو مكتبى بإيفاد فنى لإصلاحه فى ثوان.. وإذا قـررت زوجـتى أن تضع بعض «قـصـارى» الزرع فى البلكونة سـارع جنايني المقر الرئيـسى للشركة بـعمل اللازم، ومضت الحياة وأنا أبذل كل جهـدى فى العمل بإخلاص وأعمل فى الصباح وفى المسـاء حتى منتصف الليل. وحقـقت الشركة فى عهدى أرباحـا بعد أن كانت شبـه خاسرة. لأنى كنت أؤمن بالمتابعـة الشخصية للعـمل وأنتقل كالنحلة بين جـميع إداراتها وفروعـها ومراكـزها وكنت أجزل العطاء لمن يجـيد.. ولا أرحم من يقـصر أو ينحـرف واقتـربت من سن الستين ولاح شـبح الإحالة للمعاش لكنى هونت الأمر علىّ .

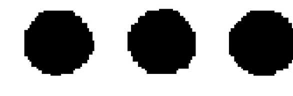
وقلت لنـفـسى : لقـد ربـينا الأبناء ووظفناهـم وزوجناهم وأوجدنـا لكل منهم سكنه.. وقد كـسبت صـداقات عـديدة فى العـمل وخـارجه وفى الـنادى، وقد عـملت أكـثـر من ٤٠سنة ووفـقنى الله فـادخرت بعض المـدخرات التى تكفـل لى حيـاة معقولة بعد سن المعاش، فلماذا لا أحيا حياة هادئة وأستمتع بما لم يتح لى العمل المسـتمر الاستمـتاع به.. فأذهب إلى النادى.. وأستقبل الأصدقاء وأزورهم وأزور الأبناء ويزورونني وأخرج مع زوجتى فى الأمسيات كـأيام الشباب ورضيت عن ذلك إلى

حد مـا.. وإن كانت النفس قد طمـعت كطبعهـا فى أن تقدر لى الوزارة جـهدى فى تحويـل المؤسسة مـن خاسرة إلى رابـحة وفى أن تمد لى مـدة خـدمـتى عـامين آخـرين.. لكن هذا الأمل الواهى لم يـتـحـقق.. وصـدر الـقـرار بإحـالتى إلـي المعـاش واستعددت لاستقبال حـياتى الجديدة.. فسُحبت منى السيارات الثلاث.. وعدت لاستـعمال سيارتى الخاصـة.. واختفى المرافق فلم أفتـقده لأنى كنت أضـيق بوجوده معى، واخـتفى السـعاة والفنيون من حـياتنا وعدنا من جديد لشـراء احتياجـات البيت فلم يضايقنـى ذلك لأنى أصبحت خـاليا وأستطيع قـضاء هذه المهام فى سيارتى مع زوجتى .

لم يزعـجـنى يا صـديقى من كل ذلـك إلا شـىء واحـد هو مادفـعنى للكتابة إليك. أمـا هذا الشـىء فهو : أين الأصـدقاء يا صـديقى؟ أين من كانـوا يصاحـبوننـى فى مشـوار المشى فى الصبـاح لأنهم «رياضيون» ومن هـواة المشـى؟ وأين من كانوا ينتظرون لقائى بالسـاعات ليطمئنوا على صحـتى ولا يهدأ لهم بال إلا إذا تأكدوا من أنهـا بخير! وأين رنين التليـفون الذى لم يكن يهـدأ طوال الليل والنهار فـى البيت؟ وأين المهنئـون الذين كان الصالون يضـيق بهم فى المناسبات حتى ليـقف الكثيرون منهم؟ وأين المودعون عند الذهاب لـلمصيف والمستـقبلون عند العـودة منه؟ وأين من كانوا يقلقـون إذا أصبت بالبـرد وأين .. وأين .. وأين؟ .

إننى لست حـزينا لشىء.. ويكفينى أنـى راضى الضمـير.. وأنى خدمت بلدى بكل جهدى لكنى فقط متألم لما جرى لمشاعر الناس فى هذا الزمان. لقـد تركت الشركة بلا عداوات تقـريبا..

ورغم ذلك فـإني لا أكـاد أرى أحـدا من كـبـار مـديريهـا منذ تركتـها.. أو بالتحـديد عقب تركهـا بفترة وجـيزة فقـد حافظ البعض على مودتي في البدايـة ثم بدأت الزيارات تتباعد ورنين التليفون يخفت حتى إذا ما أتممت عاما واحدا من تركي للشركة كنت قد أصـبحت نسـيا منسيـا بالنسبة لهـم ! إني أكتب إليك لأسـألك.. هل هناك في الدنيا صداقة فعلا.. وإذا كانت موجودة فأين أصدقاء العمل الذين كانوا يسبحون بحمدي ليل نهار ؟.



□ ولكاتب هذه الرسالة الفريـدة في بابها أقول : نعم يا سيدي هناك صداقة وهناك أصدقاء.. لكن ظروفك فيما يبدو قد حرمـتك من أن تتعرف عليها بصدق.. فـمن كانوا حولك لم يكونوا أصدقاء.. ولم يكن ما بينك وبينهم صداقة. وإنما كـانوا طلاب منفعـة ورفاق عـمل ولعلهم الآن مـشغـولون بتعلم هوايات الرئيس الجديد لممارستـها معه، فإذا كان من هواة السـبـاحـة مثلا فلـعلهم «يبلبطون» معـه كل يوم في حـمـام النادي.. أمـا لماذا لا يرن التـليـفـون عندك فـلأنهم مـشـغولون الآن بإدارة أرقـام تليـفـون الرئيس الجـديد.. وباستقبـاله وتوديعه وتهنئته في المناسبات واسـتحضار الأدوية له وإرسال العمال والفنيين إلى بيته ..

إنني أكـاد أتصور يا سيـدي أنك حسن الطويـة إلى حد كبيـر لأنك تصورت أن ما بينك وبين معظمـهم هو صداقة، ولم تكتشف أنه نفاق، وربما اكتـشفت ذلك لكنك استدرجت للاستـجابة لهذا النفـاق.. ثم اعتـدته.. ثم استمـرأته حتى أصبحت تفتقده بعد أن غادرت هيلمانك ومنصبك، وفي ذلك فإني ألومك يا سـيدي.. إنني أعرف أن أمواج النفـاق عاتية

وأنه لا يستطيع أن يردها عنـه إلا من كانت نفوسهم كـبارا لا تستـجيب للـصغائر، لـكني أعرف أيضـا أن من طبيـعة المنافقين ألا يقتربوا إلا ممن يستشـعرون استجابته للنفاق والتلذذ به داخليا حتى وإن أظهر غير ذلك !.

كـذلك فلقد اسـتمـرأت يا سـيدى الهـيلمان ووقـعت فى أحـابيل المنافـقين فـاسـتأثرت لـنفسـك بثلاث سـيـارات.. واسترحت إلى قـيام إدارة العلاقات العـامة عنك بكل شيء في المكتب وفـي البـيت.. واسـتنمت إلي وجـود السـعـاة والفنيين تحت أمـرك وتحت أمـر الأسرة، واعـتدت مـواكب المودعين والمستقبلين والمهنئين.. والمستـفسرين عن الصحة والأحـوال. ولم تقـاوم كل ذلك فـي حـينه.. وتصـورت أن الحياة سوف تمضي علي ماهي عليه، وفي ذلك فإنى ألومك أيضـا يا سيـدى ليس فقط لأنك ظـلمت الشركـة التى كنت ترأسهـا بهذا الانفاق الشخـصى وهذا السلوك الترفى الذى يسـود بكل أسف مواقـع عديدة في بلادنا الفـقـيرة المثـقلة بالأعباء. إنما أيضـا لأنك ظلمت نفسك باعتيـاد هذه الحياة الفـخمـة وكـان أولى بك أن تحـافظ علي قـدر مـعقـول من البساطة لكى لايدير التـرف رأسك ولأنك لابد تارك موقعك ذات يوم وهذه هى سنة الحـياة إذ لو دام لغـيرك لما وصل إليك. والمأساة أن كـثيرين تعمـى أبصارهم مظاهر المنصب وأضواؤه حتى يتصوروا أحيانا أنهم مخلّدون فيما هم فيه. ثم يفـتحون عـيونهم بعـد قليل على صدمـة الواقع.. ومن عجب أن كثيرين منا لا يتـعلمون من تجارب الحياة ولا من دروس التاريخ.. فما يكاد بعضنا يتـعجب مما فعلته الدنيا بفلان المتجبر بعد زوال هيلمانه حتى ينساق هو نفسه إلى

التجبر وإلى تكرار نفس القصـة بنفس نهاياتها المأساوية، ثم يجلس ليبكي الوفاء في الدنيـا وانصراف الأصدقاء عنه وربما يبالغ فيتمثل بقول الشـاعر متأسيا «من خانه الدهر خانتـه صنائعه»!.. ولا خيانة هناك في الحـقيقة أكـبر من خيانة الانسان لنفسه.. ومن جهله بحقيقة الحـياة وقصر نظره واغـتراره بإقـبال الدنيـا علـيـه في بعض المراحل فيتصور في نفسه ماليس فيها .

إنني لا أريد إيلامـك يا سـيـدى .. لكنـى أريدك فـقط ألا تعطي للمشكلة حجما أكبر من حجمها الحقيقي.. وأن تنظر إلى جـوانب الصورة الأخـرى لتـرضي عمـا أعطتك الدنيـا وأجـزلـت لك فـيـه العطاء، فلقـد بلغت أرقـى المناصب.. وزوجت الأبناء وأوجـدت لهم الـعـمل والمسكن وصـحـتك بخـيـر وزوجتك بخـيـر ولديك من المدخـرات مـا يكفل لك الحـياة الـكريمة.. فمـاذا تريد من الدنـيا أكـثـر من ذلك يا سيـدى؟ تسألنى أين الأصـدقاء فـأقول لك : أصـدقاؤك هم أصدقاء الطفـولة وأصدقاء العمر القـدامي الذين عرفوك بلا غـرض وبلا أمل فى نفـع ولاخـوف من ضـرر، وهم أيضـا أبناؤك وزوجـاتهم وبناتك وأزواجـهن وأقـاربك الأقـربون وهم كثيرون كما ترى، فماذا تريد أكثر من ذلك ؟ .

هل أقول لـك في النهاية مـا قاله جـمال الدين الأفـغانى للإمام محمـد عبده حين راعه نفيه من مـصر ؟ لقد قال له : كن فيلسوفا يرى الدنيا ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا .

لقد قـيل هذا لمحمد عـبده «وهو من هو» كمـا يقولون .. فهل تغضب إذا ما قلته لك ؟.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



شىء من الرومانسية

فى بريدى أقرأ وأرى العجب.. أرى الحياة من جانبها المؤلم.. وأرى العلاقات الانسانية فى أسوأ ظروفها.. وأرى الدنيا فى صورتها البشعة. ولقد رأيت كل ذلك وأنا أقرأ هذه الرسالة المزعجة :

أعتقد أن الوقت قد حان لكى أروى لك قصتى بعد أن ترددت طويلا.. إننى شاب مهندس خريج كلية هندسة منذ

شهور. أبى يعمل بأحد البنوك فى إحدى الدول العربية وحالتنا المالية جيدة جدا والحمد لله ولدى سيارة «بى. إم. دبليو» وخلال دراستي بالكلية تعرفت على زميلة بالكلية جميلة من أسرة ميسورة تركب هى الأخرى سيارة مازدا فاخرة وقد سعت إلى التعرف عليّ وإلى التقرب منى لأنى كما قالت لى بنص كلماتها شاب رائع من كل الوجوه.. وسيم من أسرة طيبة له شخصية محبوبة من الزملاء وتعجب به كل فتيات الكلية ،واستجبت لتقربها منى.. وأقبلت عليها وتعرفت على أسرتها وهى أسرة كبيرة فوالدها موظف كبير بالمعاش وإخوتها مهندسون ومحامون واتفقنا على الزواج وعلى أن نتزوج عقب التخرج وخلال هذه الفترة كانت تصاحبنى فى كل مكان فإذا جاء موعد تسلمي للشيك الشهرى الذى يرسله لى والدى من الخارج لأنفق على نفسى وإخوتى منه، إصطحبتها معى إلى تاجر(*) العملة الذى أتعامل معه، وهو عالم غريب بالفعل.. فتاجر العملة هذا يمارس نشاطه فى مكتب فاخر بوسط المدينة تدخل عليه بعد استئذان السكرتيرة وتجده جالسا إلى مكتب فخم فوقه ٤ أجهزة تليفون ملونة، فأقدم له الدولارات فيفتح خزينة «بلاكار» فى الحائط خلفه ويضع الدولارات ثم يخرج النقود ويسلمنى قيمتها وتكرر ذهابنا إليه كثيرا مرة لنفسى ومرة لأبدل لها هى الأخرى دولارات تصل إليها كثيرا من شقيقتها المتزوجة والمقيمة بالخارج.

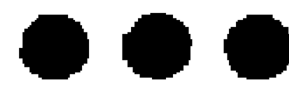
وتحولت العلاقة مع تاجر العملة إلى صداقة وفى كل مرة

(*) جرت أحداث هذه القصة حين كانت تجارة العملة ممنوعة بنص القانون ، وقبل إطلاق حرية التعامل فى العمـ‍ت الأجنبية فى البنوك ومكاتب الصرافة .

يطلب منا البقـاء قليلا للتـحدث معنا لأنه «مـرهك» من العمل.. وهذه عبارته المفـضلة وينطقها بالكاف هكذا.. وهو كـما عرفت قد بدأ حيـاته عصاميا يكاد لايفـك الخط وكان قبل ١٠سنوات فقط يعمل مناديا للسيـارات أمام أحد البنوك وقد روى لنا ذات يوم وهو يقدم لنا عصيـر التفاح ويشعل سيجارا فـاخرا قصة كفـاحه.. فـقال إنه حين بدأت «هوجـة» السفـر والدولارات بدأ يعمل سـمسـارا لبعض تجار العـملة يصطاد لهم عـملاء البنك الذى يتلقـون التحـويلات من الخارج ويقدمـهم للتجـار الذين يقفـون بجوار البنك مـقابل عـمولة، وكـان حصـيفا فلـم يبدد ماكسـبه من هذه العملية.. فـتكونت لديه مدخرات صـغيرة بدأ يتاجـر بها لحسابه فى العـملة.. وبعد عامين فقط من الـتجارة أمام البنك كان قد أصبح «غنيا» ! فـاشترى غرفة بأحد مكاتب وسط المدينة واستـأجر السمـاسرة ليـجلبوا له العمـلاء وبعد عامين آخرين وعلى حد تعـبيره «انفتحت الحنفيـة» عليه يقصد حنفيـة الفلوس! فتضـخم نـشاطه وتضـخمت أرباحـه وتحولت الغرفة الواحدة إلى شقة كـاملة.. وأصبح له سكرتيرات وسعاة وسيارات وشقة فاخرة فى المهندسين .

سمعـت منه قصته بدهشـة وسمعتـها خطيبتى بانبـهار ثم لاحظت أنه بعـد هذا اللقـاء بدأ الخـلاف ينشب بينى وبينهـا.. وبدأت فـترات الشـقاق تطول ولم يـطل بنا الوقت حتى كـانت خطبتنا قد فسخت وقد لاترى فى ذلك شيئا غير عادى فكم من خطبة تفسـخ كل يوم لكنك ستدهش حين تعرف ماذا حدث بعد ذلك فـعند وصول الشـيك التالى من الخـارج ذهبت إلى مكتب تاجـر العملة لأصـرفه وحـيدا هذه المرة فـفوجـئت بخطيبـتى

السابقة المهندسة خريجة «الميرى دييه» تجلس على مكتب السكرتيرة! صدمت.. لكنها كانت واقعية أكثر منى فرحبت بى بتحفظ كأنى مجرد زبون ثم أخبرت «البيه» بوصولى وأشارت إليّ لأدخل بيد مغطاة بخواتم السوليتير. دخلت فرحب بى الرجل بواقعية أشد وأنهى المهمة سريعا ثم قال لى .. إنى أعطيك سعرا خاصا لك لأنك صاحب فضل فقد عرفتنى بالمدام! أى مدام؟ لقد ظننت أنها تعمل معه فقط.. فإذا بها.. المهندسة التى تجيد الفرنسية والانجليزية.. بنت الأسرة الكبيرة قد تزوجت من هذا الرجل وتم الزواج خلال شهر واحد من فسخ خطبتنا! أما الزوج غريمى الذى سرق فتاة أحلامى وتركتنى من أجله فهو فى الخامسة والخمسين وله ٥ أبناء أكبرهم فى سن خطيبتى السابقة.. وهو دميم كالقرد والله العظيم وبلا مبالغة.. وملابسه مبهدلة.. رغم أنها غالية ولايعرف كيف يتكلم لمدة ٣دقائق بغير أن يغلط ويتفوه بألفاظ سوقية مقززة. هذا هو الزوج الذى فضلته عليّ خطيبتى السابقة وقد تم الزواج وكانت هديته سيارة مرسيدس وخواتم سوليتير «غالية» وشقة فيللا فى أحدث عمارة فى القاهرة كتبت باسمها.. إننى لست حزينا عليها فأنا فى بداية حياتى وأستطيع أن أجد من ترغب فيّ كزوج وتفضلنى على غيرى. لكننى أتساءل وأريد منك جوابا يريحنى.. ماذا جرى للدنيا؟ قد تقول إنها محتاجة أو إن وراءها ظروفا قاسية دفعتها للتضحية بنفسها لإنقاذ أسرتها أو علاج أبيها المريض الخ كما نرى فى الأفلام.. لكنى أطمئنك أن كل ذلك غير صحيح.. فهل عندك تفسير لهذا اللغز ؟



□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إنه ليس لغزا يا صديقي.. لكنه تدرج منطقي للأحداث يتفق تماما مع شخصية خطيبتك السابقة فهي ببساطة شديدة فتاة انتهازية سعت إليك في البداية لأنها رأت فيك زوجا مناسبا مقبول الشكل متيسرا تركب سيارة فاخرة وتستطيع أن توفر لها شقة الزواج واحتياجاته ثم حين تعرفت على «القرد» رأته أكثر ملاءمة لها وأسرع وصولا بها إلى الثراء.. فتخلت عنك ببساطة وذهبت إليه. فهي باحثة عن الحياة اللذيذة الزاهية الألوان لا عن الحياة السهلة العادية التي ستوفرها لها. ولا دخل للمشاعر العاطفية فيما فعلت معك أو معه. ففي صدر فتاتك هذه آلة حاسبة لاقلبا ينبض بالمشاعر.. وقد حسبت حسابها ووجدته رابحا أكثر معه فتزوجته. والمؤسف أن كثيرات ممن يتعاملن مع الحياة بهذا المنطق التجارى هن غالبا فى حكم القادرات ولسن من غير القادرات. كما قد يتصور البعض وكما تحكي الأفلام وصدقني أنني كنت على استعداد لتقدير ظروفها لا للاقتناع بها لو كانت قد تزوجته ليأسها من إمكان عثورك على شقة للزواج كما تفعل بعض الفتيات الآن اللاتى يفضلن - مضطرات وفى عصر تراجع الرومانسية أمام صعوبة الحياة - الزوج الجاهز مهما كانت سنه ومهما كان عمله ومهما كانت ظروفه الاجتماعية والثقافية .

لكن الجريمة في قصتها ليست فقط فى أنها تركت شابا رائعا مثلك لتتزوج من «بلاكار» نقود، وإنما في أنها قبلت

زوجا كهلا متزوجا وله أبناء كبار وزوجا شبه أمي سوقيا لايقنع أية فتاة سوية مع ظروفه كزوج وأب إلا فتاتك الانتهازية هذه. وأنا أصدقك في أنك غير حزين عليها فمثل هذه الفتاة لايحزن الانسان لفقدها وإنما يسعد ويشكر ربه أن أنقذه منها وفضح شخصيتها الحقيقية قبل أن يرتبط بها، فليس مما يسعد الانسان بكل تأكيد أن يتزوج من آلة حاسبة لا مكان للمشاعر والعواطف والرومانسية في حياتها.. وهي سوف تدفع ثمن انتهازيتها أقرب مما تتصور فالثروة التي أغرتها هي في النهاية ثروة طفيلية وستقرأ اسم زوجها واسمها هي أيضا قريبا جدا في أخبار المدعي الاشتراكي والحراسات وساعتها سوف تتطاير الثروة وسوف تتخلى عنه بأسرع من البرق.. والحمد لله أن مثيلاتها من «دعاة الواقعية الجديدة» لسن كثيرات وعلينا أن ندعو الله كل يوم ألا تغيب القيم والفضائل والرومانسية عن حياتنا فلولاها لما قبلت فتاة الزواج من خريج جديد لتكافح معه.. ولولاها ولولا الطبيعة السوية لفتياتنا لانطلقن يبحثن عن «قرود» هذا الزمان القبيح الذى تنهزم فيه أحلام الشباب أمام «الباكو» و«الأرنب» وخواتم السوليتير .

شيء أخير لقد قلت لي في رسالتك هذه أنها من عائلة كبيرة وأن أباها موظف كبير علي المعاش وإخوتها محامون فأين هي هذه العائلة الكبيرة؟.. وأين الأب وأين الأخوة المهندسون والمحامون الذين وافقوا على زواجها من هذا الرجل المتزوج؟ أى عائلة كبيرة هذه؟..

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة



نهاية القصة

أكتب إليك للمرة الثانية بعد ٤ سنوات من رسالتى الأولى إليك والتى نشرتها فى بريدك بعنوان « شىء من الرومانسية » وقبل أن تجهد نفسك لتتذكرنى سأحاول أن أذكرك بنفسى إننى ياسيدى المهندس الشاب الذى يعيش مع شقيقيه فى القاهرة ويعيش والده فى إحدى الدول العربية حيث يشغل منصبا

كبيرا فى أحـد البنوك ويتقاضى مرتبا ضخـما، ولقد رويت لك فى رسالتى الأولى قصتى حين تعرفت خلال عامى الأخير فى الجامعة بفتاة طموح كـانت زميلتى بالهندسة ومن أسرة كبيرة وأنها تمـلك سيارة مـازدا وأنها صـارحتنى بأنـها أعجـبت بى ورأت فىَّ شابا لائقا بها. فتصــادقنا وتبادلنا المشاعر وقدمتنى لأسرتهـا. وقدمتهـا لشقيقى وشـقيقـتى فى انتظار عودة أبى وأمى فى الاجازة لاتمام الخطبة وعقد القران خاصة أن ظروفى المالية حسنة وأستطيع توفير الشقة ولدى سيارة خاصة وقلت لك أنى كنت قد اعتدت طوال السنوات الماضية أن أتلقى من أبى شـيكا بمبلغ شــهرى بالدولارات أصـرفـهـا من البنك لأتولى الانفاق على نفـسى وشقيـقى وشقيـقتى وأننى أذهب أول كل شـهر إلى أحد تجـار العملة الذى يتخذ لنفسه مكتـبا فاخرا فى وسط المدينة فـأحول الدولارات إلى جـنيهـات مصـرية وأننى كنت أصطحب خطيـبتى مـعى كل مرة أذهب إليـه حتى دعـانا التاجر مرة للجلوس معه لبـعض الوقت وحكى لنا قصة حياته وكيف أنه بدأ مناديا للسيـارات أمام أحد البنوك.. ثم تاجر فى العملة مع رواد البنك ثم راجت تجارته وأصـبح ثريا ومليونيرا خلال أعوام قليلة وأصبح يمتلك سـيارة مرسيدس ويسكن فى أرقى الأحياء ويرتدى خاتما كبيرا من الماس.. وتتدلى من رقبته سلسلة بها قطعـة من الذهب فى حجم البـرتقالة. وقلت لك إنى لاحظت بعد هذه الزيارة بالذات أن العلاقـة بينى وبين خطيبتى قد فـترت وأن المـشاكل كـثرت بيننا حـتى فاجـأتنى ذات يوم بطلب فـسخ الخطبة ونسـيان كل شـى لأننا لانصلح لبعـضنا البعض، وانقطعت عن رؤيتى وتجرعت الألم وحـاولت نسيانها

ثم جاء مـوعد صـرف الشيك التـالى فذهبت إلى مكتـب تاجر العملة فـفوجـئت بوجود خطيـبتى السابقـة تجلس على مكتب السكرتيرة فى الصـالة. فاستقـبلتنى بنظرات محايدة كـأنها لا تعرفنى وبهدوء قاتل رفعت سماعة التليفون الأحمر المسخسخ على مكتبـها وأبلغت صاحب المكتب بوجودى ثم أشـارت لباب مكتـبـه وقـالت لى تفـضل، فـدخلـت مندهشـا من أنهـا وهى المهندسة التى علـى وشك التخرج قررت الـعمل فى هذا المكتب وهى غـير مـحـتاجـة للعـمل خلال الدراسـة، ثم تكشـفت لى الحـقيـقة المذهلة بعـد لحظات على لسـان التاجـر نفسـه الذى قابلنى بالترحيب الحار والابتسام وأعلننى أنه سيعطينى سعرا خاصا هذه المرة لأن لى إعزازا خـاصا لديه إذ أننى كنت سبب تعرفه «بالمدام»!.. أى بخطيـبتى السابقة!.. ولحظتـها أفقت على الحقيـقة.. وعرفت سر الأسـاور والخواتم الماسية التى رأيـتها ترتديها.. وأيضا سـر الماكياج الثقيل الذى تضعـه على وجهها والذى يكسـبهـا سحنة غـريبـة.. واكتـشفت أنه قـد تزوجهـا وأسكنها فى شقة فاخرة وألحـقها بمكتبه وكل ذلك فى أقل من شـهر واحد.

أعتقد أنك الآن قد تذكرت كل شـىء.. وتذكرت أنى كتبت لك شاكيـا خطيبتى التى فـضلت علىَّ تاجر عملة شبـه أمى وفوق الأربعين ومتزوجا وله أبناء كبـار وشكله «كالقرد» لأن سيارته مرسـيدس، ومـلايينه عـديدة «وشبكتـه» من الماس ولابد أنك تذكـرت أنك نصـحـتنى بنسـيانـها إلى الأبد لأنـها انتـهـازية اخـتـارتنى من بين زمـلائى بسـبب بعض مظاهر الثـراء التى توسمتها فىَّ فلما أتاحت لهـا الظروف زيجة أكثر ثراء تركتنى

بلا قلب لتتزوج من ملايين رجل أمي مشـبوه.. بلا عاطفة ولقد عملت بنصيحـتك يا سيدى وحاولت نسيانها ونسيـتها بالفعل بعد فـترة من العـذاب أحسـست خلالها بأنـى لاشىء وكرهت الدنيا وغدر البـشر وفقدت الثقـة فى الوفاء.. لكنى لا أكتب لك هذه الرسالة لأقول لك إنى نسيتها وعدت إلى حياتى الطبيعية.. وإنما أكـتب لك لأروى لك الفـصل الثانى من قـصـة خطيبـتى السابقة لعل فيها عبرة لمن يعتـبر.. فقد أمضيت شـهورا سوداء عقب اكتشافى زواجها من تاجر العملة. وواجهت حرجا شديدا تجاه أبى وأمى اللذين باركا خطبتى فى رسائلهما. واشتريا لى الشبكة من مقر إقامتهما وراحا يرتبان لعقد القران فى الصيف وترددت فيـما يجب أن أقـوله لهمـا. لكنى رأيت بعد تفـكير أن الصدق هو الحل الوحيد فـصارحت شقيقى وشقيقتـى بحقيقة مـاحـدث وتركت لهـمـا إبلاغ أبى وأمـى. وانصـرفت لعـملى واجتـهدت ألا أراها .. وغـيرت تاجر العـملة الذى أتعامل مـعه بالطبع. ومع ذلك فلقد رأيتها ذات يوم علـى كوبرى الجامعة إذ كنت عائدا إلى بيـتى.. فوقفت سيارتـى خلال زحام المرور إلى جوار سيـارتها المرسيدس الجديدة التى يقـودها سائق خاص وهى تجلس فى الخلف وحيدة رافعـة الرأس كأنها ملكة! تنظر حـولها بكبـرياء وتتأفف من زحـام الطريق. فـالتقت عـينانا.. فتوقعت أن تخفض عينيها خجلا منى. فإذا بها تنظر إلي بثبات وبلا أدنى إحساس بالخجل ثم تهز رأسـها بتحية عابرة وتنطلق بالسيارة فى طريقها الجديد !.

وكم أتعسنـى هذا اللقاء، لا لشىء إلا لهذا البـرود المتحـجر ولأنها لا تشعر تجاهى بأى إحـساس بالذنب بعد أن جرحتنى

جرحا غائرا وشككتني في نفسي وفي كل شيء .

ثم أصبح لا يربطني بها شيء سوى مـا أسمـعه بين حين وآخر من زملاء الكلية القدامى عـنها وعنه، ومنه أن زوجها قد توسع في أعمـاله وأنه أصبح يمارس إلى جانب تجـارة العملة تجارة العمارات لكي يخفي نشـاطه الأساسي في تجارة العملة ولكي يزيد من أرباحـه وليبني لزوجـته الجديدة شـقة فـاخرة على مـسـاحـة ٤شقـق، وأنه عين والدها المدير العـام السـابق موظفا عنده بمرتب ضـخم إرضاء لعيون المدام. وعـجبت كيف قـبل المدير السـابق أن يعـمـل تحت إمـرة رجل لا يفك الخط.. فضـلا عن أن يصـاهره؟.. وهو كمـا عرفت من أسـرة كبـيرة وأبناؤه مهندسون ومحامون الخ..

ومع إحسـاسي بالمرارة. فلقد واصلت حـياتي إلى أن دارت الأيام دورتهـا وإذا بي ذات صبـاح أقرأ في الـصحف خـبـر القبض على زوج حبـيبتي الخائنة، ثم توالت الأخـبار كالمطارق فـوق الرؤوس.. فـتبين أنه قـد حـصل على مـقدمـات إيجـار بالملايين من السكان وتوقف عن استكمال بناء أكـثر من عمارة كان يقوم ببنائها في وقت واحد منها العمارة التي كان يعد لها فيها عش الأحلام ثم جاءت هوجة مـخالفات مواصفات المباني وقـرارات إيقاف البنـاء فهـجم المسـتأجـرون عليـه لاستـرداد مبالغهم التي دفعوها في وقت واحد.. فعجز عن الدفع فتقدموا بالبـلاغات ضـده فـأمرت النيـابة بالقـبض عليـه وإذا بالمدعي الاشتراكي يتحفظ على كل أموالـه ليحاول إنقاذ مايمكن إنقاذه من حقوق المستأجرين..

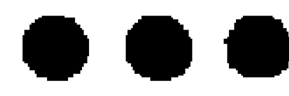
وسمعت مـا هو أغرب من ذلك.. فعرفت أنها كانت صـاحبة

المشورة «الـثمينة» له بـأن يدخل عالم بناء العـمارات لتـصبح مهندســة ومالكة عمارات بدلا مـن زوجة تاجر عملة. وأقنعـته بأن المطلوب هو فـقط شراء قطعـة أرض ووضع لافتـة عليـها اسمه. وبعدها سوف تنهال عليـه الملايين من راغبى الاستئجار ففعل ذلك فعلا.. وانهالت عليه مـقدمات الإيجار حتى جاء عليه وقت كان يستعين فيه بـ٣موظفين لعد النقود التى يتسلمها من المستأجـرين وبدلا من أن يبنى عمارة واحدة كـما كانت الفكرة فى البداية قـرر أن يبنى أكثر من عـمارة فعـجزت إمكاناته عن استكمالها.. وتدهور إلى الهاوية مع تطورات الأحداث المفاجئة. ربما تقـول لى وماشـأنك بكل ذلك.. وقـد خـرجت من حيـاتك فأقول لك. إن خطيبـتى السابقة.. بحاستهـا المرهفة قد أحست بقـدوم الزلزال قبل وقـوعـه بلحظات.. فـأقنعت زوجهـا ـ ولا أعـرف حتى الآن كـيف نجحت فى ذلك ـ بـأن يطلقهـا بصفـة مؤقـتة لكى لا يشـملها أى قرار بالتـحفظ على أمـواله وأموال أسـرته ولكى تسـتطيع أن تسـانده خـلال مـرحلة القـضـايا والمحاكـم بما تنجو به من ثروته.. وبالفـعل طلقـها قبـل فرض التحفظ على أمواله بفترة قصـيرة، فنجت بالسيارة المرسيدس وبمجوهرات ومدخرات كبيرة.. فى حين خرجت الزوجة الأولى من المولد بلا حمص !.

وبالفـعل وقـفت بجـواره فى البـداية وقـامت بالاتصـال بالمحامين للدفـاع عنه. لكنها بعد أن تأزمت الأمور تمـاما عادت إلى دراسـتهـا. ودخلت امتـحان السنة النهـائية ونجـحت. ولا أعرف أيضا كيف؟ ثم بعد عدة شهـور فوجئت بها أمام مكتبى فى الشركة التى أعـمل بها تدعونى للخروج معـها للحديث فى

أمر هام فلم أرفض. وخـرجت معها فروت لى مـا حدث بلا أية محـاولة للاعتذار، وبلا أى إحسـاس بالذنب مفسرة مـا حدث بأنه كان تجربة وانتـهت. ثم سـألتنى فجأة سـؤالا غريبا.. أنت لم تتـزوج بعد، ولم ترتـبط بفتـاة أخرى.. فـلماذا لا نسـتكمل المشـوار الذى بدأناه معـا ثم اعتـرضـته هذه التـجربة، وكـأن ماحـدث لم يحـدث؟.. أنت شاب ظروفك حـسنة.. وأنا ظروفى حـسنة وكلانا عـرف الآخر وفـكر فى الارتباط به.. فلمـاذا لا نحقق الارتباط الذى أردناه ذات يوم وكأن شيئا لم يحدث.

سمعت كلامها.. والدنيـا تدور بى.. ولم أستطع أن أصدمها ولم أستطع أن أقـول لها أننى فقدت حـبى لها منذ زمن طويل بل إني الآن وبصراحة يا سيدى أحس بالشماتة فيها ولا أشعر بأى ثقة فيهـا، فكيف أتزوجها وأعيش حياتى مـعها؟ لقد طلبت منهـا مهلة لأفكر وكـتـبت إليك لأسـألك رأيك. وأريد أن أعـرف رأيك بصراحة فماذا تقول لى ؟.



□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إنى أيضـا ـ وليغـفـر لى الله هذا الاحـسـاس الشـائن ـ أشعـر معك بالشمـاتة فيهـا! فلقد تذكـرت رسالتك الأولى. وتذكرت كيف أثار تصرف هذه الفتاة معك حنقى لما آل إليه حال البـعض فى مجـتمـعنا ممن وضعـوا داخل صدورهم آلات حاسبة فى مكان القلوب وأصبـحوا يقيسون كل شىء حـتى العـواطف بمقـيـاس النقـود والمرسيـدس وخـواتم السوليتـير بلا أى معيار آخـر.. لقد قلت لك فى ردى الأول أنها فتاة انتـهازية.. وأن فقد مثل هذه الفتاة نعـمة لا نقمة

كما قـد تتصور وأنك محظوظ لأنهـا قد كشفت عن مـعدنها قـبل أن ترتبط بها ارتبـاطا نهـائيا. وتوقـعت لها أن تقـرأ أخـبارها وأخـبار زوجـهـا فى أخبـار الحراســات والمدعى الاشتـراكى. ولم أتوقع أن يصدق التوقع خلال هذه الفـترة القصـيرة! لكن مـابنى على خطأ فهو خـاطىء.. وليت هذه القاعـدة تصدق مع الجـميع دائما. إذن لانـصلحت الأحوال ولما فقـدت القيم مـعناها، ولما انهـزم شاب مثلـك أمام لص مشـبوه كهذا اللص، ولما أحس الشـباب بالعجز والاحـباط والهزيمة الشخصيـة أمام قرود هذا الزمان الردىء تسألنى عن رأيى فأقـول لك : ابتعد عن هـذه الفتاة يا صـديقى فلا حيـاة لك معهـا ولا أمان ولا مسـتقبـل، لا لأنها أخطأت هذا الخطأ الانتهازى فقط، وإنما لأنها لا تشعر فى قرارة نفسها بأنهـا أخطأت فى حـقك أو فى حق نفـسـهـا ولا يسـاورها تجاهك أى إحساس بالذنب .

وهذه هى الكارثة. فلو أنـها عـادت إليك باكـية. نادمـة قائلة أنها قد اكتشفت أن المال وحده لايحقق السعادة، وأنها أخطأت. وعـرفت أنها قـد ضلت الطريق وعادت إليك لأنـها تحـبك وترغب فى أن ترتبـط بك للأبد، وأنهـا لن تغـضب حتى لو احتقرتها لأنها تستحق الاحتقار فعلا، لكنها تحبك وتريد الزواج بك، لو قالت لك شـيئا من ذلك واستـشعرت صدقها لربما ترددت وفكرت فى أن أنـصحك بالصفح عنها والارتباط بها..

لكنهـا يا صـديقى مازالت تـتحـدث مـعك بنفس المنطق الحسابى البـارد الذى تصرفت على أساسه فى حـياتها ولا

ترى فـيمـا فعلت أى خطأ.. وهذا يعنى أن الآلة الحـاسبـة مازالت بين ضلوعـها.. وأنهـا لم تتعلم شيـئا من التـجربة التى مرت بهـا، ويعنى أيضا أنها فـتاة اعتـادت أن تنال ما تريد بغض النظر عن مشاعر الآخرين وإرادتهم، وأنها تريد أن تجمـع كل شىء بين يديها بلا أية خـسائر من جـانبـها، فتـحصـل على المال من القرد إياه.. وتحـصل على الشـباب والوسامـة والعائلة الكريمة منك.. وحتى إشعـار آخر. أى حتـى تظهر لهـا فرصة أفـضل سواء قـبل الارتباط مـعك.. أوبعده، وهذه كلها أشياء مخيـفة.. وفتاتك هذه فتاة جبارة ولا يؤمن لها جـانب.. فهل تريد أن تتزوج من «دراكـيولا» مصاصة للدماء بلا أى عاطفة .. ولا إحساس بالذنب ؟.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

١٩

مجلس العائلة

أشعر بشيء من الخجل وأنا أكتب لك هذه الرسالة.. لأنني سأحكي لك عن مشكلة قد يراها كثيرون مشكلة تافهة لا تستحق الكتابة عنها لكنها بالنسبة لنا ولأمثالنا مشكلة تزيد من مرارة الدنيا.. فأنا يا سيدى سيدة توفى عنى زوجى رحمه الله منذ ٣سنوات وكان موظفا طيبا صغيرا، وقد رحل تاركا وراءه

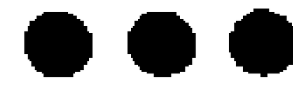
أربعة أبناء ومعاشا قدره خمسة وأربعون جنيها هو كل موردنا والحمد لله، فرتبت حياتنا على العيش بهذا المبلغ. وتعاون معى أبنائى فتخلوا عن كثير من مطالبهم التى اعتادوها فى حياة الأب.. ورضوا بكل شىء ورضيت أنا بما قدر الله لنا وشكرته على هذه النعمة وأكبرها فى نظرى نعمة صلاح الأولاد وطيبتهم وبعد وفاة الأب بدأت أشركهم معى فى كل أمور حياتنا فإذا عرضت لنا مشكلة دعوت الأولاد وتشاورت معهم.. وأحاول دائما أن أجعلهم يقترحون الحل.. فإذا وافقنا عليه، فإن تنفيذه يصبح مسئولية مشتركة بيننا، ولاحظت أنهم يتحملون مسئوليتهم بأمانة ورجولة رغم أنهم جميعا تلاميذ بالمدارس الابتدائية والاعدادية. واصل بعد ذلك إلى المشكلة التى قد يراها البعض مشكلة تافهة، فقد كان من بين ما تركه لنا زوجى جهاز تليفزيون أبيض واسود أصبح بعد رحيله هو وسيلة الترفيه الوحيدة فى حياتنا، ورغم متاعب الحياة فقد كنا ننعم كل ليلة بجلسة هادئة أمام التليفزيون بعد أن يذاكر الأولاد دروسهم ثم نذهب لنومنا راضين. لكن حدث أن تعطل هذا الجهاز ثالث أيام عيد الفطر الماضى أعاده الله على الجميع بكل خير. فسدت نافذتنا الوحيدة على الدنيا وتوقفت متعتنا الوحيدة .

وكالعادة عقدت مجلس العائلة لحل المشكلة.. وتكلمنا وخرجنا بقرار بتوفير مبلغ جنيه واحد كل شهر لإصلاح التليفزيون مهما كانت الصعوبات لأن التليفزيون هو وسيلة الترويح فى حياتنا. وكان الأولاد والحمد لله متعاونين معى، فنجحنا فى توفير ١٢ جنيها على مدى سنة كاملة.. وبعد أن

تجمع لدينا هذا المبلغ الكبير حتى الأولاد على إصلاح التليفزيون قبل شهر رمضان لكى نتفرج على برامجه فى ليالى رمضان وأثناء الصيام فخرجت للذهاب إلى مراكز إصلاح التليفزيون القريبة من مسكنى، فكنت أقابل فى البداية بالترحيب الشديد ثم عندما يعرفون أن التليفزيون أبيض وأسود يتحول الترحيب إلى سخرية! لماذا؟ قالوا لى إن التليفزيون الأبيض والأسود لم يعد أحد يستعمله.. ولم يعد هناك أحد يصلحه. لماذا؟ قالوا لى إنه لم يعد له قطع غيار.. ولم يعد هناك أحد مستعد لتضييع وقته فى إصلاح جهاز رخيص وثمن إصلاحه رخيص فالجميع يعملون فى إصلاح التليفزيون الملون.. لأن قطع غياره متوافرة وأجر إصلاحه كبير. فخرجت من مركز إلى مركز وأنا أسمع نفس الإجابة وأقابل بنفس النظرات.. وعدت من جولتى مكسوفة.. وحزينة إلى أولادى. وعندما سألونى ماذا صنعت يا أمى أفلت لسانى بما يدور فى باطنى وكنت أحب ألا يفلت به لكى لا أزيد غمهم فقلت لهم ساهمة وكأننى أكلم نفسى : اكتشفت أننا لسنا «عايشين» فى الدنيا. ورغما عنى يا سيدى حكيت لهم ماحدث. وحاولت أن أخفف عنهم بأنى سأركب الأتوبيس إلى أحياء أخرى للبحث عمن يصلحه. فكان ردهم على بلسما خفف من آلامى.. فقالوا ولايهمك .. المهم إن احنا مع بعض.. وكويسين .

وأخيرا فكرت فى أن أكتب إليك، فرغم.. ضيق مواردنا فإنى أحرص وهذه عادة من أيام زمان «السعيدة» على قراءة الأهرام وبعد وفاة زوجى ونقص الدخل قررت الاستمرار فيها لأنى وجدت فيها راحة نفسية لى كما وجدت فيها زيادة معرفة

وتنميـة لحب الاطلاع عند الأطفال.. وفـعلا نحن نتبـادل قراءة الجريدة واحدا بعد الآخر وقد فكرت أن أكتب لك لعلك تستطيع أن تعاوننى فى إيجاد أحد الفنيين الرحماء الذى يقبل أن يصلح لنا التليفزيون قبل شهـر رمضان، ولعله إذا عرف أنى مريضة بتضخم الكبد وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين يقدر مدى حاجتى إلى ما يروح عنى خلال أيام الصيام الطويلة بشرط أن تكون العـمليـة كلهـا فى حدود ١٢ جنيـهـا، وأشكرك كـثيـرا والسلام عليكم ورحمة الله.



□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

يا سيـدتى ضَعُف الطالب والمطلوب. لقـد حلت مشكلتك بأمر الله قبل أن أنتهى من قراءة رسالتك، فقد كنت مشغولا بقراءة الـرسالة حين جاءنى زائـر كريم يطلب منى أسـماء وعناوين بعض من يستحـقون معاونته، فـمددت يدى إليه برســالتك ولم أزد. فحلت المشـكلة بإذن ربك فى لحظة ولو لم يسارع هذا الزائر الكريم بحلها لتولى بريد الأهرام الأمر لكنه شـاء أن «يستأثر» كـما قـال لى بإسعـاد هذه الأسرة المكافحــة : فلا تقلقى فسوف ترين برامج رمـضان «ملونة» بإذن الله، لكن هذا ليس المهم.. وإنما المهم هـو أنت وأسرتك الرائعة .

أتعرفين يـا سيدتى أنك ربة أسـرة متـحضـرة ومتنورة تعد نموذجا يحتـذي به الآخرون؟ أتعرفين أنك تطبقين فى إدارتك لهـذه الأسـرة المكافـحـة الشـريفـة أحـدث نظريات التـربية وأرقـاها؟ ربما تكونين لـم تقرئى كـتـابا فى علم

التربية، لكنك رغم ذلك وبحس حضارى فطرى مستمد غالبا من قيمك الدينية الراسخة ومن تنورك وحرصك على القراءة رغم نقص الامكانيات، تقومين بتربية أبنائك تربية سليمة صحيحة، سوف تثمر رجالا نافعين وأشخاصا أسوياء على خلق كريم بإذن الله فأنت بحرصك على تشجيع أبنائك على إبداء الرأى رغم صغر سنهم فى شئون الأسرة.. واقتراح الحلول واشراكهم فى القراءة تغرسين فيهم القدرة على التفكير والميل للمشاركة.. والرغبة فى تحمل المسئولية.. لذلك يسارعون جميعا إلى تنفيذ ما اتفقتم عليه حتى ولو جاء على حساب مطالبهم الضرورية. وهذا هو جوهر الشورى والمشاركة والمسئولية.

أتعرفين أيضا أنك بتشجيعك لأبنائك على القراءة رغم صعوبات الحياة تغرسين فيهم بذور حب المعرفة والاطلاع.. وفهم الواقع والحياة.. أو ليس هذا هو مقياس الرقى فى أى مجتمع ؟

إنك يا سيدتى تمارسين سلوكا متحضرا فى حياتك وإدارة أسرتك ولابد أن تثمر مثل هذه التربية السليمة أسرة يحب أفرادها بعضهم بعضا ويتعاونون على تحمل مسئوليتهم فى الحياة برجولة وشرف وسلوكك هذا لا يرقى إليه بكل أسف كثيرون ممن يملكون المال ويقتنون منتجات الحضارة الحديثة.. لكنهم بسوقيتهم وجهلهم وظلام عقولهم أجلاف متأخرون ويؤخرون الحياة من حولهم.. ويزيدون من صعوبتها على غيرهم بسلوكياتهم المؤسفة.

تسألينني بعد ذلك ولماذا أنشر رسالتك إذا كانت مشكلتك قد حلت قبل النشر. فأقول لك أنني أنشرها لأن أسرتك يا سيدتي نموذج رائع لكفاح أسرة مصرية متحضرة ومثقفة يظللها الحب والتعاطف والصفاء رغم التقشف والإملاق .

وأنشرها ليعرف من تقولين أنهم لا يعرفون عن حياتنا شيئا.. كيف «تجاهد» أسرة مصرية لإصلاح تليفزيون قديم.. حتى لتعقد «مجلس العائلة» وتطرح المشكلة على بساط البحث ثم تتخذ قرارا بادخار جنيه واحد فقط لا غير كل شهر. وتنفذ قرارها بشجاعة وتحمل للمسئولية على حساب الضروريات من مطالب الحياة، فتنجح بعد كفاح مجيد لمدة سنة طلعت فيها الشمس وغابت ٣٦٥مرة في توفير ١٢ جنيها مصريا، وبعد أن يتجمع لديها هذا المبلغ الكبير تخرج الأم إلى مراكز إصلاح التليفزيون فتكتشف أن جهازها لم يعد قابلا للاصلاح. وأن العصر قد تخطاه منذ زمن بعيد ؟ أليست هذه قصة درامية مكتملة العناصر ؟.

إنني أؤكد لك أنه لو قدم مؤلف درامي قصتك هذه في تمثيلية تليفزيونية لاتهمناه بالمبالغة والميلودرامية والرغبة في استدرار الدموع.. لكنها الحياة يا سيدتي أعظم المؤلفين وأكثرهم ميلودرامية .

ثم أخيرا أنشرها ليرى فيها المتبرمون بلا سبب، والمعذبون بتطلعاتهم إلى ما في أيدي غيرهم وهم يملكون الكثير.. صورة واقعية لحياة لايسمح لهم أنينهم المستمر بالاطلاع عليها. ليرضى المنعمون بما نعموا.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة

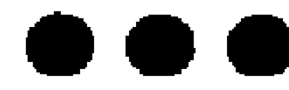
٢٠

السيمفونية الناقصة

«مشكلتي رغم أنها شخصية إلا أنها تواجه غيري من السيدات.. لذلك فسأروي لك قصتي كاملة وأطلب منك مساعدتي في حلها. تزوجت بعد تخرجي في الجامعة مباشرة وعشت مع زوجي ١٠ سنوات كاملة من أحلى فترات العمر كان زوجي خلالها هو كل شئ بالنسبة لي.. وكان محور حياتي الذي

أدور في فلكه.. إن ضحك ضحكت وإن تألم تألمت وإن شرد شردت معه.. أحاول أن أغوص في أفكاره.. وأعرف ماذا يشغل حبيبي أو ماذا يكدره وأنا على استعداد لكي أقدم عمري كله لكي أحجب عنه ما يكدره. مضت حياتنا سعيدة كانت لنا حياة اجتماعية مليئة.. بيتنا لا يخلو من الزائرين.. وأمسياتنا تشهد زيارات عائلية سعيدة للأصحاب الأهل.. وفي أمسيات الخميس نخرج للسهر في إحدى دور السينما في مدينتنا الجميلة الاسكندرية أو للعشاء في أحد المطاعم.. لم يكن ينقصنا شئ.. لا بل كان ينقصنا شئ هام لكننا لم نكن نحس به إلا في نظرات بعض الأهل بين حين وآخر وإلا حين يشرد حبيبي بأفكاره بعيدا عني فأخشى أن يكون هذا الشئ الناقص هو ما يشغله. كان ينقصنا الانجاب.. وكنت المسئولة عن ذلك لكننا - صدقني - كنا نحيا حياة سعيدة كاملة لا ينقصها شئ ولم يكن هو يشير إلى هذا الموضوع من قريب أو بعيد.. بل كان يبالغ في تهيئة الجو السعيد حولي إذا استشعر أي تغير فيّ خوفا من أن يكون هذا الموضوع هو شاغلي وفجأة وقع الزلزال بلا مقدمات.. فقد استسلم فجأة لبكاء والدته وإلحاح والده وبدون أي تمهيد نفسي أو عاطفي وجدت نفسي مطلقة فقد صمم أهله على أن يطلقني لكي يستطيع أن يتزوج ممن تنجب له أطفالا وكانت الصدمة شديدة عليّ هدت كياني وأفقدتني توازني وثقتي بالحياة وبنفسي ماذا جنيت حتى تنهدم حياتي من أساسها؟ الأطفال؟ ومتي رفضت أن يكون لي أطفال؟ وأين هي الزوجة الطبيعية التي ترفض أن يكون لها أطفال وأنا لم أخلق عجزي بنفسي وإنما هي إرادة الله فماذا

جنيت؟ ألا يكفى عذاب حـرمان المرأة من الطفل.. حـتى نضيف إليه عـذاب الطلاق وهدم حـياتها؟.. لـقد مضى الآن عـام على الطلاق ومازلت أبكى بحرقة كلما تذكرت ما آل إليه حالى فبعد البيت الخاص أصبـحت أعيش الآن مع أمى المسنة وأختى التى على وشك التخرج، وبعد الحياة الاجـتماعية الحافلة والزيارات واسـتـقبـال الزائرين والخـروج، تمضى الأيـام لا يطرق علينا الباب طارق.. إننى موظفة كبيـرة بإحدى شركات القطاع العام بالاسكندرية.. وقـد تلفتُ حـولي فـوجدت نفـسى فى الثـامنة والثلاثين من عمرى.. مطلقة بلا أمل.. وبلا ذنب ففكرت فى أن أكـتب إليك عسى أن تدلنى علـى طفل يتيم ليس له أهل لأقـوم بتربيتـه وأتخذه ابنا يكون لى فيه بعـض العزاء عن غدر الأيام وقلة الوفاء ولكى يصبح لحيـاتى معني وهدف أعيش من أجله فهل تساعدنى فى ذلك؟.»



□ وأقول لهـذه السيـدة : نعم أستطيع أن أسـاعدك وأن أكـتب بعنوانك ورغـبـتـك إلى بعض مـعـاهد الأيتـام بالاسكندرية لتتصل بك وترتب مـعك هذا الأمر، وهو تفكير إنسانى عظيم.. لكن هل هذا هو الحل السليم لمشكلتك؟ إنك تستطيعين أن ترعىْ طفـلا وأن تفرغى فيه عاطفـة الأمومة لكن سيبقى هناك دائمـا شئ ناقص يكدر حياتك.. فلماذا لا تطوين صفحة الماضى وتبدئين حياة جديدة مع زوج ملائم لا يرغب فى الانجاب كـمطلق له أولاد أو أرمل له أولاد؟ لقد كـانت لك حيـاة سـعيـدة وكـان يؤرقهـا دائمـا هذا الشئ

الناقص.. وهو الذى هدم حياتك مع زوجك. فلا تصدقى يا سيدتي أن رجلا يحب زوجته ويجد لديها كل سعادته يمكن أن يستجيب لإلحاح أب أو أم في طلاقها؟ إن الرجل إذا لم تتوافر لديه بواعث الطلاق من داخله هو لا من خارجه فإنه لا يقدم علي هذه الخطوة أبدا إرضاء لأحد. لقد كان الشئ الناقص يؤرقه هو نفسه قبل والديه لكنه كان يجد تعويضا كافيا لديك عنه إلى أن اشتدت وطأته عليه.. فضعف واستجاب لما كان يلح عليه من داخله.

ولا أريد أن أظلمه.. فأنا لا أعرف كل حيثيات قراره.. ونحن نتعامل مع المشاكل من جانب واحد.. ولا نسمع عادة صوت الطرف الآخر.. لكننى فقط أقول لزوجك السابق إنك لو كنت سعيدا فعلا مع زوجتك السابقة ثم طلقتها لا لشئ فقط سوي هذا السبب وحده.. فأنت يا صديقى لم تعرف الحياة جيدا.. ولم تعرف أن السعادة الكاملة من كل الوجوه لم تخلق بعد على ظهر الأرض.. ولم تعرف أن السعادة نسبية وأن الدنيا تعطى أشياء وتأخذ أشياء أخرى.. وأن الدنيا هى غالبا كالسيمفونية الناقصة.. لا تكتمل أبدا فإذا كان ما أعطته لنا كافيا فمن البلاهة أن نعذب أنفسنا بالتطلع إلى ما حرمتنا منه.. خاصة أننا لا نعرف تماما هل سنجد سعادتنا فيما نطمح إليه أم لا؟ . وهل لو فقدنا ما بأيدينا جريا وراء ما نحلم به.. هل نخسر أم نكسب؟ فإذا كنت قد طلقت زوجتك لهذا السبب وحده فقد ظلمتها وظلمت نفسك لأنك فيما أتصور لن تجد لدى غيرها كل هذا العطاء.. ولأنك لا تعرف ماذا تخبئه لك الأيام

والليالي.. والليالي كما يقولون حبالي يلدن كل عجيب! لقد سبقك امبراطور عظيم الشأن هو شاه إيران السابق إلى هذه المغامرة فطلق في الخمسينيات زوجته الثانية الامبراطورة ثريا على حبه الشديد لها ورغم جمالها الباهر وطلقها وهو يبكي «مضطرا» كما يقول معظم من يقدمون على هذا التصرف لنفس هذا الدافع! لأنه حريص على أن ينجب وليًا للعهد يرث العرش ويحفظه في أسرته.. لكن العرش نفسه قد اندثر تحت حمم براكين الثورة الايرانية، وضاع العرش ولم تعد هناك حاجة لمن يجلسون عليه! إننا ننسى كثيرا أنه لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع.. وننسى في أحيان كثيرة أن علينا أن نسلم بما اختاره لنا الله في أشياء كثيرة.. فيجرنا هذا النسيان إلى أخطاء عديدة تتعس حياتنا من حيث نريد أن نجنبها التعاسة.. وقد نسي زوجك كل ذلك فكانت هذه المحنة.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

(٢١)

أسرة من الحى الشرقى

«أنا طالب بالسنة الثالثة بإحدى كليات جامعة عين شمس ومتفوق فى دراستى والحمد لله، أسرتى مكونة من أم طيبة مكافحة .. وشقيقتين طالبتين إحداهما معى فى نفس الكلية والأخرى بالمدرسة الثانوية وهما والحمد لله فتاتان على خلق ويجمعنا جميعا الحب والتعاطف والترابط - حيث أننا نواجه الحياة

وحدنا بعد رحيل أبي رحمه الله منذ حوالي ١٠ سنوات ونعيش بمعاشه المحدود حياة متقشفة لكنها مستورة والحمد لله. وقد كافحت أمي معنا كفاحا مجيدا لكي نواصل تعليمنا مستعينة بالصبر وبالحيلة لتدبير حياتنا وتلبية مطالبنا في حدود معاشنا. وهي صورة تراها في كثير من البيوت التي تفعل الأعاجيب لكي تستمر في حياتها البسيطة بغير أن تفقد نفسها واحترامها. ولا يضايقني ذلك فحياتنا لا تخلو من متعة بسيطة نستمتع بها بين حين وآخر، كجلسة عائلية دافئة في أمسيات الشتاء نضحك فيها على ما نراه في يومنا من صور تثير الضحك أو «أكلة» هنية تجيد أمي كسيدات الأحياء الشعبية صنعها ، أو أكلة من طعام السوق اللذيذ الذي يجيد جيراننا في الحي الشعبي صنعه وعرضه للبيع تسبقه روائحه الطيبة.. الخ.. وهي كلها متع بسيطة لكنها تُرضي أمثالنا من البسطاء.. وأهم منها بلا جدال أننا جميعا بصحة طيبة.. وأنه لا مكان للكراهية بيننا.. لذلك فإني أكاد أعتبر أسرتنا أسرة سعيدة والحمد لله.. «لولا»؟! .. ولقد قرأت في ردك على رسالة الزوجة الحائرة بسبب زوجها.. انه ليست هناك حياة خالية من «لولا» الشهيرة هذه.. فقررت أن أكتب لك عن «لولا» الخاصة بنا التي تفسد علينا سعادتنا ونتعذب بها العذاب الأليم كل يوم. فنحن يا سيدي نعيش حياة مريرة لسبب عجيب لا يخطر على بال أحد هو أن والدي رحمه الله منذ ٢٠ سنة لم تستطع إمكانياته المادية أن توفر لنا مسكنا إلا في هذا الحي الشهير من أحياء القاهرة الذي ارتبط اسمه لسوء حظنا بتجارة المخدرات في

مصر.. طبعا عرفت أنه حى الباطنية؟ إن كل ذنبنا لدى الآخرين أننا نقيم فى هذا الحى الذى يتصور الناس أنه لا يقيم به إلا تجار المخدرات والموزعون والمدمنون.. الخ، علما بأن هذا الحى كغيره من الأحياء يقيم به موظفون مكافحون وتجار عاديون وعمال لا يربطهم بتجارة المخدرات صلة، لكن قدرهم انهم يعيشون فى هذا الحى ولا يجدون بالطبع بديلا للسكن فيه مع أزمة المساكن الحالية. إنك قد تتصور أن هذه مشكلة تافهة لكنها ليست كذلك أبدا، فالناس خارج الحى إذا اختلطنا بهم وعرفوا أننا من سكان هذا الحى تغيرت على الفور نظرتهم لنا وتهربوا منا ولم يقبلوا على صداقتنا رغم أننا فقراء شرفاء مثلهم والله العظيم، وإذا تحدثوا معنا لا حديث عندهم لنا إلا عن المخدرات وأسعارها وأصنافها وهم يسألوننا عن الأسعار والأصناف.. وأسماء التجار الكبار كأننا من صبيانهم، رغم إننى لا أعرف شيئا عن المخدرات ولم أذقها فى حياتى ولا أدخن السجائر ، فإذا تغيبت عن الكلية لمدة يومين لأى سبب كأى طالب آخر يقابلنى زملائى بالتساؤلات الجارحة.. خير.. كان فيه كبسة عندكم واللا إيه؟.. وللا كنت بتوزع البضاعة؟! فأصمت صمت العاجز عن الرد وفى قلبى ألم لا يحس به أحد.. وآخر يقول لى في الكلية «يا عم انت بتكسب كتير من التوزيع.. إيه اللى عاجبك فى التعليم؟».. فأحس بغصة فى حلقى.. وأعجز عن الرد.. وليتنى أستطيع . إذن لقلت له : أية مخدرات تتحدث عنها إن أمى ترتق لى الجورب حتى يكاد يذوب بين يديها وشقيقتى تتبادلان لبس «الجيب» الواحدة

والبلوزة الواحدة، حتى تبليا تماما، ولولا بطاقة الكساء الشعبى لمشينا شبه عرايا إلى كليتنا ومدرستنا .. فأية مخدرات يا صديقى.. وأى عذاب تعرضوننى له بغير أن تشعروا.. حسبى الله ونعم الوكيل.. لقد كافحت أمنا كفاح الأبطال لكى لا نسقط فى هاوية العمل فى «الكار» التى سقط فيها أقراننا منذ البداية تحت ضغط الفقر وضغط الحاجة وضغط نظرة المجتمع لنا.. فبعض أقرانى فى المدرسة الاعدادية حسموا المسألة منذ سنوات طويلة وقالوا لأنفسهم إذا كان الناس جميعا يعاملوننا كصبية لتجار المخدرات ونحن نقاسى من الفقر.. ولا فائدة من إقناع أحد ببراءتنا، فلماذا نتحمل الفقر إذن؟.

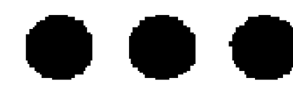
وهكذا انجرفوا إلى الجريمة.. وتوقفوا عن التعليم وعملوا بتوزيع المخدرات وعرفوا النقود الكثيرة ولبس الملابس الغالية ولبس الخواتم الذهبية التي تلمع فى أيديهم تحت ضوء الشمس.. واكتسبوا سحنا غريبة وهيئة معلمين صغار.. أما نحن فقد أحاطتنا أمي بذراعيها لكى لا نسقط فى هذا المستنقع.. وتحملنا الحرمان سنوات طويلة وما زلنا وكنا أحيانا نمضى الأمسيات بلا مليم فى جيوبنا وعشاؤنا من الخبز والفول، ورفاق المدرسة القدامى يتصدرون «القعدة» فى الشارع تحت بيتنا بالضبط «يأمرون» بشراء الكباب ويدخنون المخدرات ويشربون الخمور وينفق الواحد منهم على عشائه فى الليلة الواحدة ما يزيد على قيمة معاشنا طوال شهر.

ولست نادما أبدا على فقرنا وحرماننا.. بل لقد زدت إكبارا لأمى حين كبرت وأدركت حجم حبها لنا وحرصها علينا

بإبعادنا عن هذا الطريق وكيف أنها قد فعلت ذلك مضحية بصحتها.. وكيف حرمت نفسها فلم تهن ولم تضعف رغم المغريات.. ومثلها فى حيّنا كثيرات ومثلنا كثيرون صدقنى بل نحن الأغلبية الصامتة الفقيرة فى هذا الحى لكن الناس لا يتصورون ذلك ،ولا سامح الله منتجى الأفلام الذين صوروا للناس كل سكان الحى وكأنهم من تجار المخدرات وموزعيها ومدمنيها.. وليسامح الله الناس الذين لا يصدقون إلا هذه الصورة الزائفة. فيكون ذلك على حساب كرامتنا وحقنا المشروع فى الحياة، فهل تتصور أن شقيقتى الطالبة بالجامعة مثلا تقدم لها عريسان عن طريق بعض أقاربنا الواحد بعد الآخر.. أعجب كل منهما بشكلها وأخلاقها.. ثم ما إن علم أننا من سكان الحى اللعين حتى خرج ولم يعد مرة أخرى. فماذا نفعل فى هذه المصيبة وليس لدينا ما يكفى لدفع خلو حجرة واحدة بعيدا عن هذا الحى.

إننى لا أكتب لك رسالتى هذه لكى يتبرع لنا أحد من ذوى القلوب الرحيمة بحجرة أو شقة صغيرة، لكنى أكتب لك لكى أطالبك بأن يتبنى الأهرام موضوع بناء مساكن شعبية لسكان هذا الحى اللعين وهو مشروع قديم من أيام الرئيس الراحل عبدالناصر، وقد أثير مرة أخرى منذ شهور ثم نام من جديد فهذا الحى اللعين لا فائدة من أية حملات توجه إليه مهما كانت جديتها فالمخدرات فيه أكثر من الخبز البلدى! وسيظل الأمر كذلك مهما صنعوا ومهما شنوا عليه من الحملات، ولا مفر من هدم هذا الحى وإسكان سكانه فى مساكن شعبية بعيدة عنه،

فيتحقق بذلك هدفان : القضاء على تجارته المحرمة من ناحية.. وإنقاذ غالبية سكانه من البسطاء أمثالنا من هذه الوصمة التى تطاردهم فى كل مكان من ناحية أخرى ونحن راضون يا سيدى بحجرة واحدة فى المساكن الشعبية فى أى مكان.. فالناس خارج هذا الحى يرفضون صداقتنا كفقراء شرفاء وإلى أن يتحقق هذا الحلم أريد منك أن تقول للناس ان سكان هذا الحى ليسوا جميعا من تجار المخدرات وأن فيه موظفين كبارا وصغارا ومحامين ومحاسبين ومهنيين وطلبة جامعات مثقفين وأسراً مصرية شريفة ومكافحة فلا تحكموا عليهم بسمعة حيهم اللعين - وأشكرك مقدما وإلى اللقاء».



□ ولكاتب هذه الرسالة أقول: أنت على حق يا صديقى فى كل ما قلت وأؤيدك فيما تطالب به وأضم صوتى إلى صوتك، ولا أعتقد أنى فى حاجة لأن أقول للآخرين انه ليس صحيحا أن كل سكان هذا الحى من أهل العالم السفلى الذى يشتغل بتجارة المخدرات.. فرسالتك أبلغ منى فى التعبير عن هذه الحقيقة الصادقة. وهى شئ طبيعى لأنه ليس من المنطقى أن يكون هناك حى كل سكانه من غير الشرفاء، أو أن يكون هناك حى كل سكانه من الشرفاء. فالشرف لا يرتبط بالتقسيم الجغرافى لخريطة المدينة لكن بعض «عمالقة» الفن الهابط لا يعرفون هذه الحقيقة أو لا تسمح لهم مداركهم بإدراكها.. فكانت هذه الصورة الظالمة التي قدموها للجميع عن حيكم ورسّخوها فى الأذهان حتى

تحـولت إلى فكرة ثابتـة لدى البـعض وهذا خطأ حـقـيـر وجريمة بشعة فى حق أمثالكم من البسطاء الشرفاء.

ولا شك أن من ينفـرون من صـداقـتكـم ومن فـروا من شـقـيـقـتك رغم إعـجابـهم بهـا هم من أسـرى هذه الفكرة الخـاطئة، وكلهم مـخطئـون وأنتم ضحـايا لهذا الاعـتقـاد الشائن، ولو امتلأت نفـسك بالمرارة لما لُمتك على ذلك، فمن المؤلم حـقا أن يحكم الناس عليك هذا الحكم الجـائر.. وأنت من تعانـى الحرمان وشظف العـيش نائيا بنفـسك عن هذا الطريق، ومن أقـسى مـا يتـعـرض له الانسـان من ظلم أن يحاسبه الناس عمّا لم تجن يداه وعما لم تكن له فيه حيلة، كإقامتك فى هذا الحى اللعين ولا أدرى لماذا يتـعثر مشروع هدمه ونقل سكانه إلى حى آخر كمـا حدث مع حيين آخرين فى القـاهرة كانـت تطاردهما نفـس اللعنة، إننى لا أريد أن أطيل حـديثى مـعك لأن رسـالتك أبلغ من أى تعـليق لكنى رغم ذلك لا أستطيع أن أقـاوم رغبتى فى إبداء إعـجابى بك وبأسـرتك المكافحـة التي تصنع كل يوم مـعـجزة بمجـرد استمرارها فى الحـياة وسط هذه العواصف والأنواء.. إنها صـورة الأغلبيـة الصامـتة فـى بلادنا التى تكافح كل يوم كفـاح الأبطال وتنفر نفورا طبيـعيا من الحرام وتخـشاه.. ومـا أكثـر المعـجزات التى تشـهـدها الحـياة كل يوم بعـد انقضاء عـصر المعجزات بزمن طويل. لكـن هذا حديث آخر. فتقبل إعجابى بك

وبأسرتك وتقـبل عظيم احترامى لهذه البطلة المجـهولة

التي قادت سفينتكم وسط الجنادل والصخور على حساب حرمانكم ومعاناتها لكي تحميكم من السقوط في الهاوية وتصل بكم إلى بر الأمان. إنها أم مثالية كغيرها من الأمهات الصابرات في بلادنا.. وأمثالها لا تعرف الجوائز طريقها اليهن.. فكونوا أنتم يا صديقي.. أنت وشقيقتيك جائزتها الكبرى بتفوقكم في دراساتكم واستمراركم على هذا الطريق القويم وفقكم الله وأعانكم على نظرة المجتمع الظالمة لأمثالكم من الشرفاء.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٣٢

.. بلا عاطفة

«سيدى العزيز.. أرجو أن تقرأ هذه الرسالة إلى النهاية بغير أن يصيبك الملل.. فهى رسالتى الأولى إليك لكنها فيما يبدو لن تكون الأخيرة كما أنها سوف تعطيك صورة «صادقة» عما وصلت إليه «حالة بعض الناس» من التنافس والبعد عن روح التآخى، والحقد اللاأخلاقى.. وهى المعانى التى تلح على محاربتها كل

أسبوع وكأنك يا صديقي تنفخ فـي قربة مقطوعة.. إننى أكتب إليك هذه الرسالة استكمالا لقصة صاحبة العمارة التى نشرتها الأسـبوع الماضى.. فـأنا يا سـيدى فـرد من أسـرة مكونة من عشرة أفراد نصفـهم بنون والنصف الآخر بنات، وكلنا والحمد لله أشقـاء وجامعيـون.. وكل إخوتي وأخواتي يشغلون مـراكز مرمـوقة، كـما إننا أيضـا والحمـد لله أغنياء جـدا من الناحـية المادية، وعن نفسى فأنا خريج حديث منذ ٥ سنوات وأعمل منذ عامين فى شركة قطاع عام مرموقـة أتقاضـى فيها مرتبا يصل مع الحوافز إلى ٢٢٠ جنيهـا شهريا، ولى دخل ثابت يصل إلى حوالى ١٥٠ جنيها. وكلنا ـ أقصد أنا واخوتى وأخواتى ـ يكره بعضنا بعـضا جدا ولا يتـمنى أحد منا للآخر خـيرا أبدا. وكلنا أيضا «نفـرح» فى مصائب بعـضنا البعض! وكلنا بلا اسـتثناء نكيـد وندبر المكائد لبعـضنا البـعض، وبعض هذه المكائد تصل إلى أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان! كل ذلك بالرغم من أننا نتـميـز جمـيـعا بالوسـامة والجـمـال وبراءة المظهر وحـلاوة اللسان!.

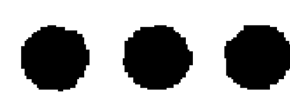
ولا أطيل عليك فى هذا الكلام.. فنحن نملك عن والدنا رحمه الله عمارة كبيرة لا يزيد إيجار أغلى شـقة فيها على ٦ جنيهات أما أرخص شقة فيهـا فإيجارها ثلاثة جنيهات ونحن ـ اخوتي وأنا ـ بالطبع «لا نطيـق »أحدا من سكان عـمـارتنا الكرام. ولا نـحمل أى رغـبة فى الخيـر لأحسن واحـد فيهم، وقـد تسألنى لماذا؟ أو هل أساء إليكم أحد منهم فـأقول لك إننا نكرهـهم هكذا بلا سبب والله العظيم.. سوى إننا لا نـحب أحدا فى الدنيا فكيف نـحب إناسا يعيشون فى سعة من العيش والسكن ولا نفكر فى

الانتقام منهم؟! وسأطلعك على ما عقدنا العزم عليه بل وشرعنا فعلا فى تنفيذه. ففى هذه العمارة القديمة شقة أعيش بها مع أمي الحاجة وهى سيدة شديدة الاحترام ومتمسكة بأهداب الدين والأخلاق - وسبحان الله اننا جميعا نشأنا على نقيضها وقد فكرنا فى حل رائع لمشكلة هذه العمارة القديمة التى نتقاضى منها بضعة جنيهات.. ويتلخص هذا الحل فى أننا بدأنا فى نقل الأشياء المهمة من الشقة بالإضافة إلى المستندات وكل ما له قيمة، إلى عمارتنا الأخرى التى ليس بها سكان، وستسمعون قريبا - إن شاء الله - عن حادث من أكثر الحوادث بشاعة وفظاعة. كيف؟ سأحكى لك .. ففى شقتنا بالعمارة القديمة ثلاث أنابيب بوتاجاز، بالإضافة إلى مجموعة من المواد شديدة الانفجار والاشتعال التى أحضرتها خصيصا لذلك من معمل الشركة التى أعمل بها، وفى يوم قريب إن شاء الله! سنخرج من هذه الشقة.. ثم سيدوى انفجار شديد لن يبقى بعده من عمارتنا سوى الأنقاض. وبعد أن تنتهى «الهوجة» التى ستحدث عقب الانفجار من انتقال كبار المسئولين بمديرية الأمن والمحافظة إلى موقع الحادث ومن نشر بالصحف وإذاعة فى التليفزيون.. ومن س و ج ومحاضر طويلة تكتب بالقلم الجاف.. وبعد أن تقوم المحافظة مشكورة بإخلاء الضحايا.. ونقل سعداء الحظ منهم إلى مساكن الايواء.. ستخمد الهيصة وتختفى تماما من سطور الصحف.. ثم نتسلم أرض العمارة لنبيعها.. أو لنبنى فوقها عمارة جديدة نبيع شققها بالشئ الفلانى.. لكن ذلك ليس هدفنا وحده.. فأهم منه فى رأيى أننا سوف نستريح من هذه الوجوه الكريهة.. وجوه سكان

عمارتنا.. وصدقنى إننا لا نكره ســكان عمارتنا فقط وإنما نكره سكان أى عمارة فـهم جميعا كـلاب! وهـم جميعـا «يتمسكنون حتى يتمكنوا» وكراهيتنا للسكان جميعا هى الشئ الوحيد الذى يتفق عليه اخوتي جميعا وأنا أولهم بالطبع!.

إننى أكتب إليك هذه القصة.. ومهما صنعت فلن تستطيع أن تمنع شيئا أو توقف شيئا.. بل لن تسـتطيع فيما أعتقد أن تأخذ علينا شـيـئـا لسـبب صـريـح هو اننى واخـوتى من جـمـيع التخصـصات وستساعـدنا خبراتنا المختلفـة فى إحكام التدبير والتخلص من نتائجـه.. كما إننا جميعا بلا عـاطفة.. وستأسف كـثـيرا حين أقـول لك أن سـعـادتنا هى فى الانتـقـام من أية مجموعة مترابطة سعيدة أو أى عائلة متماسكة.. أرأيت أى نوع من السعادة.. هى سعادتنا؟!.

إننى أرجوك ألا تحزن لما تقرأه الآن فنحن مـختلفو الطباع.. وقد أردت فـقط كواحـد من قرائك أن «أشيـر» عليك برأينا فى مـشكلة صاحـبة العـمارة الجـاهلة التى نشــرت قصـتهـا فى الأسبوع الماضى.. فهى فعلا جاهلة أساءت إلي نفسها بما كتبته عن نفســها وعن مشــاعرها وكان الأولى بهـا أن تستشــير من يعرف كـيف يتصرف فى مـثل هذه الحالات.. إن هذا هو رأيى فى المشكلة ومن حقنا عليك نشره بدون اختصارات وأنت دائما تحترم آراء قرائك ونحن منهم.



□ هذه هي الرسالة الخطيرة التى تلقيـتها ضمن رسائل عديدة تعـلّق علي قصة «صـاحبـة العمـارة» وهى رسالة

مفزعة بكل معنى الكلمة سواء أكان - ما تشير إليه من «تدبير إجرامي» - جادا وحقيقيا، أم مجرد تعبير عن رغبات مكبوتة. وموقف طبقي حقير من البشر.

فإذا كانت الأولى فهي جريمة اتفاق جنائي على جريمة بشعة لا أجد وصفا لائقا بها.

وإذا كانت الثانية فهي تعبير «جنائي» أكثر خطورة عن حالة رهيبة من التفسخ والعدوانية والانحطاط.. لا أجد أيضا وصفا لائقا بها.

وفي كلتا الحالتين فهي جريمة سواء أكانت جريمة تدبير أم جريمة «تفكير» ولعل جريمة التفكير أخطر لأن التدبير يمكن أن يفسد.. ويمكن أن يتراجع عنه أصحابه خوفا من العواقب.. أما جريمة التفكير وجريمة الانحراف الفكرى فمن الذى يستطيع أن يرد أصحابه عنه؟.. ومن الذى يستطيع أن يقوّم ما اعوج من نفسيات ومشاعر هؤلاء وأمثالهم تجاه البشر؟.

إنني قد لا أصدق هذه المؤامرة التي يتحدث عنها كاتب الرسالة لكنني أصدق بالضرورة بعض ما كتبه عن نفسه وعن أشقائه الذين يكره بعضهم بعضا ويفرحون في مصائب بعضهم البعض. وأرى أن مثل هذه «الشخصية المريضة» إن كانت الصورة صادقة - لا يمكن أن تفرز سوى هذا التفكير الاجرامي وسوى هذا الشعور «بالاستعلاء» الحقير على البشر لمجرد أنهم «سكان» علما بأن ٩٩٪ من سكان الأرض هم بالضرورة سكان! ولعل والدك رحمه الله الذى ترك لكم هذه العمارة لكي تشعروا بالاستعلاء على

سكانهـا كـان بالضـرورة «سـاكـنا» فى مكان مـا قـبل أن يشترى هذه العمارة!.

إن من غيـر المجدى بالطبع أن أناقش صـاحب مثل هذه العـقليـة.. ولا أن أفكر فى أن أطالـبـه بأن يصـحـح نظرته للحياة وللبـشر أو حتى لإخوته الذين قد يكون مـغاليا فى تصويـرهم جميـعا على هذا النـمط العجيـب من «الخراب النفسى» ولا أريد أن أستطرد طويلا فى الرد على كاتب هذه الرسالـة.. لكنى أحس بعد أن قـرأت رسالته.. أننـى مدين بالاعتـذار للسيدة الأرملة كـاتبة رسالة الأسـبوع الماضى.. والتى قسوت عليهـا كثيرا لأنها عبـرت عما فى صدرها من مشاعـر مكبوتة تجاه سكان بيتهـا.. فهى فى النهاية أرملة وحيـدة وتتحمل مسـئولية ٦ أبناء وتعانى من صـعوبات الحياة.. وربما فـاض بها الكيل فعبرت عمـا جاش صدرها ببعض العبارات الطائشة التى قد لا تعنيها حقيقة.

أما أنت يا أيهـا المهندس العزب الشاب.. الغنى جـدا كما تقول.. ماذا أقول لك؟ لقد خشيت غير مشكور علىّ من الملل وأنا أقرأ رسالتك لكنك لم تخش أن تنفجر بعض شرايينى مما أقـرأه ولم ترع الله ولـم تخـشـه فى تفكيـرك الاجـرامى هذا.. فأى حياة هذه وأى قيم فاسدة تؤمن بها ؟

٢٣

نداء العقل

اعتدت أن أقـرأ فى مقدمة رســائل بعض قراء البريد عـبارات تقليدية تؤكـد لى فى البداية أنني رغم ما قرأت من مشاكل سوف أقرأ فى السطور التاليـة مشكلة لم تعرض لى مــن قبل ولم تخطر لى على بال.

ولأنى فقدت منذ زمن طويل ومن كـثرة ما لمست من هموم

البشر قـدرتي على «التعجب» أو «الاستـغراب» لأي شئ فإني أتجاوز هذه العبارة عادة متوقعا أن تكشف الرسالة في النهاية عن مشكلة كـمشـاكل البشر الذين تتـشابه همـومهم في أغلب الأحيـان.. لكن هذه الرسـالة «فاجـأتنى» بالفعل بأنني مـازلت قادرا على التعجب!.

تقول كلمات الرسالة بعد حذف «العبارة التقليدية» :

«إني يا سيدى أنظر حولي فأرى الناس يشكون من مشاكل عديدة لكن ليس من بينها مشكلة كـالمشكلة التى أعيشـها الآن.. فـأنا موظفـة جـامعـيـة في الأربعين من عـمرى.. زوجـة وأم وزوجي يشغل منصـبا علميـا كبيـرا ولى ابنتان فى بداية سن الشباب تدرسان في إحدى الكليات وصورة أسرتى من الخارج تقدم للناس صـورة لامعة فـأنا موظفـة محتـرمة وزوجي في منصب مرموق وابنتاى طالبتان متفوقتان في دراستهما وعلى خلق طيب وزوجي والحمـد لله زوج مثالي وإنســان ممتاز بكل مـعنى الكلمـة هادىء الخلـق لا يثـور ولا يغـضب.. ولا ينطق بكلمة جارحة لأحد وهو أيضا محبوب من كل زملائه ومعارفه لولا.. حبـه العجـيب لشراء الكتـب!» ستقـول لي انها مـشكلة صغيرة فأقول لك ليس من يسـمع كمن يرى فتفضل بزيارتى لتـعرف انهـا ليست مـشكلة صـغيـرة وإنما هى مشكلة تهـدد حياتي الزوجية وحياة ابنتيّ ومستقبلهما بالخطر.

فـزوجي يا سيـدى مصـاب والأمر لله «بداء» شـراء الكتب والاحتفاظ بها.. الكتب التى يحتـاج إليها والتي لا يحتاج إليها.. والكتب التى سـيـقرأها والكـتب التى لن يفض غـلافهـا.. وهو يشترى الكتب بلا تمييز ويـرصها على الأرض فى كل شبر من

الشـقة ولو زرتني لما اسـتطعت أن أجـد مكانا أسـتقبلك فيـه فالكتب بربطاتهـا تغطي جميع جدران الشقـة من الصالون إلى الصالة إلى غرفة الطعام إلى غرفة نوم الأولاد إلى غرفة نومي إلى المطبخ إلى جزء من الحمام.. صفوف صفوف بارتفاع قامة الرجل، وهي صف أول وصف ثان وصف ثالث كأنهـا جدران سميكة أمام جـدران الشقة وقد امتلأت بهـا شقتي التي أعيش فيها خـلال السنوات الأخيرة بعد أن امتلأت بها غـرفة الغسيل على سطح العمارة التي نقيم بها. فـبدأ يخزن الكتب في شقتي وبدأ عذابي معها. لقد استعنت بصديقة تعمل مهندسة معمارية طلبت منها زيارتي ورؤية هذه الكتب لأني قد بدأت أخشى على الشقة من الانهيار من ثقل مـا تحمله فجاءت الصديقة وروِّعت بما رأته ثم أخرجـت ورقة وقلما وآلة حـاسبـة وراحت تجري حسـاباتها وتقديراتهـا ومحاولاتـها لإحصـاء عدد الكتب.. ثم قالت لي انها تقـدر وزن هذه الكتب بحوالي ٢٥ طنا.. وأن هذا الثـقل يمكن بالفعل أن يهـدد سلامـة الشقـة على المدى الطويل بالخطر .

لقد كنت في بداية حياتي الزوجـية أضيق قليلا بهذه الكتب لكني كنت في النهـاية أعتبرها مـشكلة جانبيـة يمكن احتمـالها خاصة وزوجي - فيما عدا ذلك - زوج مثالي لكن الأمر اختلف الآن فلقد كـان زوجي عندما تزوجنا في بداية حياته يتـقاضى ثلاثين جنيها وكنت أتقاضـى عشرين جنيها كان ينفق من دخلنا المشتـرك حوالي ١٠ أو ١٥ جنيـها على شراء الكـتب فلا أهتم بذلك كـثيـرا ثم واصل دراسـته وحـصل على أعلى الدرجـات العلمية وشـغل منصبا هاما وزاد دخله فزاد إنفـاقه على شراء

الكتب حتى أصبح ينفق حوالى مائة جنيه كل شهر على شرائها ولم أتوقف عند ذلك كثيرا رغم بعض المضايقات التقليدية كأن أطلب منه شراء شئ لى فيخرج ليشتريه ثم يعود بعد ساعات لا بما طلبت وإنما «برصة كتب» وقد نفدت نقوده فأثور وأغضب ثم أنسى بعد حين أو كأن أضيق بالكتب التى بدأت تتكاثر فى شقتى حتى ضيقت علىّ حرية الحركة. وأعاقت ابنتي عن اللعب، لكن الأمر تطور تطورا خطيرا خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة فقد زاد إنفاقه على الكتب حتى أصبح يبتلع تقريبا كل ما يتبقى من دخله بعد دفع الايجار!.. «لماذا»؟ لا أعرف إن بعض الكتب التى اشتراها لم «تفك» عنها أربطة الدوبار التى ربطها بها البائع منذ عشر سنوات حتى الآن.. ومع ذلك فهو يشترى المزيد والمزيد.. وبعض الكتب التى يشتريها لا يصدق أحد أنه ممكن شراؤها فهو يشترى الكتب التى تدرس فى كلية الطب وهو ليس طبيبا ولا طالب طب. ويشترى و «يرص» فى البيت حتى فتحت عينى ذات يوم فوجدت نفسى أعيش فى نصف مساحة الشقة التى تزوجت فيها أما النصف الآخر فقد احتلته الكتب القديمة والجديدة، ووجدت نفسى أخجل من مظهر البيت الرث لأننا لم نجدد فيه قطعة أثاث واحدة خلال عشرين سنة.. ولأنه لا مكان للضيوف حتى فى الصالون وتفاقم الأمر بعد أن كبرت البنتان وبدأت مطالبهما تزيد وبدأت تطلعاتهما تكبر أيضا وقد بدأت البنتان تتساءلان: لماذا يا أمى لا نعيش حياة لائقة بمركز أبى وبمركزك.. وبدخل أسرتنا؟ فلا أجد جوابا شافيا.. أو تتساءلان: لماذا يا أمى يبدو أبى «مبهدلا» دائما لا يغير البدلة

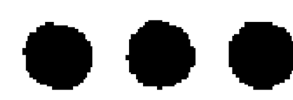
التى يرتديها لعدة سنوات ولماذا لا نجد ملابس لائقة بنا.. وغيرنا بدخل أقل من دخلنا يحيا حياة أفضل من حياتنا.. ويرتدون ملابس أفضل من ملابسنا.. ولديهم سيارة وليس لنا سيارة.. ولهم حياة اجتماعية ونحن لا نستطيع أن نخرج فى «فسحة» مرة كل شهر لقلة النقود.

وأفقت على الواقع الأليم الذى أعيشه اكتشفت أننى أنفق مرتبى كله على الأسرة.. أما زوجى فيدفع بعض الضروريات ثم يضيع مرتبه كله على هذه «الرصات» من الكتب. اكتشفت أننا نعمل منذ عشرين سنة ودخلنا كبير ولم ندخر مليما واحدا للبنتين استعدادا للمستقبل. أو لزواجهما واكتشفت أننى لم أخرج معه فى مشوار أو فسحة كأى زوجين منذ سنوات لسبب غريب هو اننى بصراحة أصبحت أخجل من ملابسه الرثة ومظهره الذى لا يليق به ولا بى. أما هو فلا يهمه شئ.. وليس لديه رد على انتقادات الأقارب والأصدقاء لمسلكه ومظهره سوى انه «جهل» منهم! وتكهربت حياتنا.. مع مطالب البنات واستمرار زوجى فى أسلوب حياته حتى عجزت عن التصرف. هل تعرف من هو أعدى أعدائى الآن؟ إنه سور الأزبكية الذى تباع عليه الكتب القديمة. هل تعرف ما هى أتعس أيامى كل سنة؟ إنها هذه الأيام «المباركة» التى يقام فيها معرض الكتاب الدولى فى القاهرة والذى تفرحون به و«تهللون» له كل سنة!.

إن أيام هذا المعرض هى أيام الخراب بالنسبة لى.. فهو يشترى منه بكل ما فى يده من نقود ولو كان له رصيد فى البنك لسحبه كله خلال انعقاد معرض الكتاب لعنة الله عليه! ستقول لى طبعا ان الثقافة شئ مهم.. وهواية شراء الكتب

أفضل من أشياء أخرى، فأقـول لك انها ليست ثقافة.. صدقنى فزوجى بعـد كل هذا العذاب أشـرف على الخمـسين ولم يكتب مـؤلفـا واحدا ومـازال شــارعـا فى تأليف أول كـتـاب له منذ سنوات، وهو لا يقرأ هذه الكـتب بل بعضـهـا.. أو القليل منها.. وهوايته ليست قراءة الكتب وأنما ترتيـبها ورصها وهو يمضى ٤ أو ٥ ســاعـات فى ذلك كل يوم ولا يمنع ذلك من أن يغـيـر النظام كل حين ثم انه يشتـرى من الكتاب الواحد أحـيانا ٤ أو ٥ نسخ.

إننى أكتب لأقول لك ان سفينة حياتى تتعثر الآن بسبب هذه المشكلة وإننى لأول مرة فى حياتى قد بدأت أرفض هذه الحياة وأطالبه بـأن يرعى مستـقبل ابنتـيه وأن يوفـر لنا حيـاة لائقة خاصــة وقد تجـمع لديه ما يزيد على ٣٠ ألف كـتاب سـيفنى العـمر قـبل أن يُفنيـها.. وعـلاقتنا الآن مـتـوترة لهذا السـبب ومطالب ابنتى تؤرقنى.. ومسـتقبلهما يؤرقنى.. وتسـاؤلاتـهما تعذبنى، وقد طالبـته بأن يوجه دخله لأسرته ولرفع مـستواها وبالكف عن شراء الكتب بلا ضرورة فيعدنى ثم يخلف وعده.. ثم يقول لـى انه «عاجز» عن التـوقف عن الشراء فـهل أنا على حق فى موقفى؟ وبماذا تنصـحنى أن أفعل؟.



□ ولكاتبـة هذه الرسالة أقول : إن مـشكلتك يا سـيدتى ليسـت بالفعل مشـكلة صغيـرة وإنما هى مشكلة خـطيرة تعانى مـنها أسر عـديدة لكن رسالتك تعـبر عنهـا بصورة فـريدة بالفعل. فـمشكلـتك هى إحدى صـور مشكلة سـوء

توزيع دخل الأسرة على متطلباتهـا.. وهى لا تختلف كثيرا عن مشكلة أسرة نجار المسلـح مثلا الذى يكسب ٦٠٠ جنيه كل شــهـر فـينفق منهـا على طعــامــه هو وحــده وشــرابه ومكيـفاته ونزواته ٥٠٠ جنيــه وينفق المائة البــاقيــة على أسرة من ٥ أفراد تعيش فى أدنى مســتوى اجتماعى ممكن. إنهـا نفس المشكلة مع فــارق المســتــوى العلمى والثـقــافى للأســرتين.. ومع الفارق فى وجـوه الإنفاق.. وهى مــشكلة ضــعف إحســاس رب الأســرة بالمسـئوليــة عن أســرته أو بمعنــى أصح عن «رعـــيتـــه» لأن رب كل أســــرة هو راع ومسئول عن رعــيته، وأولى مسئوليــاته أن يقيم العدل فى مملكته الصـغـيرة هذه، والعدل يتطلب أن يوزع دخله على أسرته توزيــعا عادلا يلبى احــتيــاجاتهــا ويحقق مطالبــها الضرورية ويوفر لها الحياة اللائقة. والاعتدال فى كل شئ هو قمة الحكمة.. ولو أتيح لى أن ألتقى بزوجك لما نصحته بألا يشتــرى الكتب، لأن الكتب لمن يعمل فى مــجاله هى من الضروريات وليست ترفا، وإنما لنصحته بإلا يشترى منها إلا مــا يحتــاج إليه فـعــلا وما يتناسب مــع إمكانياته بعـد توفير الحــياة اللائقة لأسرته، ولنصحــتــه أيضا بأن يكون عادلا مع أسرته حتى فى المساحة التى يخصصها لكتبه فى مسكنه فمن حقه أن تكون له مكتــبة فى إحدى غرف الشقة لكنه ليس من حقه بالتأكيد أن يخزن ٢٥ طنا من الكتب فى شقة سكنيــة ضيقة لا يقرأها ولا يفك أربطتهــا. ولنصحته أيضا بأن يتخلص مما لا يحــتاج إليه من هذه الأطنان ولو أراد أن يؤدى خــدمة ثـقافـيــة جليلة للأجــيال الــصاعـدة

لنصحته بالتبرع بهذه الكتب الزائدة لمن لا يستطيعون شراءها من الشباب فيساهم في تثقيفهم وفي تحقيق الاستفادة من هذه الكتب العاطلة.. وفي ذاكرتي تجربة مماثلة مع أديب مثقف ضاق مسكنه بكتبه فكتب إلي عن استعداده لإهدائها لمن يرغب في القراءة والاطلاع من الشباب فحققت رغبته فلم تمض أيام حتى كانت طوابير الشباب تقف أمام باب شقته فوزع كتبه عليهم جميعا ووزع خلال أيام آلافا من الكتب فأفاد الكثيرين وأفاد الثقافة بتصرفه النبيل.

أما أنت يا سيدتي فإني أنصحك بأن تكوني رفيقة به رغم كل شئ وبألا تفرطي فيه وبأن تواصلي «الكفاح» معه للحفاظ على الأسرة بمزيد من التفاهم والتضحيات المشتركة من الجانبين فمشكلتك رغم غرابتها ليست نادرة الحدوث وهي مشكلة زوجات كثير من المشتغلين بالعلم والأدب والثقافة.. «والبيوت أسرار» كما يقولون! فقط عليك أن تضاعفي من جهدك لإقناعه بضرورة أن يوجه معظم دخله للإرتفاع بمستوى أسرته وتأمين مستقبلها.. وبضرورة ألا ينسى نصيبه من الدنيا فالمظهر اللائق هو أيضا من الضروريات له ولكل أفراد أسرته والجمال قيمة ينبغي الحرص عليها كقيم الثقافة والعلم والمعرفة، وحبذا لو استطعت إقناعه برفق وهو العالم المثقف بأن ما يعاني منه ليس «حالة ثقافية» بالمعنى المعروف.. وإنما هي «حالة مرضية» لاشك فيها هي حمى الشراء التي يعرف المتخصصون عنها الكثير ولعلهم يحللونها لنا تحليلا

علميا مفـيدا. لذلك فمن المفيد أن يقتنع بضـرورة استشارة الطبيب النفسي وأنا واثق انه سوف يسـتجيب لنداء العقل ونداء العدل لأنه كما تقولين أنت زوج مثالى وإنسان ممتاز من كل الوجوه «لولا»! وليست هناك حياة خالية من «لولا» هذه يا سيـدتي لكن صورها وخطورتهـا تختلف من حـياة إلى أخرى.. وأخيراً : أليس طلـب العلاج وإقناعه به أجدى من أن تعلني «الحداد» عند افـتتاح معـرض الكتاب الدولى كل سنة؟.

٢٤

أشياء لا تباع

تذكرت كلمة الملياردير الأمريكى الشهير بول جيتى وأنا أقرأ هذه الرسالة «إن المال لايستطيع شراء الصحة ولا السعادة ولا الحنان ولا سهولة الهضم»!.

وبالرغم من أن من يحاضروننا عادة فى عدم جدوى المال هم دائما من أصحاب المليارات الذين أفنوا العمر فى جمعه فإن

الكلمة صـادقة ولاذعة، ولو آمن بهـا الكثيرون ومـنهم قائلوها لخلت حياة البشر من مشاكل عديدة .

أمَّا الرسالة فتقول كلماتها :

اسمح لى بأن أبدأ قصتى بدون مقـدمات. وبصراحة فأنا لا أكتـبها لك لأنى أريد منك حـلا لها ولكنى أكـتبهـا لكى تقرأها قارئاتك من صـاحبات المشكلات فربما هونت عليـهن مشكلتى مشاكـلهن! فأنا يا سيدى فـتاة عمرى ٣٥سنة من أسـرة غنية ميـسورة الحال عندى كل ما أريد.. وكـل ما تشتهـيه النفس ـ وأستـطيع أن أشتـرى كل ما أرغب فـيه إلا شـيئا واحـدا.. هو السعادة !.

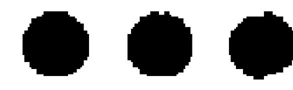
فـأنا رغم بلوغى سن الخـامـسة والـثلاثين مـازلت آنسـة والسـبب فى ذلك هو أن الرجـال يتـجاهـلون تماما أن الـفتـاة البدينة لهـا أيضا قلب وروح وإحسـاس وأنها أنثى كأى فـتاة رشيقة! والمشكلة أننى بدينـة جدا، وليس بيدى لكنها إرادة الله وقد لجـأت إلى أشهر أطباء عـلاج السمنة وأنفقت الكثـير على العلاج فكان وزنى ينخفض بسرعة غـريبة حتى أصبح كغصن البـان، لكنه لا يلبث أن يعود مـرة أخرى وبسـرعة مـذهلة إلى وضعه السـابق بل ولأكثر منه أيضا. وأحـمد الله أنى لم أصب حتى الآن بمرض من أمراض السمنة، لكنى منذ عامين ظهر فى ساقى اليمنى ورم تضخم حتى أصبح فى حجم البطيخة وثبت أنه ورم حميد والحمد لله فـاستأصلته وأصبح فى إمكانى بعد الجراحـة اتباع رجيم خـاص للتخسـيس.. لكن بلا فائدة؟ لأن رأى الأطباء أن الريجيم وحده لايفـيد، وأنه عقب الزواج سوف تتغير هورمونات جسـمى وينخفض وزنى، أما قبل الزواج فلا

فائدة مـن الرجيم، لكن أين هو الرجل الذى يصـدق ذلك؟ وأين هو الرجل الذى يقبل الـزواج من فتاة شديـدة البدانة على أمل أن ينخفض وزنها بعد الزواج .

إنك لن تصـدق أنه إذا أخطأ شـخص وتقدم لخـطبتى فـإن أهلى هم الذين يضـعون العراقـيل أمامه بدعـوى أن من يطلب الزواج من فـتـاة بدينة مثلـى لابد أن يكون طامعـا في مـالى، وتنتهى القـصة بالرفض، مع أنى والله بشهادة الجـميع أحمل وجها جميلا وروحا طيبـة مرحة ولم أحمل طوال حياتى لأحد سوى الحب ولا أكره أحدا حتى الذين يهينوننى بقصد أو بغير قـصـد فـإنى لا أكـرهـهم.. وأتلمس لهم الأعـذار وأقـصى مـا أستطيع أن أقوله فى مثل هذه الحالة : الله يسامحهم .

إننى أرى حـبى فى عـيـون الناس الذين من حـولى والذين أتعـامل مـعـهم، لكنى رغم ذلك ينقـصني شيء هام وأشـعـر بالحزن على نفسى والبنات الصغيرات قد تزوجن وأنجبن وأنا مـازلت كمـا أنا تصد عنى سـمنتى راغـبى الزواج، إننى والله أحب هؤلاء الفتـيات اللاتى تزوجن قبلى وأحمل الهـدايا إليهن فى الزفـاف وعند الإنجاب وأحمل أطـفالهن فوق صـدرى لكن والدى لا يرحمنى فهـو يعتبر عدم زواجـى مأساة.. وهو يطلق علىّ أسماء الحـيوانات السمينة.. وأتقبل الموضـوع بروح عالية وأضـحك أمامـه لكنى مـا أن أختلى بنفـسى حـتى أبكى، أننى أعيش آلامى ولا أحـد بجوارى سوى زوجـة أبى الحنون التى أجد فى حنانهـا وحبها مـا يعوضنى عن كثيـر من آلامى فهى إنسانـة عطوف كريمة تضـمنى إلى صدرها فـأشعر أنـها أمى الحقيقـية، لقد أكملت دراستى الثانوية ولم أدخـل الجامعة لكى

لا أتعرض لســخرية الزمـيلات والزمــلاء وقد كتـبت إليك هذه الرسالة لكى تقرأها كل فـتاة فتشكر الله سبـحانه وتعالى على ما أنعم عليهـا به من رشاقة وجمال وزواج أو خطبـة وليقرأها كل شاب ليـعرف أن السعـادة ليست فقط مع الفـتاة الرفيـعة وأنها قد تكون أيضا مع فتاة سمـينة. غفر الله لكل رجل يبتعد عن فتاة لا لشىء إلا لسمنتهـا.. وغفر الله لمن لا يتصورون أن للفتاة البدينة قلبا ومشاعر وعاطفة !.



□ هذه هى الرســالة التى تلقيـتها والـتى أنشرها تلبـية لرغبة كاتبـتها لكى تقرأها ـ كما تقول هى ـ كل فتــاة فتجد فيها ما قد يخفف عنها آلامــها وما قد يدفعها لأن ترضى عن حيـاتها وعن نفسهــا.. وليقرأها أيضا كل رجل ليـعرف أن السعادة لم تكن يوماً فى مـقاسات حجم الزوجة، وإنما فى صفاء الروح وطيبة القلب وفى الإخلاص والعطاء المتبادل. لقد أحببت كاتبة هذه الرســالة كثيرا دون أن أراها لصدقها وتلقائيتها وسمــاحة أخلاقها.. وأحببتها أكـثر لطيبة قلبها التى تدفعها لـحب الآخرين حـتى الذين أساءوا إليها وآلموها بالسخـرية، وأحبـبت كثيـرا كلماتها الصـادقة الطيـبة عن زوجة أبيـها وأعترف بأنى لم أقـرأ لها مثـيلا من قبل فيـما يصلنى من رسائل .

إن كل هذه اللمحات تؤكد يا صديقـتى أنك فتاة محبوبة من الجمـيع، إذ يستحيل أن تحـملى كل هذا الحب للآخرين بغـير أن يبـادلوك حـبا بـحب.. ولا يمكن أن تكون لك هذه النفس الشفافة الصافـية بغير أن تجذب القلوب إليك، لذلك

فأنا مندهش من أنك لـم تلتق حتى الآن بمن يستـحقك، ولا أصدق أن البـدانة وحدها يمكن أن تقف في وجه سـعادتك مع جـمالك وثرائك وخـفة روحك وطيـبة قلبك. فـإذا صح ظني فلابد أن هناك أسبابا أخرى قد يكون من أهمها شكوك أبيك فـيمن يتقـدم إليك وإحسـاسه بأن كل راغب فـيك هو راغب في مالك.. وهو رغم سلامـة دوافعه في ذلك مخطىء إلى حـد كبـير، إذ أنه بذلك يحكـم هو نفسـه عليك بأنك لا تستـحقين أن يتقدم إليـك خاطب إلا إذا كان راغبـا في مالك وهو إحـساس ظـالم لو تسلط على أب لما زوج ابنتـه أبدا، لذلك فـإنه مطالب بالـتخلـي قليـلا عن شكوكـه.. ومطالب أيضـا بقدر أكـبر مـن الواقعـية لكي تمضي السفـينة إلى الأمام.. وأكاد أقول أنه مطالب بشيء من التضحية وبشيء من الحكمة التي تغلب سعادة ابنته على أية اعتبارات أخرى .

إذ مـاذا يسـاوي المال بلا سـعـادة ولا هناء ولا حـيـاة طبيعية؟ إن الحـياة رحلة واحدة لا تتكرر ومن السفاهة أن نبددها في معاناة لا مبـرر لها إذا كنا قادرين على تجنبها. إنني لو التقيت بأبيك لقلت له عل الفـور وسيفهم إشارتي : يا رجل اخـتر لابنتك زوجـا لائقا قبل أن يـنتهي العـمر في المعـاناة.. وما أكـثـر من يتمـنون هذه الفرصـة ومـا أكثـر الزيجـات التي أنبـتت الحب من خـلال العـشـرة ولقلت له أيضـا.. انس ثروتك قليـلا فـهي لا تساوي شـيـئـا مقـابل سعـادة ابنتك كمـا أنك لن تصطحـب هذه الثـروة معك إلى العالم الآخـر، فدع ابنتك تتمتع بما أعطاك الله في حـياتك وكن راعـيـها وحـاميـها وهاديـها إلى الاخـتـيـار السليم والسعـادة .

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٢٥

رسالة من حجرة الصالون

قد يرى البعض في هذه الرسالة «حالة خاصة» لاتستحق الاهتمام لكنى على العكس من ذلك أرى فيها «نموذجا» للخطأ الصغير الذى يمكن أن يهدم صرحا كبيرا فى بعض الأحيان.

كما أرى فيها صورة لما يحدث أحيانا فى كثير من «البيوت» مع اختلاف بعض التفاصيل فى هذا الزمن العجيب. تقول

كلمات الرسالة :

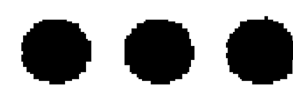
«أكتب لك هذه الرسالة من حجرة الصالون فى شقتى حيث أعيش وأبيت منذ فترة غير قصيرة مع طفلى الوحيد بعد أن هجرت زوجى وتركت له غرفة النوم وأصبحنا منفصلين تحت سقف واحد. أكتب إليك لأستشيرك فيما جرى لعلك تساعدنى على سلوك الطريق الصحيح .

والحكاية يا سيدى أننى زوجة وأم لطفل.. وزوجى شاب مقبول جمعتنى به المشاعر الطبيعية بين زوجين. ولا اعتراض لى عليه فى شىء سوى أنه حاد المزاج جدا وعصبى جدا ومتحمس جدا فى كل شىء.. ومن سوء حظى أنه من عشاق كرة القدم ومن المشجعين المتعصبين لناد قاهرى كبير، وهو يحرص على مشاهدة كل مباريات الكرة فى التليفزيون بالبيت وخاصة مباريات فريقه. وهنا تبدأ متاعبى.. فهو عند مشاهدة المباراة يفقد السيطرة على نفسه وتخرج منه ألفاظ بشعة تخدش الحياء وألفاظ سوقية رهيبة لايتصور أحد أنها صادرة عنه وهو الشاب المثقف المتعلم فإذا هزم ناديه أسرعت بغلق النوافذ وإحكام الأبواب لكى لايسمع الجيران هذه الألفاظ النابية.. ويسوء حكمهم على أخلاقياتنا ومستوانا الاجتماعى .

وبعد المباراة يبدو منهكا كأنه كان يلعب المباراة بقدميه فيتصبب العرق منه وتتلاحق أنفاسه! والكارثة الكبرى تقع حين يهزم ناديه.. ومن سوء حظى وحظ طفلى الوحيد أن ناديه قد هزم هذا الموسم ٣مرات فتخيلوا حالى وما عانيته فى كل مرة، من تشنجات عصبية وشتائم وسخائم تصم الآذان أثناء المباراة.. ثم «نكد» وجو صامت حزين بعد المباراة كأننا فى

مأتم! قد تقول إنها مشكلة ثانوية لاتستحق كل هذا الاهتمام لكنى أقول لك أن هذه المشكلة التافهة هى التى غيرت مجرى حياتى الآن منذ أكثر من شهر. فقد حاولت كثيرا إصلاحه وتهذيبه ومنعه من التلفظ بهذه الألفاظ السخيفة لكى لا يعتاد طفلنا على سماعها.. ولكى لا تتسرب إلى الجيران خاصة وهو الشاب المثقف المهذب. فلم تجد محاولاتى صدى. فأصبحت عندما تذاع مباراة أجلس بعيدة عنه مع طفلى خوفا منه ومن هياجه وحتي نتجنب ثورته وحزنه وغمه ونكده الذى يستمر بعد المباراة إلي أن وقعت الواقعة التى لم تكن فى حسبانى أبدا.

ففى إحدى المباريات كنت لسوء بختى قد قررت أن ألفت نظره إلى ما يفعله فقال لى «مالكيش دعوة» ويشاء القدر أن يحرز الفريق المنافس هدفا فى فريقه فانقلب كالثور الهائج لا تهدأ له حركة يفرك يديه بعنف ويشد شعره فانسحبت من لسانى وقلت له : مش معقول كده. ده مش تشجيع ده. فإذا به يستدير نحوى فى انفعال شديد متشنجا ثم .. ثم .. ثم .. ثم يبصق على وجهى! هل تتخيل ذلك يا سيدى.. يبصق على وجهى أنا زوجته وأم طفله.. وشريكة عمره، لأننى فقط لفت نظره إلى ما يفعل. أعرف أنه فعل ذلك فى لحظة انفعال.. لكنى لا أستطيع أن أغفر له جرحه لكرامتى على هذا الشكل المهين ولهذا السبب التافه.. إننى جريحة الكرامة يا سيدى أعانى من آلام مبرحة فى قلبى ومشاعرى ولا أستطيع تصور فكرة العيش معه مرة أخرى رغم محاولاته العودة إلى.. فهل أنا على حق يا سيدى ؟



□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نعم يا سيدتي أنت على حق في غضبك لكرامتك وفي رفضك لهذا الأسلوب المجنون في «الاستمتاع» بمشاهدة مباراة كرة. وأنت على حق أيضا في استنكارك لهذه الألفاظ النابية.. ولهذه العصبية.. وهذه التشنجات خلال مشاهدة مباراة كرة كأن مايجرى فيها يتوقف عليه مصير العالم .

أنت على حق في كل ذلك وزوجك مخطيء في مزاجه العصبي الحاد وقد أجرم في حقك حين بصَق في وجهك من أجل ملاحظة عابرة خلال مباراة كرة.. لكنني ألفت نظرك إلى أن ما يعاني منه زوجك هو وباء منتشر في معظم أنحاء العالم وليس مقصورا على بيتك فقط. وكثيرا ما يتسبب في كوارث كبرى عامة وعائلية على السواء خاصة في الملاعب العامة حيث تتجمع أعداد غفيرة من البشر الهائجين المتحمسين.. فتحكمهم نفسية «الحشد» وهي نفسية سريعة الإلتهاب سهلة الاستثارة يمكن خضوعها لمؤثرات خارجية كما يمكن أن تنجرف إلى العنف بسهولة، وفي هذا الحشد يمكن أن يخرج الأفراد عن أطوارهم بسهولة وتصدر عنهم غالبا تصرفات لا تتسق مع نمط سلوكهم العام في الحياة ولا مع أنماط شخصياتهم الطبيعية. ومشكلة زوجك هي أنه يتفرج على مباريات الكرة في شقته وحيدا بنفسية هذا الحشد الهائج سريع الالتهاب فتندفع القذائف من فمه.. ويمكن أن يصدر عنه رد فعل عنيف لأى تصرف أو ملاحظة كما حدث معك للأسف

وترتب عليه تعكر صفو حياتكما.. وأنا بهذا الكلام لا أدافع عن تصرفه وإنما أفسره فقط .. بل إنني في الحق لا أحترم من يخرج عن طوره لمثل هذا السبب غير الجاد وأعجب ممن ينفعلون أو يحزنون أو يثورون لمباراة كرة أو ما أشبه ذلك من الأسباب وأقول لنفسي دائما لو خلت الدنيا من كل الهموم والمشاكل والآلام لحق أن نحزن أو نتجادل ونتخاصم لمثل هذه الأسباب غير الجدية. ومع ذلك فلقد عكر خطأ صغير هو الانفعال خلال المشاهدة صفو حياة أسرة صغيرة.. وكاد يعرضها للخطر.. وهذا هو درس التجربة الذى ينبغي أن يتعلمه زوجك وأن يستوعبه.. فمعظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون.. وأنا معك فيما فعلت حتى الآن لكنى أسألك وماذا بعد؟.. إن هناك مبدأ قانونيا معروفا هو تناسب العقوبة مع الجريمة فلا يجوز أن يعاقب مخالف لإشارة المرور مثلا بقطع أذنه.. ولا أن يعاقب قاتل بدفع الغرامة. وأنت قد عاقبته بما فيه الكفاية حتى الآن وهو بالضرورة نادم لما بدر منه وراغب في إصلاح الأمر بينك وبينه.. فاقبلى اعتذاره هذه المرة على أن تكون المرة الأولى والأخيرة.. وتجنبى بقدر الإمكان مجادلته أو الاقتراب منه خلال لحظاته المتفجرة.. وأنصحك بأن تقدمي إليه قبل كل مباراة قرصاً مهدئا.. وكوبا من عصير الليمون وبمجرد أن يطلق الحكم صفارة البداية.. تسرعين «بالفرار» بعيدا عنه إلى ما بعد انتهاء المباراة!. وعجبى لما أقرأ وأسمع فى بعض الأحيان!..

أصدقاء على الورق

قصص واقعية من الحياة

٣٦

أهل القمة

« أنا إحدى قارئات بريدك الاسبوعى منذ زمن طويل.. وأغبطك على ما تناله من أجر من الله بسبب هذه المشاكل التى تعرضها.. شأنك فى ذلك شأن القاضى الذى تطرح عليه مشاكل الناس فيصدر حكمه فيها، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد لمحاولته الوصول إلى الحقيقة .

والواقع أنني أقرأ المشاكل التي تعرض في هذا الباب باهتمام شديد وأقارن بينها وبين مشكلتي التي أعيشها حاليا فأجدها جميعا تتضاءل أمام مشكلتي.. وهي مشلكة كثيرين غيري في هذا العصر الذي انقلبت فيه كثير من الموازين، فلقد تزوجت زوجي منذ خمسة وعشرين عاما وعشت معه طوال هذه السنين على الحلو والمر معا وأخلص كل منا للآخر إلى أقصى حدود الإخلاص.. وحرمنا أنفسنا من كل مباهج الحياة من أجل أن نعيش حياة شريفة أمينة في حدود مرتب زوجي الذي يتقاضاه من وظيفته وليس لنا مورد رزق آخر غيره، إذ أنني بمجرد زواجي رأى زوجي أن أتفرغ لبيتي ولتربية الأبناء، ومضت سنوات العمر ، وكان مرتب زوجي يكفينا وكنا راضين بحياتنا وليست لنا أية تطلعات، فالحياة محتملة. ونقص بعض الموارد يعوضه ما نُحسُ به من احترام الآخرين والجيران لزوجي سواء في العمارة أو النادي أو عند البقال.. فزوجي يا سيدي يعمل مستشارا بالمحاكم ومعروف بحسن السمعة والأمانة. ومضت سفينتنا هادئة نخطط لكل شيء في حياتنا.. ونتمكن كل سنة بالادخار والتدبير من أن نقضي شهرا بالاسكندرية ليستريح زوجي من عناء العمل المرهق طوال العام، وأحيانا كنا نمضي شهري يوليو وأغسطس وهما شهرا الاجازة القضائية بالكامل في أحد المصايف ونعود مع بداية الخريف متجددين مقبلين على الحياة والعمل .

كان هذا هو حالنا حتى دخل الأبناء الجامعة وتغيرت الدنيا من حولنا وحدث زلزال الانفتاح الاستهلاكي في المجتمع فسقط أناس من قمة المجتمع وصعد أناس آخرون.. وتغيرت

قيم عـديدة ومفاهيم لدى الناس والمجـتمع. ورغم خطورة هذا الزلزال إلا أنه كـان من الممـكن احـتـمـاله بشيء من التـدبيـر وبإجراء بعض التباديل والتوافيق واستبدال أطعمة بأطعمة الخ لكن الأخطر هو ما حدث بعد ذلك. فلقد أصبح أولادى وبناتى.. «أولاد المسـتشـار» الذين كـان يمضون فى الـطريق مـحـاطين بالاحـترام وتـقديرا لوالدهـم الأمين الشريف الـعادل.. أصـبح هؤلاء الأبناء هم سـبب تعاسـتنا الآن، فقد تـلفتوا حـولهم فى الجامعة وفى الحى الذى يقـيمون فيه وفى النادى.. فاكـتشفوا أنهم محرومون من كثير من مباهج الحياة، وأن أصدقاءهم من أبناء الجيران الذين لم يكونوا شـيئا مذكورا قد أصبـحوا فجأة وبلا تدرج من الأثرياء.. والمال يجـرى فى أيديهم جـريان الماء فى الغـدير وأصـبح أبناء الجـيـران فـجـأة ينفـقـون المال بل يبعثرونه فى الهواء باليمـين وبالشمال بلا حساب.. فى ملابس مسـتوردة غالية الثـمن البدلة منها بمرتب زوجى فى شـهرين ينكب خـلالها عـلى المكتب كل ليلة حـتى الفجـر أو يبـعثـرون نقودهم فى سـهرات وحـفلات لا سبب لهـا سوى الرغـبة فى حرق الفلوس .

وأكـثر من ذلك أن آبـاءهم جمـيـعا اشـتـروا لهم سيـارات فـارهة.. ثمن السـيارة منهـا يعـجز عـقلى عن عـده إذا وضـع أمامى، ولـيتهم فـعلوا ذلك واكتـفوا لكن هؤلاء الأبناء يـباهون أبنائى بما هم فيه من ثراء وسـعة ويتعجبون من حالهم! وفجأة انقلبت سعادتنا إلى تعاسـة.. فقد بدأ أبنائى يطالبون أباهم بأن يكونوا مـثل أصـدقـائهم.. فـإذا حـدثهم عن الرضـا والمركـز الاجتـماعى والشرف والاحـترام، قالوا له أن كل ذلك لايصـمد

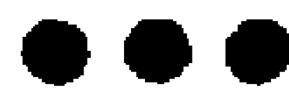
لشراء فستان لائق بإحدى بناتى لتذهب به إلى الجامعة! وأن آباء بعض زملائهم من غير تجار الانفتاح يعملون أعمالا إضافية بعد الظهر ويكسبون المال لكى يوفروا لأبنائهم الحياة الكريمة، فيسألهم زوجى : وماذا يمكن أن يعمل قاض من أعمال إضافية وذلك مخالف للقانون ولايرضاه ضميره، فيرد أبنائى : يستطيع أن يعمل «سرا» ـ وخذ بالك من كلمة سرا هذه ـ فى مكتب أحد كبار المحامين بعد الظهر فيحرر له المذكرات القانونية ويتقاضى الأجور العالية. فيتعجب زوجى من تفكير الأبناء ويعتذر لهم بأن هذا التصرف ممنوع قانونا وأخلاقيا، وأنه إذا كان يطبق القانون على من يخالفونه فأولى به ألا يخالفه، فلا يقنعهم ذلك منه .

وباختصار يا سيدى فإن سعادتنا التى بنيناها فى ٢٥ سنة من الكفاح تنهدم الآن على رؤوسنا من المناقشات اليومية فى هذا الموضوع الذى سئمناه والذى يؤلمنى ويؤلم زوجى غاية الألم، وقد وصل الأمر إلى تمرد الأبناء على أبيهم.. حتى أصبح يعانى من آلام نفسية رهيبة، فأواسيه وأخفف عنه بأن ذلك هو حال الشباب فى كل زمان.. وأنهم متعجلون لتحقيق كل شىء فيهز رأسه موافقا، لكنى أسمعه بعد ذلك يبكى فى صلاته ويتهدج صوته وهو يدعو لأبنائه بالهداية.. وأحيانا أسمعه وهو يدعو على نفسه وأبنائه ويتمنى لو لم يكن له أبناء، وأنا مشفقة على زوجى من أن يهتز إيمانه أو يفقد وقاره وهدوءه اللذين يتميز بهما، وأخشى أن يؤدى تطلع أبنائى إلى رفاقهم من أبناء الطبقة الجديدة إلى أن يقعوا فى الهاوية أو يتجهوا إلى طريق الخطأ الذى كافحت مع زوجى لإبعادهم عنه بالتربية

السليمة والإرشاد والتقويم.

ولا تعتقـد يا سيدى أننى كنت سلبيـة فى هذه المعركة التى تهدد أسرتى وسعادتى ..

فقد وقفت إلى جانب زوجى فى موقفه.. وساندته وكثيرا ما نصحت أبنائى فى غيابه بأن يقدروا كفاحه وتعبه وشقاءه وأن يقدروا له أمـانته وشرفه.. فكان كـلامى لا يعجبهم.. وأحـيانا وصلت حـدة المناقشـات معـهم إلى الرد علىّ بحـدة وفظاظة.. وأخفيـت كل ذلك عن زوجى لكيلا تزداد تعاستـه ولقد ترددت أن أكتب إليك عن هذه المشكلة لحـساسيـتها الشديدة بالنسـبة لزوجى ووضعه ومركزه.. لكنى استخرت الله وقررت أن أكتب لك عنهـا لأنها ليـست مشـكلة زوجى وحده وإنما مـشكلة كل الشرفاء من العاملين فى هذا المجـتمع الذى هبت عليه عواصف الانفتـاح فاقتلعت الكثـير والكثيـر من القيم وزلزلت كثـيرا من الأوضـاع.. إننى أكـتب إليك لأسـألك ماذا أفـعل.. مـاذا يفـعل زوجى فى وجه هذه العاصفة؟.



□ ولكاتبة هذه الرسـالة أقول : سأقول لك يا سـيدتى .. أو «ياســيدى» بمـعنى أصح لأنى أحس مـن أسلوب هذه الرسالة «القـضائى» ومن خطهـا «الرجالى».. أنك رب هذه الأسرة ولست «ربتهـا على الأغلب» فلتكن من تكون.. لكنك بلا شك «تثـير قضـية هامـة وحسـاسة أصبـحت من أبرز مـشكلات مجـتـمعنا هـذا العصـر. وهى مـشكلة التناقض الأزلى بين «جـريان المال كـما يجـرى الماء فى الغـدير» فى أيدى البـعض ممن قـد لا يـكونون من أصحـاب العـقول

والمراكز الاجتماعية والمراكز العلمية، وبين «شحها كقطرات الماء في الأدوار العليـا» بين أيدى آخـرين وقـد يكونون من «أهل القمة» بمقاييس المجتمع السليمة في المستوى العلمى والاجـتمـاعى والثـقافي وهى قـضيـة قـديمة جدا شـغلت أصـحاب العـقـول منذ قـديم الزمان.. لكنـها اتخـذت وفى مجـتمعنا خـلال السنوات الطويلة شكلا فـجّا واستـفزازيا بسبب الممـارسات الخـاطئـة لبعض أو لمعظم أبناء الطبـقة الجديدة فــى بلادنا. وقديماً قال الـشاعر العـربى عن نفس هذه القضية:

لوكانت الأرزاق تجرى على الحجا
هلـــكن إذن من جهلن البهـــائم

أى لو كانت الحظوظ والأرزاق تقـسم بين الناس حسب نصـيب كل فرد من «الحـجا» أي العـقل والعلم والثـقافـة والمكانة المرموقـة أو خطورة المناصب وإسهامهـا في خدمة الآخــرين، لو كانت الأرزاق تجـرى على هذه «الأسبـاب» لما وجدت «البهائم» بالفعل قوت يومها! فلا غرابة فى ذلك لأن الطريقين لا يلـتـقـيـان فى الحـيـاة غـالبـا.. لكن الخطيـر والغـريب فعـلا هو مـا شهـده مجـتـمعنا خـلال السنوات الأخيرة من تـغيرات أساسيـة في مفاهيمـه جرّت علينا كل هذه الكوارث فـحـتى سنوات قليلة كـان المجـتـمع يعـرف ويقدر للآخـرين شرف العمل وشـرف المكانة والشخصـية والخلق القويم، فـهب عليه إعـصار مدمـر لا يعتـرف لأحد بشىء إلا «بشـرف» المال وحـده مع تحـفظى على عـبـارة «شـرف المال» هذه! فـلا شرف فـى رأيى لمن لا يملك من كل المقومات الخلقيـة والدينية والعلمية والاجتمـاعية.. سوى

المال. فـأى شرف «لزكـيـبة» منتـفخـة بالمال؟ أليـست في النهاية زكيبة مصنوعة من الخيش ؟.

ووسط هذا الإعـصـار المدمـر تحطم المثـل الأعلى لدى بعض الشبـاب وهم يرون أن كل المقومات الأخـرى لا تقدم لأصحـابها سـوى قطرات شحـيحـة لاتكفى لصنع الحـياة الكريمة فضلا عن التـمتع «بمباهجهـا» ويرون هذا السباق الرهيب لجمع المال «ورشـه» في الهواء كمـا ترش معطرات الجـو في الغرف المغلقـة.. لكن ذلك أبدا لا يبـرر أن يقسـو الأبناء على الآباء أو يحملوهم مـسئولية حـرمانهم مما فى أيدى اللاهين العـابثين. وأبنـاؤك يا سـيدى قـسـاة غـلاظ القلوب.. فـمـا أقسى أن يُشـعـر الأبناء آباءهم بعـجـزهم وفشلهم فى الحـياة لأنهم غيـر قادرين على تحـقيق بعض مطالب الحـياة لهم. وويل لـلآباء من هذا الاحسـاس المؤلم حين يجـيـئـهم من جـانب من أفنوا العـمـر فى رعـايتـهم وتنشـئتـهم وأمـضوا الـليل ساهرين ليـوفـروا لهم الرزق الحلال قدر الجهد وقدر الاستطاعـة فإن قصرت أيديهم عما لاطاقة لهم به.. فلاجرم عليهم وما هم بملومين. ومن واجب أعزائنا أن يخففوا عنا لا أن يضاعفوا من آلامنا، ومن واجب أحبـائنا أن يشدوا من أزرنا لكى نبـقي صامـدين فى وجه الاغـراءات ونداءات الانحـراف والشـر لا أن يضعـفـوا من مقـاومتنا لكى نحـيـد عن الطريق وننجرف إلى مـا انجرف إليـه البعض فنصـبح على مـا فعلنا نادمين بعـد أن نفقـد احتـرامنا لأنفسنا قـبل أن نفقـد احترام الآخـرين لنا. وإنى أعجب لأبنائك الـذين يحضونك على مـخالفـة القانون لكى يجـدوا بعض ما يريـدون من أسبـاب الحيـاة هل تخـتلف

«وسـوســـاتهم» هذه عن وســـاوس الشـيطـان حين يزين للانسـان الخطيئـة.. أليست مـقولة «أن الجـميع يفـعلون هكذا» هي حديث النـفس الأمارة بالسوء حين تضـعف أمام الخطأ والانحراف؟ ثم أين هم هؤلاء الجميع؟ هل نحن حقا أمـة من اللصـوص المنحـرفين والمرتـشين والمخـتـلسين والخطاة؟ إذا كنا كـذلك جدلا - وهذا مـا لم يكن ولن يكون إلى أبد الأبدين، فلم تعـانى هذه الأكـثـرية الصامـتـة التى تكسب رزقهـا بشق الأنفس وتنفر نفورا طبـيعيـا وغريزيا من الحرام وتخشاه ؟.

إنهم يطالبـونك بمخالفـة القانون وبالـعمل سـرا فيـما يتعارض مع شرف وظيفتك وتقاليدها.. فلم لاتطالبهم أنت بالعمل إلى جانب الدراسة ليوفروا لأنفـسهم ما يحتاجونه من كماليات، كـما يفعل ملايين الشباب في كل المجـتمعات؟ ولماذا يكتـفون هم بالشـكوى والأنين.. وإشعـارك بالعجـز لقصر يديك عن تلبية بعض مطالبهم ؟.

أليست هذه كارثة أخلاقيـة جديدة ؟ لقد أصبحت إحدى مـآسينا الآن أن «أهل القـمة» فى مـجـتمـعنا قد أصـبحـوا يشــعـرون بالاحـبـاط والقزمـيـة واللاجـدوى أمـام «أهل التـخمـة».. وأمـام أسلوب حـياتـهم المدمر الذى يـهز قـيم الشباب.. ويطلق براكين السخط فيهم.. ومجتمعنا بالتأكيد فى حـاجـة إلي نظرة شـاملة تـعالـج هذا الخلل الخطيـر، وتداوى أسبابه، وتعيد للقـيم والفضائل مكانتها على رأس السلم الاجتـماعى كما كـانت حتى وقت قريب.. والأسـباب معـروفة.. والوسائل أيضا مـعروفة فـلا جديد إذن فى هذا الحديث ولا طائل تحته !.

أصدقاء على الورق

قصص واقعية

من الحياة



٣٧

العقاب

«أكتب إليك هذه الرسالة وأنا فى قمة اليأس والكره الشديد لنفسى.. فأنا يا سيدى أمثل حالة من الحالات العجيبة التى تستقبلها فى بريدك.. وأرجو أن يتسع صدرك كما يتسع لأصحاب هذه الحالات.. وبداية أقول إننى أكتب إليك لا لأشكو ظلما وقع علىّ من أحد ولا لأشكو إليك غدر أحد بى.. وإنما أكتب إليك لأشكو

إليك نفـسى التى تُسبِّب لى الشـقاء والمعـاناة وتكاد تحطمنى! فأنا يا سيدى ممن يقـول عنهم الناس أن كلامهم مثل «الدبش» يتساقط على الآخرين فيصيبهم ويجرحهم ويُسيل دماءهم كما تفعل الحجارة إذا سقطت فوق رأس إنسان من عل، فأنا أعامل الناس بسوء وجـفاء.. وبسـبب هذه المعاملة وقلة ذُوقى مـعهم ابتعد عنّى الناس وأصـبحت وحيدا شريدا يتـجنبنى الأصدقاء والأهل!.

وأنا سريع الغضب أغضب لأتفه الأشياء فأثور ثورة عارمة وأنهال على الضـحايا بالألفاظ الفظيعـة، ثم بعد أن أهدأ أحاول أن أجد سببا مقنعا لما حدث.. فلا أجد!.

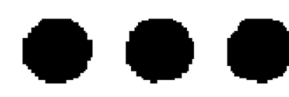
فمثلا خلال العـام الدراسى اختلفت مع زميلة لى فى الرأى، فانفـجرت فـيها فـجأة وسَـببتُـها وأهنتـها واتهمـتهـا بأسوأ الاتهامات ففوجـئت المسكينة بما حدث وانهارت وبكت بينما أنا مستمـر فى هجومى العنترى عليها بلا أى مـراعاة لبكائها ولا لصيحات الاحتجـاج من زملائى، وبالطبع فلقد تجنبنى الجميع بعد ذلك وأصـبحت أدخل إلى المحاضـرة وحيدا ذليلا واضـعا وجهى فى الأرض وأخرج منها على نفس الحال.

وحدث بعـد أن تجنبنى الزملاء والأصدقاء أن كنت جـالسا وحيدا فى الحـديقة المقابلة للجامـعة فطلب منى الجناينى بأدب أن أبتعد قليلا لكى يروى الزرع فى نفس المكان. فإذا بى أنفجر فـيـه بالسـبـاب واللعنات شـوطا طـويلا قـبل أن أهدأ بعـدها وانصرف متضايقا.

ثم جاءت بعـد ذلك الاجازة الدراسيـة فى الصيف فتـعذبت

فيـها عذابا فظيـعا لأن علاقـتى مقطوعة مع أهلى وأصـدقائى بسبب طول لسانى هذا. وطوال أيام الاجـازة كنت أستيقظ فى الظهر وأخـرج من البيت دون أن يهتم بى أحـد أو يسألنى أين أنت ذاهب أو هل تريد شيئا، فأتجه إلى الحـديقة العامة القريبة من سكنى وأظل جالسـا وحيدا فـيها أحـاول أن أعرف لماذا أنا «أبيح» هكذا بلا جـدوى وأقـرر أن أغيـر من نفـسى.. وأتمسك بذلك لمدة أيام ثم أرجع ثانية لأن الطبع غلاب!.

إننى أمـر بحـالة شديدة من اليـأس والاكـتـئاب والضـيق والحزن الـشديد لا أسـتطيع أن أصفـها لك.. وأطلب منك حـلا لمشكلتى لكى ينصلح حالى.. ـ شكرا جزيلا ـ !.



□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

يا سـيدى إن أباطـرة وملوك وحكمـاء الشرق والغـرب جمـيعا لا يسـتطيعـون حل مشكلتك لسـبب بسيط هو أن حلها معلق بطـرف لسانك.. ولا يستطيع أحد مهـما فعل أن ينطق نيابة عنك بما يجـمع بينك وبين الناس.. بدلا من أن يفرق بينك وبينـهم كما تفـعل الآن.. ثم لأنك تعانى من داء عضال هو الحماقة. وقديما قالوا :

لـــكل داء دواء يســـتطب بـــه

إلا الحماقة أعـــيت من يداويهـا!

وقـبل أن أستطرد فى إبداء رأيى أرجـو ألا تصعـد النار إلى رأسك عـلى الفـور قـبل أن تكمـل قـراءة هـذا الكلام فتتحـفنى على البعد بباقة مختـارة من قذائفك التى تطلقها

فـتتناثر في الجـو كالقنابـل العنقودية مـفرقـة الناس من حولك.

فمن عادة الحمقي أن يسبق غضبهم حلمهم.. وأن تسبق انفعالاتهم تفكيرهم لذلك أدعـوك إلي الهدوء لتسمع مني ما أقول «وأنت وتربيتك بعد ذلك»! إنني أقول لك يا سيدي أن خيـر الخلق أجمعين وهو من أدبّـه ربه فأحسن تأديبـه قد قال له الحق سبحـانه: «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حـولك» فكيف تنتظر من الناس ألا ينفـضوا من حـولك أنت وأنت معهم علي هذه الحال التي تصفها بنفسك؟.

إن انصـراف الناس عنك هو العـقـاب الطبـيـعي لك من جـانبهم، فليـس كل الناس علي استـعـداد لأن ينازلوك في مـيدانك، وعـقاب سـليط اللسان.. غلـيظ الطبع والقلب هو اعتزاله والابتـعاد عنه، لذلك فأنت وحيـد لا يهم أمرك أحدا حتي أهلك ومن كانوا أصدقـاءك وسوف تبقي كذلك إلي أن تغيـر ما بنفسك، وإلي أن تتـعلم كيف تكظم غـيظك وكيف تكف أذاك عن الآخـــرين.. بل وكـــيف تعـطيـهـم من طرف اللسان حلاوة تجمع قلوبهم حولك بدلا من أن تفرقها.

فاملُك غضبك يا صـديقي.. تملك نفسك.. ومن ملك نفسه فقد ملك الآخرين بدماثته ورقة طباعه ولين عريكته. واعلم أن الكلمة الـطيبة صـدقة وأنها تأسـر القلوب وتدفع الأذي وتسد أبواب الشر وتفتح أحـيانا أبواب النعيم.. وإذا صدق ظني فـإن اندفـاعـاتك وطلقـاتك هذه قـد يكون لهـا بعض الأسبـاب البيولوجـية التي يفلح العلاج الـطبي بالمهدئات

والعقـاقير في التـخفيف منهـا، فاعرض نفـسك على طبيب للأمراض العـصبيـة يعاونك في تـجنب مثل هذه الانفجارات الضارة..

أمـا دمـاثة الطبع ورقـة الحـديث مـع الآخـرين وتعلُم مراعـاة شعورهم واحـترامـهم فلن يفيدك فـيهـا طبيب ولا معلم لأنك أنت طبيب نفسك ولا طبيب لك سواك!.

هذا هو رأيي.. أرجـو ألا يغضـبك.. وعـمومـا ومن باب الاحتيـاط أقول لك: الله يسامحك!.

الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ٩٢٥٨ / ٩٧
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0666 - 8

هذا الكتاب

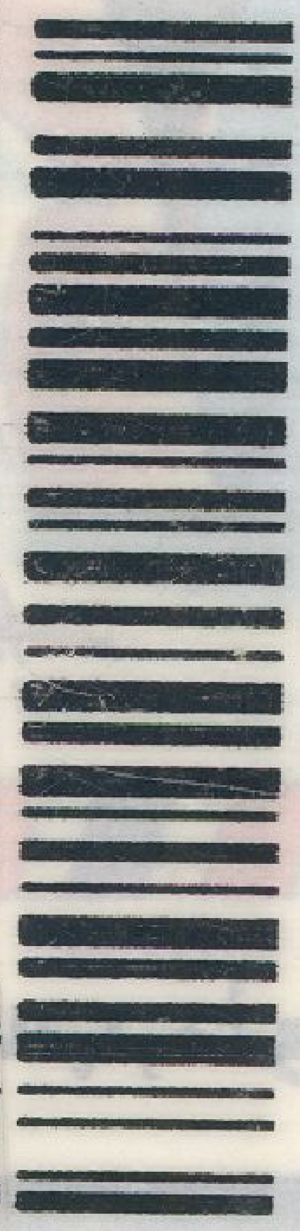
اذا أردت أن تعرف العواطف الحقيقية للشباب.. وأن تتتبع علاقات الحب والزواج فى المجتمع فاقرأ بريد القراء أو الأبواب التى تخصصها الصحف لنشر مشاكل القراء العاطفية.

وعبد الوهاب مطاوع من الكتاب القلائل عندنا الذين برعوا فى حل مشاكل الشباب العاطفية.. حتى أصبح الشباب يحترمون رأيه العاقل ويطبقون نصائحه العملية.

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من قصص الحب الواقعية من خلال رسائل وصلت الى عبد الوهاب مطاوع من الشباب الذين أصابتهم سهام كيوبيد وتعذبوا من جراح قلوبهم.

انها قصص حب حقيقية نابضة بالحياة تجعلك تتعاطف معها وتعيش مع أبطالها عذابهم سعادتهم.. وأيضا شقاءهم وفرحهم.

نبيل أباظة



الثمن ٥ جنيهات